
كمال ناصر



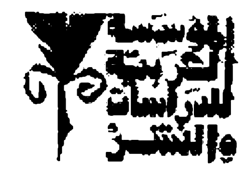

الآثار الشعرية
مدونة أبو عبدو
أعدها وقدم لها
الدكتور إحسان عباس


المؤسسة العربية للدراسات والنشر





أعدها وقدم لها
الدكتور إحسان عباس



الطبعة الاولى
نيسان ١٩٧٤

مقدمة

بين الفاتحة والخاتمة في هذا الديوان ، بين « الميلاد » و « النهاية »، علاقة من رابطة وثيقة ، تكاد تختصر كل المعاناة الذاتية التي واجهها كمال – الشاعر الانسان – ، معاناة الاحساس بالغربة المطلقة ، ولا أغالي ان قلت بالضياع الوجودي الكبير ، في « الميلاد » يهتف الشاعر

انا ضحية تاريخي وأصفادي
اللعنة اللعنة الكبرى تطاردني

وفي « النهاية » تعود هذه اللعنة الى الظهور ممتزجة بشعور من جفت جداوله عن تقديم « العطاء والفداء » ونضب الزيت من مصباحه وغرق في ردغة طينية سحيقة القرار تشد من نشب فيها وتنفهق من حوله لتحكم عليه قبضتها وتطبق على روحه :

المارد الايمان لم يعد يصحبني
واللعنة التي أدركتها تخيفني ، ترهبني

في هذا اللون من الشعر كان كمال يخلو الى نفسه ، يتلمس جراحها الكثيرة ، ويلمس جانب الاخفاق ، ويتحدث بصدق واخلاص تحت مصباح شاحب خافت لا يبدد كثيرا من الظلمة المحدقة به ، ولم يكن هذا الشعور وليد سوداوية مركبة في الطبع وانما كان حصيلة عذاب متواصل مسترسل

متتابع الحلقات على مستوى الجماعة قبل أن يكون عذابا ذاتيا يمثل اخفاق الفرد او ضياعه ، وان لم يكن اخفاق الفرد غائبا عن الصورة الكلية الكبرى، ولذلك فانني أرى ان كمالا في أدق مشاعره الذاتية وفي مناجياته النفسية انما يعكس ما انطبع في نفسه من مأساة أمته ووطنه عكسا تتضاءل الى جانبه الآلام الذاتية والعذاب الفردي . وكان في ذلك صادقا لا يجامل ولا يداجي حتى في ساعات اليقظة على البهجة العامة المتفائلة . أليس هو الذي يقول في الذكرى الثامنة عشرة لميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي ، ويمزج تفاؤله بصراحة قلّ أن تجد لها نظيرا ، في يوم كان يعده هو نفسه يوم عيد

أتحبون أن أغرّد للبعث وأشدو في عيده وأطيلُ ؟
ليس عندي فقد سفحت شبابي بين جنبيه فاحتواني الذبول
شوّهت غربة المقاييس روحي من تراني وما عساني أقول
غربتي في الوجود يعرفها الله ويدري الشكاة دمعي البخيل
طال في حمأة الضياع بقائي أذن البين واستحق الرحيل

هذه الابيات التي تمثل لحظة من لحظات التجلي في الشعور والشعر معا لا يمكن أن تكذب لأنها تسمو على التفاؤل القسري او التفاؤل العقائدي درجات ، انها الصوت الحقيقي الذي لا يتخلله الزيف ، ولا تطمسه أمواج التصفيق في المحافل الكبيرة . هل نقول : استطال أمد المسيرة فأدركه اليأس ؟ هل نلومه لانه يغرس التشاؤم في النفوس ؟ هل نحمل عليه لان مشاعره تحمل عناصر التخاذل امام الباب المغلق وعند نهاية الطريق المسدود ؟ ليس ذلك من حقنا لان ابسط حقوق الشاعر وأسمى واجباته حرية الصدق امام نفسه وامام الآخرين ، وليس صدق كمال تخذيلا عن الكفاح او تشويها له ، ولا هو نزوة من يطرح العبء عن نفسه ليلقي التبعة على كواهل الآخرين ، وانما هو صدق الناقد لذاته ، الذي يراجع حقيقة موقفه ، ليجدد الانطلاق ، ويستأنف المسيرة ، هو صدق امرىء عاش بلا مظلة ، فليس غريبا ان يحدثنا كم يؤرقه وقع الامطار والثلوج على صفحة نفسه التي تعش دون وقاء او غطاء ، ومرة أخرى ترمز قصيدته « المظلة الضائعة » (ص : ٤٢٠) الى كل الغربة الفردية والجماعية التي تمثل الانتماء المجرّح الملتاع الى أرض وبيت وزوجة وشجرة ، الى ماض وحاضر

ومستقبل ، كما تمثل انعدام الثقة الذاتية حين تنعدم الثقة في الجماعـة ، وتصور الكفر بالقطيع ، والتغرب الضائع ، وسط زحام صاخب متدافع ،

يا من رأى مظلتي تضيع
تهجرني في موسم البكاء والدموع
تهجرني ومقلة السماء لم تزل
تجتاحني ، تغمرني بالماء والصقيع
تهجرني كأنني وحدي المعذب الصريع
كأنما وحدي عرفت خدعة الفناء والبقاء
ولعنة الصراع والوجيع
أنا الذي حملتها الزمان في الضلوع
أنشرها على جراح الشعر كلما أجوع .

ماذا يستطيع الشاعر ان يقول في مرحلة «انتحار التاريخ» ؟ انه ينطلق بقوة الايمان والارادة ليحقق المعجزات ، لبخلق وحدة بين هذه الاشلاء التي تقلصت وسميت « أوطان » (ص ٤٠٠) لا بل ليبعث الحيـاة في امة فيجد نفسه يسير في مدينة الاموات يدوس فوق ظله (ص ٤٠٣) ؟ تلك هي مأساة الشاعر حين يطير على جناح الارادة المطلقة فيرتطم بحقيقـة تشل ارادتـه ويستكشف انه وحيد (ص ٣٩٧)

اردت ان انشق عن عجزي فأعبر الأتون
أردت ان أعيد مولدي بالموت من جديد
فتمحي السدود والحدود
واقحم الذرى واللبل والسرى والمنتهى الكؤود
في ملعب المحال والمجهول والخلود
وكنت أدري أنني وحيد
لا معولي صلد ولا يداي من حديد
فاخترت أن امزق الجليد في معاقل الجليد
واخترت ان أطاول الصعود
وأن أهدم الجدران في مدينتي ، أضرمها ، احرقها
واشعل النيران والوقود .....
حتى تضج في عروقها الحياة من جديد

في مثل هذا الشعر تتجلى شاعرية كمال ناصر على اتمها ، وخاصة في بعض تلك القصائد التي جاءت في القسم الخامس من الديوان تحت عنوان « اغنية النهاية » ففيها بلغ كمال ناصر مرحلة النضج في التجربة وعمق النظرة وحرارة الانفعال الذاتي العميق تجاه المشكلات الجماعية : الوطنية منها والانسانية ، وخرج في قصائده خروجا متفاوتا من اسار الشكل التقليدي للقصيدة ؛ وابتعد عن الصخب الموسيقي وعن اللهجة المباشرة الى حد ما ، وان ظل المبنى الكبير للقصيدة معرضا للاسترسال المتدفق أكثر من اللمح الشعري المكثّف ، ومن اطلع على مسوّدات شعره وجد بعض قصائد هذه المرحلة تكتب أولا على نحو موجز ، ثم تتحمل الاضافات مراعاة للنغمة الموسيقية العامة ، وللتفريعات المعنوية الجزئية ، في داخل المبنى الكلي .

على أن الصدق في هذا اللون من الشعر يجب الا يطمس الصدق في قصائده الاخرى ، اعني القصائد التي استقطبنها القضية الفلسطينية، وهي تكاد تستغرق اكثر هذا الديوان ، ففيها كان كمال مثال الشاعر المخلص الصادق الذي يعيش كل دقيقة من دقائق القضية ، ويجد أن الشعر الحق يجب ان يكون وقفا عليها ، فشعره منها ينبع واليها ينتمي ؛ وهو يتحرك بها ويدور دورتها ويتقلب تقلباتها، ويشب ويتراجع كلما شبت او تراجعت، ويخطو واثقا او يتقاعس متألما كلما تعرضت هي لمثل ذلك \ لقد لونت القضية كل الوجود الفردي والجماعي لدى كمال ، فلم تعد القيم والمفهومات والمقولات والمؤسسات والعلاقات وهلم جرا تفهم الا من خلالها ، فليس للعقائديات اية قيمة ان لم تكن في خدمتها ؛ وليس للدين أي مفهوم اذا لم يؤخذ على ضوئها ؛ وليس للعدالة الالهية أي مجال آخر في الكون اذا لم تكن نصيرا لها ولأهلها ، والافراد خيّرون او اشرار بحسب مواقفهم من تلك القضية ؛ فهي والعروبة والوحدة والعودة صورة لشيء واحد ، متأله في نفس الشاعر من أجله عاش وفي سبيله لقي مصرعه .

وحسبي هنا لتوضيح ما قلته أن أتحدث عن عنصر واحد وعن صلته بالقضية ، وذلك هو عنصر الدين : كان كمال مسيحيا مؤمنا ، ورغم الحيرة التي تكتنف بعض مناجياته الالهية (ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٢٢٥) فان توجهه الى هذا اللون من الشعر يحمل في ثناياه حقيقة امرىء مؤمن ، غير انه لا

يستطيع أن يفهم المسيحية الا اذا انصهرت في بوتقة العروبة ، فاذا كان المسيح هو مثله الاعلى في الفداء . فان محمدا مثله الاعلى في خلق الوحدة العربية ، وهو نموذج «العائد » المنتصر الى وطنه مكة ، وكمال يحلم ان يعيد التاريخ سيرته فيعود شعبه الى وطنه منتصرا عودة محمد ، وعلى هذا الاساس نفسه يحاور المسيح ، ليتفقا في النهاية على أن الغرب المستبد المستعمر الذي شرد عرب فلسطين ونصر الباطل على الحق واستباح الدماء لبس مسيحيا ، حتى ليقول المسيح في النهاية بعد ان « روعته شريعة للنصارى مسخوها فأضحت استعمارا » :

لست مني يا غرب فاحمل صليبك   راعفا بالدماء واتبع ربيبك
لست مني فانزع شعار صلاتي   حسبي العمر قد حملت ذنوبك

ثم هو يعقد موازنة ضمنية بين دعوة الاديان (ومنها المسيحية) الى السلم والمحبة وبين حاجة العروبة الى طرد الدخيل المعتدي ، فيرى أن الدعوة الى السلم والمحبة تشبه « وضع الندى في موضع السيف » كما يقول المتنبي . ولهذا نجده يؤمن أن مبادىء الدين الصحيح هي تلك التي تخدم قضية العروبة ، وليس يفعل ذلك مثل التصميم على الانتقام والانطواء على الحقد ، ومن هنا جاءت قصيدته الطويلة « أنشودة الحقد » (ص ١٥٧ ـ ٢١٨) تحض على رفع هذا الشعار حتى يتم التحرير ، وتتحقق الامنية الكبرى ، وقد اعتذر عن هذه الدعوة التي تبدو في ظاهرها غير انسانية بقوله : « والشاعر اذ يدعو للحقد فانما من خلال الانسانية المعذبة في بلاده التي لا بد وأن تأخذ حقها كاملا في الحياة لتغني السلام والمحبة من خلال الحرية والاستقلال » (١) . ومعنى ذلك إن الحقد لا يمثل قيمة مطلقة أو مبدأ عاما ، وانما هو أداة آنية ضرورية ، فهو صنو للثورة على الظلم واباء الاستعباد ورفض لسالمة المغتصب ، وقد اتخذ الشاعر في هذه القصيدة جناحي نسر ، وطار في أرجاء الوطن العربي قطرا قطرا ، يستنفر العرب للثورة على المغتصب ويدعو لمذهبه الجديد في الحقد ، فجاءت قصيدته في

---

(١) ديوان جراح تغني (الطبعة الاولى) ص : ١٨٦ .

ثلاثة عشر مقطعا ، غير ان تشابه المقاطع في طبيعة الموضوع قد أفقد القصيدة عنصر التنويع الضروري ، ولم يخفف من رتابتها تغيير الوزن في فاتحة كل مقطع وبناء كل مقطع على قافية ، ولم يتنبه الشاعر وهو يطوف تلك الاقطار الى أنه نسي في تيار الحقد الفامر ضد العدو المغتصب مبدأ الوحدة ، وهي قوة دائمة ايجابية أعظم وأجدى بكثير من مشاعر الحقد الآني

ان هذا الفهم للمسيحية هو الذي جعل الشاعر يقول حين قصفت كنيسة القيامة في ليلة عيد الميلاد (ص : ٣٤٤) :

عيسى بن مريم قد عرفتك هادئا ... فاغضب ولو في ليلة الميلاد
واشهد مآسي الغرب، كل جريمة ... قامتهنا باسم المسيحالفادي
ان كنت منهم يا ابن مريم فلتعد ... لربوعهم ، لا كنت فبنا الهادي
اما المحبة فلتحول غضبة ... هوجاء تذكي الحقد في الاغماد
يا صائد الاسماك قد أودت بنا ... بين الانام شريعة الصياد

من ثم صح القول ان الحق الفلسطيني ، وهو النموذج الاعلى في سلم القيم ، قد جعل كل قيمة اخرى دبنية وايديولوجية وسلوكية وغير ذلك ذات صفة نسبية مرهونة بمدى علاقتها بذلك النموذج الكبير .

لكن قصائده التي استقطبتها القضية الفلسطينية ــ اذا قورنت بقصائد المرحلة الاخيرة التي تحدثت عنها من قبل ــ ظهرت مشبعةبالخطابية والتوجه المباشر الى الجماهير ، وتميز اكثرها بالاحتفال بالجزالة وقوة السبك ، واتسمت بالوضوح الساطع والماحكات الذهنية المنفعلة بما يمس القضية من أمور ، والاستسلام للانفعال الطارىء دون تحويل الدهشة المفاجئة الى بعد فكري عميق ــ وهذه صفات بعضها سلبي وبعضها ايجابي، ولكن من يدرس الاسباب الكامنة وراء ذلك كله لن يرى في كمال ناصر تقصيرا عما كان يدور في فلك المرحلة الشعرية آنئذ ، ذلك لانه كان ــ فينشأته الشعرية ــ ابنا مخلصا لتلك المرحلة التي تميزت بمفهوم خاص لمهمة الشعر، اذ لم يكن ثمة من فصل دقيق بين الشعر والخطابة ، فقد نشأ هو شاعر المدرسة اي خطيبها المتقدم الذي يستطيع ان يقنع الجماهير بأنه قادر على ان يشدها اليه بقوة الالقاء اولا ، وبالمشاركة العاطفية في الموضوع المطروح

ثانيا ، ثم تحول الى أن يصبح خطيب القضية ، ولسانها الذلق ، وجنانهـا النابض المنفعل ، وكان بهذا يحس انه ذو رسالة شعرية يصور بها قضيته الكبرى بحيث يتغلغل في نفوس الجماهير ، وينم التجاوب بينه وبينها بقدح زناد الحماسة والغليان والنقمة واستدعاء الحـديث عن المطلب الفلسطيني الاول أعني العودة ، وعن المطلب العربي الشعبي الاول اعني الوحدة ، وهما هدفان واضحان ، لا يتطلبان التلميح والايحـاء ولا ينفـع فيهما التحليـل والرمز ، وربما انبهم أمرهما عند اللجوء الى بناء آخر غير البناء الكلاسيكي المعتمد ، وربما استعصت طبيعتهما على التفلسف ، حيث الحقيقة الوطنية تشبه الحقيقة الرياضية في أنها مبرمة لا تقبل الجدل والالتفاف والالتـواء والتحيل على مبنى جديد ، يشد اليه الناس بالجدة الشكلية دون ان يكون في محتواه ما يسوغ التجديد في الشكل . ورغم ذلك كله فيجب ان نسجل لكمال ــ في هذا الموقف ــ انتصارات احرزها على نفسه ومرحلته ، ومنهـا

اولا ــ انه رغـم اعجابه بأساتذته شوقي وابي ماضي والاخطـل الصغير وغيرهم ، كان واضح الرؤية في انه قد يلتقي بهم في المطلب الشكلي ، ولكنه حاول ان يبذهم في الالتزام ، فنجـح حيث اخفقوا .

ثانيا ــ انه وهو الذي نشأ ابان ازدهار الرومنطيقية الحالمـة فوق زورق علي‌محمود طه المهندس وكوخ‌محمود حسن اسماعيل ، والمطلق المجهول لدى مدرسة أبولـو ، استطـاع أن يحتفظ بنزعته الكلاسيكية الممتزجـة بشيء مـن مثاليـة المدرسة الرومنطيقية ، وان يحطم ذاته في سبيل الجماعة .

ثالثا ــ انه وهو الشاب المتلهب شوقا الى الصـدر الحنون والقلب الامومي الخافق بألوان العطف ، وجد ملاذه في صدر الارض والوطن والثورة على الظلم .

وهنـا لا بـد مـن استطـراد قصير فـان الصراع بـين الحـاجـة الـى الاستقـرار في بيـت تعمـره زوج وأطفال والرغبة في الترهب من أجل القضية الوطنية واضح في شعره ، وتعد قصيدة « لحظة ظمأ الى دنيـا الاطفـال » (ص : ١٦٦) تعبيرا غير مقنّع عن ذلك الصراع . وعلى هذا الاساس نفسه تفهم قصائده التي يتحـدث فيهـا عـن الام

والامومة (ص : ٥٣ ، ٢٨٦ ، ٤١٤) فالام اغلى صديقة في قصيدته « سألها في قبضني وطنا » وهو يتحدث اليها في رفق ويرجوها ان تفهم موقفه وانه ليس بدعا بين أبناء جيله اذ يختار طريق الثورة ، بل انه يمثل — مع سائر رفاقه — مأساة الجيل . حتى اذا اصبحت تلك الام متشددة في موقفها تريد أن تحول بينه وبين الذهاب الى المعركة (ص : ٢٨٦) احتد وارتفعت نغمة العصيان في لهجته ، انه ينتمي الى وهج الكفاح لا الى ظل الامومة :

دموعك كفر فلن ترجعيني
ولن تضعفيني
فحقي بريد الذهاب
الى المعركة

الا ان لحظات الارهاق والتعب ، كانت ترده الى تلك الصديقة الوفية ، « فطالما اليك كنت أهرب . . . ما زلت أهرب » . غير أن الام لم تتحول في شعره الى رمز ، وظلت منفصلة في وقفتها عن الارض والبيت والوطن

والحق انه اذا استثنينا بعض قصائد الشاعر مثل المظلة الضائعة والبهلوان الاعظم (٣٨٢) — وهذه الثانية تومىء الى لعبة القدر في مصاير الناس والاشياء — لم نجد شعر كمال يتجه اتجاها رمزيا ، او يهتم بالاسطورة وغيرها من وسائل الشعر الحديث — كما فعل كثير من الشعراء المحدثين ، وانما ظل محافظا على الوضوح ايمانا بالرسالة الشعبية في نقل التأثير الشعري المباشر الى نفوس الجماهير . ان اكبر أثر للاتجاه الشعري الحديث في شعره انه خفف لديه من صلابة القصيدة الكلاسيكية في الشكل ، وحطم قاعدة الشطرين المتساويين في البيت الواحد ، وحين تعرضت قصيدته لهذا التأثير اضطرب المبنى الشعري بين يديه ، وهذا واضح في كثير من القصائد التي نشرها في ديوان « جراح تغني » وربما كان هذا هو السبب في أن الديوان لم يلفت اليه الانظار يومئذ ، اذ لم يكن الشكل الشعري المجدد فيه جديدا بالمعنى الصحيح ، بل كان اخضاعا تعسفيا للقالب القديم حتى يتحول الى

شيء يشبه الشعر الجديد . ومع ان الشاعر تجاوز مرحلة « جراح تغني » في قصائده الاخيرة ، أرى ان تطوره الشعري كان يجب أن يتم على القاعدة التي منها انطلق ، اعنى ان يستمر في صقل القصيدة الكلاسيكية والاحتفال بمبدأ الجزالة والتأثير الخطابي ، وان يعمق هذا الانجاه فكرا وشعورا ، تلك هي طريقه ، وقد كان حقيقا أن يسير فيها الى نهايتها ، اذ ظل حتى في المرحلة الاخيرة صديقا للشعر الجزل ويكفي ان نقرأ قصيدتيه في الذكرى السابعة عشرة والثامنة عشرة لميلاد حزب البعث ورثاءه لابي ماضي وخالد اليشرطي وقصيدته الى الاخطل الصغير (١٢٨ ــ ١٥٢) حتى نجد أنه كان يجد راحة نفسه في هذا اللون من الشعر قبل اي لون آخر

وها هنا موقف مأساوي لا يمكن اغفاله او تجاوزه ، وهو ذو حدين

أولهما يمكن ان أسميه « ازمة الخضرمة » ، وهي ان يعيش الشاعر مرحلتين متفاوتتين في حياة الشعر، فهل يظل مخلصا للمرحلةالاولى متصلبا في موقفه منكرا للمرحلة الجديدة وكأنها لم توجد ، وبذلك يصبح ــ في الحياة ــ جزءا من التاريخ ؟ او يتحول الى المرحلة الثانية ويكسر القاعدة التي عليها نشأ متقبلا أحد احتمالين أقواهما الضياع في الحومة الجديدة ؟ واذا قرر التحول فكيف يفعل ذلك وأدواته الشعرية جميعا تنتمي الى مرحلة مختلفة ؟

وثانيهما يمكن ان اسميه « ازمة الموضوع الكبير » : أي حين يكون الموضوع الذي يعالجه الشعر اقوى في النفوس من كل شعر ، وهذا هو حال القضية الفلسطينية ، فان تفردها من جميع النواحي وتطاول استعصاء حلها زمنيا يحيل كل شعر متصل بها الى تاريخ ، وتبقى هي وحدها في الساحة ، وخاصة حين يكون هذا الشعر متابعا للاحداث ، مسوقا بقوتها لا تنبؤيا ، ولا قائما على منظور من الحدس ، ولا معتمدا على « درامية » في الحوار والشكل والمنطلقات عامة ، تتجافى عن الشكل الخطابي المباشر ، وتحيل المشكلة الى موقف انساني كلي ، تتجاوز المرحلية الزمنية والتاريخية

ولم يكن شعر كمال وحده هو الذي تأثر بهاتين الحقيقتين في تاريخ الشعر العربي المعاصر .

* *

وبعد ، فقد وكلت الي لجنة تخليد كمال ناصر تحرير هذا الديوان وتحقيقه ، ووضعت بين يدي أوراقه ومسوداته ، ولم تكن المهمة سهلة ، فان كمالا - رحمه الله - لم يكن يراجع القصيدة بعد تسويدها او يعود اليها ، وكأنما كان يكتبها ليطرح عن نفسه عبئا يقلقه ، فاذا طرحه ارتاح واطمأن ، ولهذا ظلت بعض القصائد مبتورة ، وظلت بعض الابيات ناقصة اما شطرا واما كلمة هنا او هناك ، وظل السهو الذي يعتري القلم ماثلا ايضا هنالك ، كما انه لم يكن يهتم كثيرا بتأريخ قصائده ، حتى حين يذكر المناسبة، فاذا قال مثلا انها القيت بمدرسةبيرزيت او نالت جائزة كذا، لم يشفع ذلك بذكر العام . ولهذا لم يكن من الممكن ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا ، كما أن الترتيب الموضوعي أمر مفتعل ، على ان ملاحظة الناحية التاريخية لم تهمل تماما ، ولهذا قدمت القصائد التي تنتمي الى عصر الصبا الاول لتكون مؤشرا على البدايات الاولى ومنفذا الى رؤية التطور الذي سار فيه كمال .

ثم يجيء القسم الثاني وعنوانه « خيمة في وجه الاعاصير » وقد روعيت فيه الناحية التاريخية الى حد ما ، غير أني اضفت اليه قصائد نظمت في المرحلة الاخيرة من حياة الشاعر وهي التي تشغل الصفحات (١٢٧ - ١٥٢) لانها من حيث الشكل لا تلتئم مع القسم الاخير في الديوان، اما « انشودة الحقد » ، وهي القسم الثالث ، فهي تواكب القسم الثاني من حيث الزمن ، ولكن طولها سمح بافرادها ، واما القسم الرابع « جراح تغنى » فانه يمثل ما كان قد نشر من قبل ، وقد ابقيته على حاله من حيث الترتيب ، وان كان مختارات متفاوتة في الزمن الا أن اكثرها يتفق في حقبته مع قصائد القسم الثاني ، اجمالا ، وقد حذفت من هذا القسم قصيدة « الى جميلة بوحيرد » ورددتها الى موضعها من قصيدة « انشودة الحقد » وتلك هي مشيئة الشاعر نفسه ، كما تدل على ذلك مسوداته، كذلك ارجعت المقاطع التي نشرت من قصيدة « انشودة الحقد » الى مواضعها ، وجعلت

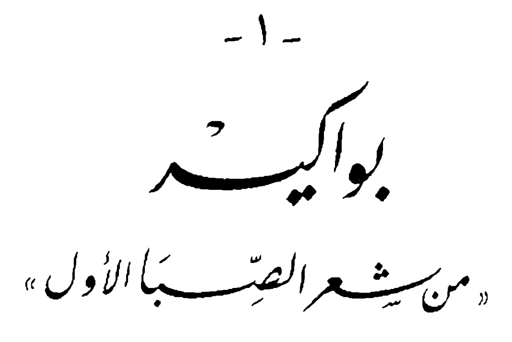
القسم الخامس وقفا على القصائد التي نظمها الشاعر معتمدا الشكل المتحرر من الشطرين ، واكثرها ان لم يكن كلها ، من أواخر ما نظم . وانا مسئول عن اختيار عنوانات القسم الاول والثاني والخامس ، كما انني ايضا وضعت عنوانات لبعض القصائد التي كانت غفلا من العنوان في المسودات .

وحين توليت دراسة كل قصيدة على حدة ، نحيت كثيرا من قصائد الصبا الاول التي تحمل عنوان «بواكير» لان مستواها الفني لا يؤهلها للنشر ، وعالجت بعض ما نشرته منها بحذف بعض أجزاء القصيدة ، او بعض أبيات منها ، وكذلك نحيت قصائد اخرى لا تسمح الظروف بنشرها ، وحذفت من احدى القصائد جزءا يدخل تحت هذا المعنى ايضا ، ولم انجاوز ذلك الا حيث جاءت بعض الابيات ناقصة ، فان حذفها أخف تبعة من التصرف بها بالاتمام وسد النقصان، ولم ابح لنفسي تغيير لفظة الا في مواطن قليلة اما لان الوزن بغير هذا التغيير يضطرب ، واما لان اللفظة في المسوده غير واضحة ولا يمكن الاطمئنان الى قراءتها بدقة . وقد وجدت بعض القصائد مكتوبا على نحوين مختلفين وفي صورتين او ثلاث صور متفاوتة ، فاخترت الشكل الاوفى وطرحت ما عداه ، ولم يكن من الطبيعي ان أنشر الصور المختلفة للقصيدة الواحدة ، ولكن هذا قد يصبح أمرا هاما للدارسين لا للقارىء العادي ، وهو شيء قد يولى العناية في طبعة علمية خاصة من هذا الشعر . وقد كان من عادة كمال ان ينقل بعض المقاطع من قصيدة ما ويضمنها قصيدة اخرى، فالمقطع الثاني عشر من « انشودة الحقد » قد نظم في مناسبة خاصة ، لا علاقة لها بالانشودة ثم احتل مكانه فيها ، وحذفت الابيات الدالة على تلك المناسبة . وهنالك أبيات جاءت على الصفحة ٨٧ من هذا الديوان وقد تكررت في أحد مقاطع أنشودة الحقد ، كذلك تشترك القصيدتان « رسالة من دوڤيل » و « النهاية » في بعض العبارات .

وهذا المجموع لا يضم كل ما نظمه كمال من شعر لا لانني حذفت بعض القصائد وحسب ، بل لان له شعرا لم استطع ان احصل عليه ، كما انه كان في بعض الظروف ينشر قصائده تحت اسم مستعار ، ولعله اتخذ اسم « ابو فراس » ستارا يختفي وراءه أحيانا ، واني لارجو ان يتوفر للطبعة الآتية كثير مما فاتني من شعره ، رجاء ان يجيء الديوان أقرب الى الشمول، والله الموفق .

بيروت في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٧٤

احسان عباس


- ١ -
بواكير
«من شعر الصِّبا الأول»

الميلاد

ولدت أحمل جثماني على كتفي
ولدت واأسفي
لا شان لي بمجيئي أو بميلادي
انا ضحية تاريخي وأصفادي
اللعنة ، اللعنة الكبرى ، تطاردني..
حلّتْ باجدادي
غداً تعانق أولادي وأحفادي
فيدركون كما أدركت في لهفي
بأنني قد أتيتُ الكونَ واأسفي
أتيت أحمل جثماني على كتفي
بلا هدف ! !
ولدت في لحظة بلهاء تجهلني
وعشت أجهلها
تمخضت بي ، وحارت كيف تقتلني
وكيف اقتلهـــا ؟

تجترني ، وتعرّيني ، وتبصقني
وليس تسالني
كأنني قحبة في كفٍّ قوّاد
حطت على دربها في غير ميعاد
في صدفة ليس تدريها ، من الصدف
تحلّقتْ برخيصِ الحلي والخزف
فراح يذبحها في مأتم الشرف

* * *

ولدت أحمل جثماني على كتفي
ولدت واأسفي ..
لا شأن لي بمجيئي أو بميلادي ..
أنا ضحيـــة تاريخي وأصفادي
اللعنة ، اللعنة ، الكبرى ، تطاردني ،
حلّت باجدادي
غداً تواجه أولادي وأحفادي

إليها

هنـــاك ، هناك على الرابيه　　جننت بليـلى وجنت بـــيه

هناك استحال الزمان عشيقين　　لا يعبثان : أنا وهيـــه

فلم يبقَ في الأرض شيء سوانا　　فأشكو إليهـــا وتشكو ليه

كأني بهـــذي الدنى آدم　　وحوليَ تمرحُ حوّائيـــه

هناك احتويتُ الغرام بريئاً　　بعيداً عـــن اللذة الفانيه

هناك ضممت الوجودَ وهمتُ　　إلى الأفقِ تخطرُ آماليـــه

وأهدى ليَ الحبّ أحلامـــه　　فراحتْ تعـانقُ أحلاميه

* * *

هناك هنـــاك على الرابيه　　نسيتُ عـــذابي وآلاميه

مزجت دمائي بطهر الحياةِ　　فراحت تثور بأعراقيه

وأغمضت عيني على ساعـــةٍ　　من الأنس أعجل من ثانيه

فكانت لقلبيَ بعضُ العزاء　　وكانت لحبي قربانيه

تجردت عن كلّ مـــا أشتهي　　وأزهقت ما تشتهي ذاتيه

فلم أرَ إلا الجمـــال حبيباً يعانق روحي وأهوائيـــه

* * *

أحبـّـــك حب السنا للسنا وحب العنـــاقيد للداليه
أحبك لا قيس قـــد فاتني بحبٍّ ولا قال أشعاريه
أحبك زهرةَ روضٍ ذوتْ وفي نفسهـا قطرةٌ شافيه
أحبك شعرَ فتىً مبـــدع تفلّـت لا وزنَ لا قافيه
أحبـــك كالطير في سجنه يحنُّ لأفراخِه النـــائيه
أحبك غضبى ويزداد حبي اذا ما ترائيت لي باكيه
أحبك كالقرب يرجى وما هويتك سكرى باحضانيه
أحبك نشوى بخمرِ الصّبا وأهواك ، أهواك يا قاسيه

* * *

هناك هنـــاك على الرابيه جننت بليـلى وجنت بيه
فـــلم أصحُ إلا على همسةٍ من الغيب تسري بأعماقيه
تتمتم للقلب سرَّ الحيـــاة فتبعثـــني مرة ثانيـــه

الى بنت الطبيعة

نامي على حضن الطبيعة نامي — يا سحر إلهامي وسر غرامي
نامي فقد نامت عصافير المسا — وتمتع العشاق بالأحـلام
هيا أعيديني فقد بات الهوى — يستلّ من جسدي النحيل عظامي
هيا إلى الأحراج نستبق الضحى — ونخلد الذكرى مدى الأيـام
فاصوغ من ألم الهوى لك آيةً — هي أروع الآيـات في الآلام
والشعر نغمة عازف لك فنه — هو أروع الألحان والأنغام

* * *

ما ضر لو هزأ الهزار بحبنا — أو أنكرت أذن الأنام هيامي
أو أطلق الحساد ألسنة الخنا — في حماة الأوحال دون لجام
ما ضر هذا والغرام منزّه — يسمو بروحي فوق كل غمام
فالطير قد غنّى وتمتم ضاحكاً — لما رأى العشاقَ في استسلام
والشمس في كبد السماء ضحوكة — ترعى الغرام بضوئها البسّام
والبدر يخترق الغمام مفاخراً — نثر الجمال على ذرى الأعلام

والحورُ في الغاباتِ أو حول الربى　　سكرى الهوى ذهبيـة الأحلام

* * *

بنت الطبيعة أنت في أحضانها　　نامي على حضن الطبيعة نامي
قد بت أخشى أن تمزق مهجتي　　إن بحت أو حاولت همسَ كلام
أين الظباء تثيرني خطراتها　　وتعيد لي وثباتهـــا أحلامي
وتهزني أصواتهـــا وتذيبني　　وتقيلني السكنات من أسقامي
رفرفتَ يا علم الهوى فجعلتني　　أشقى وأتعس منك في أوهامي

* * *

هذي الأزاهر في الرياضِ شذية　　ولأنت أحـلى من شذا الآكام
فتمتعي بالشدو بين غياضهـــا　　وتفتحي كالزهر عن أكمـــام

أحبك طفلة

سناك يضيءُ وجـــداني وروحي
وُيذْكي عَبْرَ أحلامي طموحي

لك الأيام تحيـــا في جراحي
فتبكي بالهوى الدامـــي جروحي

فيـــا حبّاً شقيتُ على يديـــه
أتبقى العمر تلهيني وتوحي

يلذّ لذكرياتي أن تُغنّي
كما غنّى العذارى للمسيح

أحبك طفلةً سرقت خيالي
وأنثى أشعلت مني جموحي

صـــلاتي في المساء إليـــك أنت
وانت لدى صـــلاتي في الصبوح

لأجلك كانت الدنيــا سريراً
فظلّي فوق مَسْبَحه الفسيح

حياتي عنده ماتت حنيناً
وعاشت في لهاثك والفحيح

سأنحتُ هذه الذكرى نشيداً
تطوف الكون من ريح لريح

يطيب لي الهوى صعباً عنيفاً
فبوحي بالهوى أو لا تبوحي

دمي أنت سأفديه بجرحي
وأفطمه على كِبْري الجريح

تحية صديقة

« من شعر الطفولة »

تحيـــة وسلامـاً اليكِ خِدْنَ الصفـاءِ
حِبـّي وما الحبُّ إلاَّ داءٌ بغـير دواء
يكاد يقتـــل نفسي

في الصـــدر منيَّ نارٌ إحراقهـــا يتمادى
تقول للقلبِ رفقـاً غداً تحول رمادا
والهف نفسي لنفسي

في هدأة الأسحـــار بـــين الشجى والأنين
بالسنِ الأطيـــارِ أبثُّ كلَّ حنيـــني
تحنُّ نفسي لنفسي

انشودة لشوقي [1]

سجد الفنُّ لشوقي في قصيده
وله الوحيُ تجلَّى في نشيده
ربّ شعرٍ طوق المجد بجيده
سوف يبقى للزمنْ للعلى والوطنْ

يا أمير الشعر مجداً وتحيه
شعرك الدريّ آي سرمديـه
ألبسته الجنُّ تاجَ العبقريــــه

عظمته الشعراءْ رفعته كاللواءْ

---

(١) هناك قصيدة رثى بها كال الشاعر أحمد شوقي ولكن اضطرابها حال دون اثباتها ، و أثبت هنا هذه الأنشودة للدلالة على المثال الأعلى الذي كان يلتفت إليه كال في مطلع حب الشعرية .

فلسطين الأبية

« في الثورة الفلسطينية الكبرى »

هذي فلسطينُ الأبيــةُ في السلاسل والقيودْ
يقضي بها الخصمُ العنيدُ وليس تنفعها الجهودْ
قرّتْ بهـا عين الجبان وكلُّ نمّامٍ حسودْ
ما بين ظلم الانكليز ، وبين طغيان اليهودْ

يا مكدونالدُ ترى تناسيت المودّةَ والعهود
أيام كنت لنـا الحليفَ وكنت ذا الخلّ الودود
يا ليت شعري هل عفت تلك الوثائق والوعود
إن كان جُنّ بها الزمانُ فسوف يعقِلُ من جديد
والدهر يجتاحُ الكرام كأنـه الخصم العنيدْ
لا بدّ للتاريخ يوماً أن يعود وأن يسود
يا دولة التيمس أبعدي عنّا أذى الشعب الطريدْ
ودعي العروبــة تستردّ ذخائر المجد التليد
فيقــالُ ساد الانكليزُ بعدلهم لا بالوعيـد

الغجرية الحسناء

إلى الغجرية الحسناء التي مرت بي سحراً وقد خلع الفجر على وجنتيها حياءه. أقدم هذه الأبيات ، فهي من وحيها وسر إلهامها.

« نالت هذه القصيدة الجائزة الأولى
في مباراة الانتاج الشعري
التي أقيمت في مدرسة بيرزيت »

عيناك سر كآبتي عيناك   عَرَضاً صُرِعْتُ بلحظكِ الفتّاكِ
هيهات أن يبرا العليلُ من الهوى   حكم الهوى فوقعتُ في الأشراك
أرسلتِ سهماً كان فيه منيتي   فسرى كمسرى النور في الأسلاك

* * *

شاهدتها والنفس لجَّ بها الهوى   والقلبُ مطرد التأوه شاك
والليل قد لبس الحدادَ كراهبٍ   سئم العبادةَ ، ضلَّ في الإشراك
والبدر قد تخذ الغمامةَ معطفاً   يختالُ تيهاً في ذرى الأفلاك

* * *

شاهدتها تفتنّ في خطراتهـــا فكأنهـا رجعٌ لصوت الحاكي
شاهدتها والفجر لاح كعاشقٍ من مرقص النجمِ الحزين الباكي

* * *

ناديتها فاحمر عن خفر الهوى وجهٌ نحيلٌ ظاهر الإنهـــاك
مكحولةٌ في طرفها حَوَرُ المها فنانةٌ تسمو عـــن الإدراك

* * *

غجرية : ساءلتهـــا قالت بلى قلب البهاء عرفتـــه بسناك
لولاك ما طاف الخيال بخاطري فالوحي نور شعّ من أرجـــاك
فيك الهوى العذريّ بثَّ جذوره قدَّستـــه وحفظتـــه بحماك
قدماك عاريتـان يا بنت الهوى قدما المسيـح الناصري كذاك
طوّاف أرض سار ينتعل الثرى وسبيـــله قد حُفّ بالأشواك
فكلاكما عبست له أيامـــه في غمرةٍ .. أتراه كان أخاك !!
أنت القصيدُ ووحي كلّ مشاعري السحر صانك والقريض رواك

أنت كأسان

كانت مريضة ، وكانت تغني ، وكانت شقية ضائعة !!

أنشديني فلست أصغي إليك ... إنمـا للسماء في شفتيـك
خفقت بلبلاً شجيّ الأغاني ... وتهاوت لحنـاً على أصغريك
نبرات كأنهـا بعض روحي ... تتسامى نشوى على عينيك
سكرت دونها الكمان ، وراحت ... تتلوى حنـاجراً في يديك
آه يا دميتي ، تلاشى وجومي ... مرحاً ، واستفاق في مقلتيك
شمعة أنت قـد أضاءت لأحيا ... وأراهـا تموت في برديك
فاملأي معبدي شبابـاً ونوراً ... فعليه من الدجى مـا عليك
وشبـابي لحن يتيمٌ وحسبي ... أن أراه يهـيم في لمتيك
وفؤادي الشقي يلطـم جنبيّ ... يودّ الرقـاد في جنبيك
لو كتمنـا وداده وهواه ... لعصاني وراح يمشي إليك !

* * *

العنـاقيد أثمرت فاتركيهـا ... أنـا أولى بهن من راحتيـك

ودمائي تصيح عبر الدوالي فتصيح الدمـــاء في وجنتيك
والصليب الذي تدلى خشوعاً صلبته الأيام في نهديــك
فدعيني أفدي الصليب بروحي وأقـــيم الصلاة في ساعديك
أنت كأسان ، من فتون وفن تاه ثغري سعياً على كأسيك
كلما زدتني العطـــاء ، تمادى وتغنى بنشوة .. لبيـــك !!!

* * *

زورقي تائه المنى ، قذفته رغباتي شوقـــاً على ضفتيك !
اسألي الريـــح ، كم تشبث بالموج ليبغي الأمـــان ، في شاطئيك
رب موج، لم يعرف الحب يوما بات أحنى عليه من ناظريك

عيون من الموصل

تضحك لي ، فيضحك العمر لي وألتقي طيف الهوى المقبـــل
على عيونٍ ، لونتهـــا الدنى بأخضرٍ ، ربيعُــهُ مخمـــلي
أسطورة من قـــال أن السنا لا يرتمي في طرفها الأكحل
أسطورة .. بل قـل شعاع المنى همى علينا في ربى الموصل !!

* * *

أعرفهـــا ، فيـا غيوم انجلي عن مقلتي ، ويا نجومُ ارحلي
أعرفهـا من قبل أن نلتقي وقبل أن تشتاقهـــا أنملي
كانت ببـالي عاصفـــاً ممطراً تحملهـــا الريحُ إلى جدولي
وأدّعيهـا في صدى خـاطري قصيدةً مـــاجت على مغزلي
يهمّ ، يحكي قصتي في الهوى عن حبّنـــا الضائع والأولِ

* * *

تضحك لي فيـــا رؤى أقبلي من دربهـــا ، وحدثي وانقلي
من عطرها ، نفحة طيب مضت تقصدني بشعرهـــا المهمـــل

تطلبني في وجهها نظرة هوجاء ، لم تتعب ، ولم تخجل
كأنما شدَّت إلى مقلتي عيونها ، بوحيها المُنزل
تعرفني .. يا نزواتي اصمدي في غمرة اللقيا ، ولا تثملي
وعانقي الأجواء من حولها وقبّلي ، وجودها ، قبّلي !!

صلاة

رب صنها وامسح جراح فؤادي بحنان يسمو على أحقادي
أنا عبد ألجّ في أصفادي سمة الضعف وصمة في العباد
فاعطني قوة تفك قيادي

رب صنها لأنني أهواها لفظة يصرف الأسى معناها
وعروقي مشحونة بدماها خضبت خافقي الجموح فتاها
فكبا خاطري وضل رشادي

رب صنها قريبة وبعيده فكرة للهوى تحوك خلوده
ووميضاً للوحي تذكي وقوده كلما أخمد الزمان وجوده
ورماني بالعجز في إنشادي

رب صنها لأنها بعض ذاتي أنفت أن تظل بين حياتي
أتراها تكون من نزواتي غافلتني وأمعنت في عداتي
واستساغت حلاوة الاضطهاد ؟!

رب صنها على السراب المضل   راح من حولهـــا يشير ويملي
موكب صاغها الوجود بجهـل   يتهادى مـا بين كهل وطفل
يتبنى شريعـــة الصياد

هي عشر من السنـين الطوال   شدهت خاطري وأدمت خيالي
وتمشت محمومـــة في نضالي   وتهاوت جريحـــة الأوصال
تتنزى من خنجر الجلاد

رب صنهـــا فقد سموت بروحي   أتحدى الحياة ملء جروحي
أنا فلسفت غـــايتي . طموحي   في الهوى إذ عرفت سر جموحي
ولبست الخلود في أصفادي

رب صنها ولا تسل كيف أسمو   إنـني من رؤاك روح وجسم
إن معنى الهوى عطـاء وغرم   وجنـــوح إلى السماح وسلم
من لهيب الحرمان والاتقاد

غير أني وقد تحطـــم كاسي   فوق ثغري ألـلم اليوم نَفْسي
كبرياء على حـــرارة حسي   فأغني في عرس « ليـلى وقيس »
أغنيات الحياة والاسعاد

كبرياء .؟ من قال في الحب كبر   بدعة حاكهـــا ضعيف أغر
في حنايا أوهامنـــا تستقر   وعلى دربنـــا العقيم تمرّ
من حطام الأجيال والآباد

حلوة أنت فابعدي

عرفتها بعد الموت .. فما استطاعت أن تهب لي
الحياة فأبعدتها .. وقربتها ..!

حلوة أنت ، عذبة الانطلاق   في خيالي المجنح الآفاق
فاخطري ما تشائين فيه وظلي   فكرة للعطاء في أعماقي
طفلة مثلما اشتهاك خيالي   وتمنّاك خاطري ومذاقي
كانسجام العنقود فوق الدوالي   يرمق القاطفين في إشفاق
طفلة ، ذنبها انبثاق صباها   في فتون ، معربد ، دفاق
سكبت روحها الطبيعة فيها   واشرأبّتْ في وجهها الرقراق
وسرت رعشةُ الحياء بخديها فكانت أعجوبة الاطراق
والحياء الأصيل أفتك سهم   في شغاف النفوس والعشاق
كل شيء فيها يثرثر بالحسن ويهمي بالنور والاشراق
كل شيء فيها يشير إلى الله إلى فنـــه العجيب الراقي
أبدعتها يداه ، تيهاً ، فأمسى   يتحدّى المخلوقَ..في الخلاق!

* * *

حلوة أنت فابعدي عن خيالي   واحذري العاصفات من أشواقي
أنت أسمى من أن يلوثك الشوق ويسري في صدرك الخفاق
فاصعدي للنجوم في خاطري المجنون ، ظلي طيفاً على أحداقي
كلما ضمني ، أضمّ فراغـــاً   من لهيب الحرمان والاخفاق
أنت أحلى بعيدة عن ذراعيّ وأشهى غريبـة عن عناقي
أنت فوق اندفاع ثغري جنوناً   في أتون الغرام والاحتراق
أنا لي فيك مطمعٌ عبقريٌ   فوق حسي ولهفتي واشتياقي
يتسامى على الوجود ويهمي   في حنايا السنين والأعماق . . !

* * *

إيه يا حلوتي - بربك - ظلي   قطرة للنـــدى على أوراقي
أنا صحراء شاعر تركتها   نزواتي قفراً ، لدى اغداقي
فاحبسي دونيَ العطاء وعيشي   في دمائي وحياً ، وفي أعراقي
لست أرضى للوحي فيك ابتذالاً   أنا أحميـه من فضول التلاقي
فاصمدي للرياح ، وانـتزعي قلبي وشدي على الإباء وثاقي
وانسجي منك قوتي وخلودي   وانشري للسنا شبابي الباقي

* * *

وتمرين في المساء بداري   بين نهب من الخطى واستراق
تسألين الضوء الصغير بقربي   من بعيد عن شقوتي واشتياقي

فإذا شعَّ من سراجيَ نورٌ   يمـــلأ الليل بالسنا الدفاق

فاعلمي أنهـا انتفاضة قلبي   قبل أن يعولَ الردى بالفراق

وإذا ما دخلت داري وداعاً   ولمستِ الصدودَ في استغراقي

ولمحتِ المأساة في وجهي الساجي وشممتِ الفناءَ في أحداقي

فاعلمي أنها انتفاضةُ روحي   تتهادى في موكب الانطلاق

فاهدئي جانبي ولا تتركيني   كهدوء الحياة بين السواقي

ربما يصمت العويلُ بصدري   ويموتُ الصراع في أعماقي !

الطبيعة المتجهمة [1]

سار عند الغروب عبر الجنانِ ... شاعر الحب والصبا والأماني

يتحدى الإلهام يأبى عليـه ... ويغني فتزدريه الأغـاني

ما له اليوم أنكرتـه رؤاه ... ما له اليوم قد جفتـه المعاني

أذهلته معـالم خاشعـات ... لفّها الصمت فهي خرس اللسان

هام في الروض يستثير سناه ... فإذا الروض معرض متواني

وأزاهيره الحسان حيارى ... مطرقات في ذلة وهوان

قـال يا طير يا كمان الأفانيـن ويا زفرةً من الألحان

أَوجف الناي في لهاتك حتى ... رحت تعصي طبيعـة الفنان

أنا يا طير لست أعلم مـا بي ... مذ أتيت الربى عصاني بياني

---

(١) القصيدة غير مكتملة -فيما يبدو- وهي في استقبال عائد إلى الوطن ، ولكن مقدمتها في تصوير اباء الإلهام الشعري عن إسعاف الشاعر بما يقوله في تلك المناسبة ، ولذا تصور الروض معرضاً عنه متجهماً . ولهذا جاءت المقدمة مناقضة لمعنى الاستبشار بالعودة .

وعراني وجوم هذي الأقاحي قد أشاحت كأنهـــا لا تراني
أيّ سر طويتَ عنيَ يـــا روض خبيءٍ في صدرك الريانـ
أجفاك الغمام حينـــاً فثارت فيك للمـــاء شهوة الظمآن
أذَوتْ فيكَ وردة كنت منهـا تستمـــد الحنان كلَّ الحنـانـ
قال لا لا ! وإنما هي دنيـــا لطمت جبهتي وأدمت جناني
فغداً يحمل الشراع عظيمـــاً رافقتـــه جوانـح الأوطان
فانظري يا ربوع كيف يحيّـي موكبُ المجدِ سيدَ الشبانـ

أطليق أم سجين ؟!

أطليق في موطني أم سجينُ ... لست أدري؟ وإليس تدري السجون

تهتُ في زحمة الصراع ، فيومـاً ... فارس للحمى ويومـاً ظنين

ضيعتني عشيرتي ، ليت شعري ... من تراني بها ؟ ومن ذا أكون ؟

كدتُ أنسى في حيرتي ذلَّ قيدي ... وكأني لهـا أسيرٌ رهين

أنا في غمرة الضيـاع جراحٌ ... تتغنى دومـاً وروح حزين [1]

هانت الروح في دروب الأماني ... والأماني على الهـوان تهون

ومشى الموت للخلود رهيبـاً ... وتعرَّتْ على الصراعِ السنـون

وهوى الحلم في صدور بنيـه ... وتساوى السجّـان والمسجون

---

(١) في هذا البيت نجد العنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه «جراح تغني» وقد وضع هذا البيت في المسودة ضمن قوسين وإزاءه علامة استفهام .

عمر قصير

صحوتُ مع الفجر أبغي المسير | فإني أحبُّ الضحى والبكور
وقلت لنفسي ابسمي للحيـــاة | ولا تجحديهـا فعمري قصير
ألم تبصري الموتَ في مقلـــتيّ | ألم تبصري في فؤادي القبور
دفنت به أمنيـــاتِ الزمان | وكفّنت فيه بقـــايا الشعور
فلا الحبَّ أبغي،ولا البغضَ أبغي | وسيانَ عندي ظـــلامٌ ونور
فلا الحق يجدي ولا الخير يرضي | فدنيـــا السلام كدنيـا الشرور
هنـــا في فؤادي دفنت الحياة | وفي خاطري قد قتلت الضمير

الزهرة الصريعة

في رثاء رزق سليم المنير زميله في الدراسة بمدرسة بيرزيت .

زهرة الروض ذوت	كفنوهــــا بالدموعْ
ليس في القــــبر ثوت	إنمـــا بين الضلوع
ويحها مــــاذا جنت	بات يكسوها النجيع
غادرتْ روضتَهــــا	خيرُ أزهار الربيع
فــــاذا الطيرُ شجٍ	يندب الزهر الصريع

فقد سهيل [1]

مات سهيل فأدمى موته كل كبد ومزق كل فؤاد . وهـــذه دمعة وفاء من ابن خالته الذي كان يكن له الحب الشديد .

* * *

يا يوم فقدك يا سهيلُ وقد غدا — فرداً لدى الأيام في حكم الردى

وكأنما الباكي عليك بدمعه — لم يبكِ قبلاً في البرية أوحدا

ما للقريض اليوم فيك يعقّني — ما للقوافي البكر أمست شردا

أضحى القصيد غداة موتك جافياً — وبدا الرثاء الحق فيك مقلّدا

وغدت دموعُ العينِ تجرحُ مقلتي — فكأنمـــا سيف بجفني أُغمدا

نفثات مصدور تملكه الأسى — يصغي وليس إليه منك سوى الصدى

يا أيها المَلَـكُ الوديـع ألا اتئدْ — قرّحتَ أجفاناً عليك وأكبدا

والهفتاه لبير زيتٍ قـــد قضى — غضاً فأبكانا وأبكى الجلمدا

فلو أن قلبي فيه بعض طهارة — لجعلت قلبي يا أخي لك معبدا

---

[1] من شعره في سن الثالثة عشرة .

خرجوا بنعشك يا سهيل فخلته سارت به العبرات لَمَّا أنْ بدا

وحسبت أمك تستطيع تجلدا مـــالي أنا لا أستطيع تجلدا

أهفو اليك بعبرة مسفوحـــة وأشيح عنك وقد أحاط بك الردى

بالأمس جدتُ أخي بآخر عبرة وحسبت أن الحزن لن يتجددا

واليوم يفجعني القضاءُ بآخرٍ تباً لهذا الدهر كيف تمرّدا

محمد في الغار

خطر الوحي ملهماً عبقريا | بين جنبيه فاستفاق نبيـــا
وسرت رعشة النبوة فيـه | تمـــلأ الأرض والسماء دويا
هبطت سورة الحجى فتغني | يا ليـــالي وكبري يا ثُريا
قيل للغار أي نطق جميل | ما عهدناه قبل ذاك شهيا
فدوت آية الكتاب حنـــانا | قد اتينـاه منزلاً عربيــا

٢٤ أكتوبر ١٩٤٧

اليتيم

حاربيه وأمعني في عذابـــه يا رزايا فليس يعرف ما بـه
سكرة للشقاء لم يصح منهـــا صرعتـه على ربيـع شبابـــه
حمل الرزءَ وهو يجهل ما الرزء ويمشي على رؤوس حرابه
سلختـه الحياة عن أبويـــه ونـأت باليتيم عن أترابـــه

* * *

لا تلوموه إن شكا ربّ شكوى خففت من شقائه وعذابـــه
إن للدمع صرخـــة تسمع الله كوقع الصلاة في محرابـــه
من لهذا الضعيف في الزمن الظالم غير الدموع ملءَ اهابـــه
من لهـذا القلب الشقي المعنّى جرّدته الأيامُ من أحبابـــه
من لهذا الشجيّ يغمره الحزن سوى المنعشات من أكوابـــه
كلمـا عاقر المدامـــة صرفاً لج في بؤسه وفي تصخابـــه

* * *

سار في حماة الخنـــا لا يبالي ميت الحس فاقداً لصوابـــه
فإذا الداء أرقـط يتـــلوى فوق صدرٍ مشى الضنى في رحابه

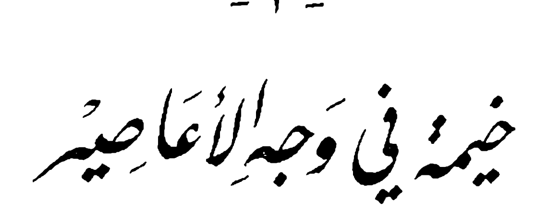
رب مستهتر سعى في خرابه   عابثاً يزدري الفضيلة جهراً
إنما اليتم مجرم في عقابه   لم يكن مجرماً وما كان وغداً
كلُّ خطب يهون عند مصابه   صرعة الدهر لليتيم مصاب
أين منه الأنيسُ من أصحابه   أين منه الحنان في ظلّ أهلٍ
والمرء عزمةٌ في شبابه   أين منه أبوه ينفحه العزم
ويحه سُطِّرَ الشقا في كتابه   هكذا يخلق اليتيم ليشقى

* * *

عبقريّ الفؤاد أروع نابه   كم يتيم جنت عليه الليالي
لمشى المجد والغنى في ركابه   لو حبته الأيام حظاً وعطفاً
المعالي قضى صريع رغابه   كم يتيم جمّ الرغاب طموح
في خضمٍ من الأسى وعبابه   أهمل الناس شأنه فتردى
ردّه وهنه على أعقابه   كلما حاول النهوضَ ليسعى
رفع الحق فاستوى في نصابه   أحمد ذلك اليتيم المفدى
بهر الكائناتِ وهجُ شهابه   شعَّ في غابر الزمان نبياً
إلى ذروة الهدى وهضابه   حمل المشعلَ الذي مزق الجهل

* * *

وانبري كالغمام عند انسكابه   أيهاذي الأكفّ سيلي حناناً
بل أنت ديمةٌ من سحابه   إنما أنت راحةُ الله للإحسان


- ٢ -
خيمة في وجه الأعاصير

سألمها في قبضتي وطنا

ماساة هـذا الجيل مـاساتي وجراحه الثكلى ـ جراحاتي
أنا بعض ما ينساب من دمه وكأنـه من بعض آهـاتي
قدران في درب المنى اعتنقـا هيهات ينفصلان .. هيهات..

* * *

وتصيح بي وتصيح تسالني عـــن سر آلامي وأنّاتي
فعيونهـــا في الهم ترمقني وبظلها تعرى حماقـــاتي
قد هاجها ألمي وروّعها حزني .. وأشلاء ابتساماتي
فمضت تهدهـدني وتسرقني بحنانها الظمآن ، من ذاتي
وتلح في نُصْحي وتقبرني همـــاً وتقسو في مناجاتي
وتردني ولداً وترجعـــني طفلاً ، أُعاني من شقاواتي
تستلهم المـاضي ، تُذكّرني أحلى سويعاتي وأوقـــاتي

* * *

أمـاه يا ظـلي ومرآتي أماه .. يا أغلى صديقاتي ..

إني أحس الكون يصخب لي ضاقت ملاعبــه بغاياتي ..
لمـــا لجمت بصدره وتري جمحت على جنْبَيْـه مرساتي
وأطلّـت الأحـلام تزرعني وتعـــدني للموكب الآتي
فإذا أنا ألتذّ سرحـــاتي وأعيش تجربتي وويـلاتي
أمضي إلى قدري أعانقـــه وأضمه عبر انطلاقـــاتي
تسري على عينيـه يرمقني يطوي بأعماقي مسافـــاتي
فترفّقي أمّاه واصطبري سأظل أعدو خلف زلاتي
أنا ثائـــر روحي تطاردني ضاعت على دربي سماواتي
سألمُّها في قبضتي وطنـاً فوجودها كلّ احتياجـاتي
إنّي لأسمعهـــا ترددني تبكي بوجداني وفي ذاتي
مأساة هذا الجيل مأساتي وجراحه الثكلى جراحاتي
قدران في درب العلى اعتنقا هيهات ينفصلان .. هيهات..

مصرع البطل ...

ما اعتصبنا المجد الأثيل ولكن   قد ورثناه كابراً عن كابر

(ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التأبينية التي أقامتها كلية بئرزيت للبطل الفقيد)

أيها الموت ! ته علينا وفاخر   لم يطش سهمك اللئيم الغادر
أنت لم تطوه صغيراً ولكن   قد تداعت في مقلتيه الكبائر
أنت لم تطوه جباناً ولكنْ   قد تهادى إليك نشوان ظافر
كم تحاشيتَ أن تراه فالوى   ليتحداك رابط الجاش ثائر
كم سعى في مجالك الخصب حتى   بتّ تلقاه خاشع الطرف حاسر
أيها الموت لا تسلْ أنت أدرى   كيف يسعى إلى حماك المغامر !
دونك النعش هل ترى من عليه؟   تلك أنشودة الجهاد الطاهر
ردّدي صوتَها الشجيّ وضجّي
يا ليالي وزغردي يا مقابر
زارك اليوم فارس عربيّ   عانقيه ، ورحبي بالزائر
زارك اليوم فارس عربيّ   عانقيه ، فذاك «عبد القادر»

* * *

ومشى القائد الكبير إليـه ملعباً بالشباب والشيب زاخر
ورمى جبهة الصعاليك بالنـــار وللصعاليك منا الخناجر
هيه يا موت ! أين أنت فلبت عصبة الموت من وراء «المحاجر»
فإذا الأرضُ شعـلةٌ ألهبتها هَمَـساتُ الجهاد عبرَ الحناجر
فجثا الحصن في يديه ولاحت رايةُ المجد بهجـةً للنواظر
ورنا صامتاً وفي مقلتيـــه ومضة النصر في صدور البواتر
فإذا قبضةُ الردى تدعيـــه لا انتقاماً وإنمـــا للمفاخر
وإذا الفارس الأبيّ طريـحٌ فوق أرض نديـــة بالمآثر
لم يرعه الردى ولكن عرته مثلما يعتري الغريب المهاجر
لاحت الدار داره ثم أغفت مقلتاه على الطيوف السواحر

* * *

يا فلسطين لا تبالي فإنّا قد روينا والخصم ظمآن صاغر
ما اغتصبنا المجد الأثيل ولكن قد ورثناه كابراً عن كابر
يا فلسطين لا تنامي ففينـــا أمةٌ تصفعُ الزمانَ القاهر
كلّ شبر على أديمك دنيـــا سوف يفديه شعبك المتضافر
كلّ فردٍ معذّب بأمانيـــه على أمـانيك يقظـان ساهر
مزقي حالك الظلام وسيري بالميامين عبر هـذي المجازر
فحرامٌ عليك أن يطلع الفجر وفي سوحك الجميلة كافر !!

* * *

يا فقيدَ الشباب حسب المنايا		لوعةً أن نقول : مات القادر
شمتت زمرة العدى واستطارت		لحماهـــا تزف فيك البشائر
أعطني قلبك الجريء لأمشي		نحوها مشية الهصور الكاسر
أعطني قلبك الجريء واغدو		كانتقامي مضرج الشدق فاغر
أنا حسبي في ذي الحياة شقاء		وعذابٌ يثير فينـــا المشاعر
هــــذه دمعتي تثور بجفني		ثم تهوي خضيبة بالخواطر
حسبها أن تكونَ دمعةَ صدقٍ		تتلظى على جراحات شاعر
ثمْ على سدرة الخـــلود فهذا		خالد قد أعد فيها الشعائر
لك ذكر كالزهر يبقى جنياً		في جبين الخلود ريّان عاطر

لغم باب العمود

حدثيني عن عصر عبد الحميـــد   وعن الهـــول والليالي السود
حدثيني عن وثبة العرب لمـــا   أجمعوا أمرهم لفتـــح أكيد
ومشوا للجهاد « سبعَ » كرام   ثم ولوا الأدبار« سبع » عبيـــد
رب«طبلٍ » قد أسمع الدهر صوتاً   أجوف الوقع « يعربي » الوعود
ونفير إلى القتـــال دعـــانا   لم يظلـــلْ براية وجنـــود
ذكرتني الأمجاد « باللغم » لمـــا   ثار مستضعفاً ببـــاب العمود

الى اقطاب الجامعة العربية

ماذا فعلتم بالبلاد سوى القضاء على البلادْ

يا عصبة «الخير» التي انتحرت على ثغر الجهاد

قوموا انظروا الشعب الفقير مشرّداً في كل واد

يشكو فلا تصغي له أذن ولا يؤويه ناد

رقَّت له عين السماء أسىً ورقّ له الجماد

فغفا على زند الطبيعة والتراب له وساد

قوموا انظروه مثخن الأحلام مكلوم الفؤاد

في مقلتيه ضغائن تغفو على صدر الرماد

أين العروبة « ركبها الجبار » ما بين العباد

فتشت عنها كل شبر في الوهاد وفي النجاد

فوجدتها كتلاً تدبّ على النميمة والفساد

وتحوك للشعب الكئيب، بلذّةٍ ، ثوبَ الحداد

الزعامات والشعب والطحين

حسبه أن يظل ملءَ زمانه وتراً راعشاً لدى ألحـــانه

حسبه شعلة النضال بجنبيـــه ونور الجهاد ملء كيانه

حسبه أن يعيش طيراً شريداً ينشر الهديَ عن ذرا أغصانه

شاعر جاءكم جريحَ الأماني فاصيخوا إلى صدى تحنانه

إن يك الظلم قصّ عسفاً جناحيه فمن روحه ومن وجدانه

جاءكم والشباب برعم زهواً وزمان الحصاد في ابانـــه

جاءكم والشباب في عمر الزهر جريء يختال في ريعانـــه

فاتركوه يرتّـل الشعر شوقاً ويحيّـي النبوغ في اخوانه

وهل الشعر غير معنى كريم رقصت روحه على أوزانـه

وهل الشاعر المحلّـق في الأفــق سوى رعشة الحجى وبيانه

شاعر جاءكم جريح الأماني رب جرح يسيل من أوطانه

لم يكن بالغريب عنكم ولكن هو في أهله وفي خـــلاّنه

* * *

يا شباب البلاد ، ما أضيـعَ العمر إذا الشعب لم يثر لهوانـــه

أنتم الزهر يانعاً لست أرضى أن أراه يذوي على أفنانه

إنما المجد وثبة ودماء فاتركوها تسيل في ميدانه

هو ذا الساحل الجميل ينـاديكم ويشكو الهوان في تسيانه

هو ذا الموج يلطم الصخر حزناً فاصيخوا للموج في هيجانه

واسمعوه يقول أين رجالي يا لعار التاريخ في دورانه

اسمعوه يقول ذلَّت رجالي وتوارى الأحرار عند صيانه

هرمت نخوة الرجال عن المجد ومات الاباء في عنفوانه

ما أضاع البلادَ إلا طغاةٌ أصبحوا للغريب من عبدانه

كلّهم مجرم دخيل على الشعب يُرَى راقصاً لدى أحزانه

كلهم مجرم ، ومن نكد الدهر احتمال الأذى ولثم بنانه

كلهم مجرم فلا تسألوني واسألوا الحكم عن مدى أضغانه

أعمت الشهوة الملحّة للحكم رجالاً فأغرقوا في دنانه

فاستفاق العدوّ في غفلة اللهو يذلّ البلاد في عدوانه

فاذا الشرق ملعب المآسي والمآسي تدك من أركانه

وفلسطين فتنة الشرق تهوي درة للجهاد عن تيجانه

* * *

صرعتهم سلافة الكسبِ والربح فأضحوا للبغي من ندمانه

وأباحوا هتك الحسان فرحى لأبيّ يبيحُ هتكَ حسانه

ما عليهم والدار فوضى غزاها كل علج يعتز في بهتانه

كان بالأمسِ قبلةً للمخازي تأنف الكاس أن تطوف بحانه
يتمنى عطف الكرام فلما بسم الدهر ، واعتلى في مكانه
لاح سمّ الأذى على ناجذيه وأطلّ الدهاء من أجفانـــه
فمضى يرهقُ الضعاف ويملي بطشه عنوةً على أقرانه
والزعاماتُ ، قلّبٌ خائفات كلها للنفاق خيل رهانـــه
واذا الشعب صامت يمضغ العسف ليمضي الموتور في امعانه
خائف واجف يلذ له الظلم ويمشي بـــه على جثمانـــه
وكأن البلادَ ملكٌ سواه لم يسلْ فوق أرضها من جنانه
ربّ شعبٍ في غمرة الذل أضحى ليس يدري حماره من حصانه

* * *

يا رجال البلاد هذي البقايا جرعت في الشقاء كاس هوانه
مرغوا رأسها الكريم بعارٍ سوف يبقى على المدى وزمانه
كم شمخنا للحق نرعى حماه فوق صدرِ الردى ولمع سنانه
فرمونا بالكفرِ والإثم لكنْ حبذا في الجهاد وقع طعانه
أخرسوا البلبل الجريء ولما يرسل اللحن ثائراً عن كمانه
ما عليهم لو حطموا كل يوم قلماً أطلق المدى لعنانـــه
هكذا تصمت البلابل في الدوح ليعلو النعيب من غربانه .. !

* * *

يا فلسطين والأذى فيك يسعى   أنا أخشى عليك من ثعبانه
عالم ساسه العبيد وأضحت   أمة اللاجئين من قطعانـــه
كم شريـــد على ملاعبه الثكلى غريق في كبره وهوانه
أشعث الشعر مزقته الليالي   ودماه جفت على أردانه
أغبر الوجه، ضامر الجسم يخفي   ما تبقى منه رمن عنفوانه
جائع البطن والذئاب سكارى   رقصت غيلـــة على أشجانه
عاري الصدر لم يجد غير ثوب   حاكه وهمه على بنيانـــه
يرتديه والريح تعوي وتزري   ببقايا الأطهار من أكفانه

* * *

يا عيون السماء اغمضتِ لما   شرق الكون في أسى طوفانه
أيقظي مقلةَ الحنانِ وهاتي   دمعةً تمسح الأذى عن جنانه
يا عيونَ السماء ردّي إليـــه   بعض ما قد أضاع من إيمانه
أضرمي جذوةَ الحيـــاة بجنبيه وزيدي اللهيب في بركانه
علّميه أن الجهاد صراع   تتلظى الشعوب في نيرانه
علّميـــه أن القيود لحرّ   سوف تهتز في يدي سجانه
واخبريه أن الخضوع لقوم   يجتنون الخيرات من بستانه
ويجودون بالطحين عليه   والعطايا قد كنّ من إحسانه
ذلةٌ يأنف الزمانُ لحرٍّ   يرتضي مثلها لحفظ كيانه

العودة الكبرى !

تهيأت إذ هاجرت ، للعودة الكبرى
وعــدت فراح النصر ينتزع النصرا

مشيت إليها ، والخصومات تنحني
أمامك ، لا تنفك مشدوهةً حرّى

كأنك في أعصابها الموت ؛ كلما
تسامت إلى دنياك ، ألقمتها المرا

تهاديت في الصحراء ، ملء شعابها
تجر على أذيالها الروع والكبرا

وما ذاك من كبر الارقاء إنما
تفجر فيك الوحي ، عن نفسه يعرى

وأضفى على الدنيا رؤاه ، فكبّرت
سماء تضم الكون من شوقها بشرا

طلائع بعث لم يزل ومضها هنـــا
يشع ليهدي الناس من مهجة الصحرا . !

* * *

تهاديت والايمان سر ، وللهـــدى
بصدرك آيات ، تتمتمهـــا طهرا
وحولك صحب ، أجمعوا الأمر بينهم
على المـــوت ، حتى لا يشاركهم أمرا
إذا عصفت ريـــح المنون بدربهم
مشوا نحوها يلقون من لفحها الحرّا
ففي موتهم معنى الحيـــاة لأمّـــةٍ
غوت في خضم الجهل،واحترقت كفرا
تهاديت لم تبخل على الرمل والحصى
فمسّتها بالغيث أدمعـــك الحرّى
وفجّرت بالايمـــان أعماق عـــالم
كسيح المنى ، ظمآن ، أحلامه أسرى
مشيت ، فهبّتْ «مكة» الجهل والأذى
وقد كبحت في صدرها الإثم والشرّا
فروّضتها بالبـــاس حتى تصدّعتْ
وخاطبتَ منها الروح ،فاستسلمت برّا

وهبّ إليك الشعب يلقاك داخلاً

بدين إله ، واحـــد ، خالد .. جهرا

فكنت على التاريـــخ أعظم قائد

تخلّدت إذ نظّمت عودتك الكبرى !

* * *

بروحي بلاد ، شرّد الغرب شعبها

فراحت تقاسي من دسائسه الجورا

بروحي بلاد ، مثخنات سهولهـــا

ترامى عليها البغي ، فاستنزفت غدرا .. !

بروحي بلاد ، لم يزل في رحابهـــا

نداء شهيّ الوقع ، يستلهم الذكرى !

يحنّ إلى من غاب عن جنبـــاتها

ويرنو إليهـا يشتكي الصدّ والهجرا

ففي كل شبر من ثراها ضحيـــة

تكاد تشقّ الأرض من كيدها ثـارا

وفي كل درب شاهد عن شقائهـــا

يطـلّ على الدنيـا ، يحمّلها الوزرا

تآمر هذا الكون ، يا عز أمـــة

تصدّت له ، لم ترخص البذل والمهرا

عصابات إثم ، ذل فيها اباؤهـــا
وجنّـت ، فهانت في ملاعبنا حيرى
ومن خلفها الغرب «الرخيص» يسوسها
وللغرب أخلاق ، إذا (استعرضت) تشرى !

* * *

بلادي .. وللآمال فيها بقيَّـــة
إذا مسَّـها الايمان يضرمها جمرا
صمتِّ طويلاً ! واستطبت على الونى
حياة يودّ المجـد أن تنقضي عمرا
وأسلمت للتيّـــار أمرك ذلة
فسارت بك الأطماع في موجة سكرى
كأنك لم تزهي على الدهر حقبـــة
ولم تعتلي من عمره القلب والصدرا
هويت ، فذلّ الشعب ياساً ولوعـــة
وأحنى لدى إذلاله الرأس والظهرا ..
وقيل إذا مرّ الأنام بدربنـــا :
هنا لاجىء .. يحيا على دربـــه فقرا
جبان .. مريض .. جاهل ، لا تثيره
مآسيه ، بل تملي على روحه الصبرا

أماتت بنا الأرواح .. حـتى تهـدَّمت
وساد بنا داء الهزيمة واستشرى !

أجيبي بلادي! لِمْ تسمَّرْتِ ! ردِّدي ؟
وحقّ جراح الشعب، أن تهتكي السرّ ! !

فقالت .. وفي أجفانها بعض دمعـــة
تهاوت على الأحزان فاتّـقدت جمرا :

على كبـــدي المكلوم تختال عصبة
تريد لهذا الشعب أن ينتهي أمرا

تذلّ لأوهام الدخيل وتنثني
تسبّـح للطـاغي ، وتمنحه الأجرا

يقولون : حكام وأنيابهم مشت
تعانق في قتل الشعوب لهم ظفرا

* * *

فيـا وطني إن تبـغ عزّاً ورفعـةً
تموج بـــأحلام ، تظللنا الدهرا

فنظّـم صفوف الشعب ، نظّـم سبيله
على هـــدف واعٍ وحرّية حمرا

ندقّ بها باب الحياة عقيـــدة
ونلهب في أرجائهـا العقل والفكرا

على حلم للمجد في ظل راية
موحدة الآمال ، تستنهض الفخرا
تضم شتات العرب بأساً وعزّةً
يعانق قطر في عروبته قطرا
ويا وطني نظّم صفوف شبابنا
وشدّ بهم للشعب في أرضنا أزرا
تسامت نسور الجوّ ، إمّا تألّبتْ
عليها عوادي الأفق ، وانتظمت نسرا
فلن يرجع الفردوس إلا إذا انتشى
بنوه على الآلام ، واعتنقوا القبرا
فتحنا طريق المجد ، والمجد لم يزل
على خفقات الدهر ، مستوحشاً ، بكرا
فما ضرّنا ، لو نظّم الشعب نفسه
وهيّأ للفردوس .. عودته الكبرى .. !

* * *

ويا وطني والجرح ينزو ملاحما
وحقّ دمي ، لولاك لم أنظم الشعرا
تفجّر صدري بالصبابات والهوى
فرحت بدنيا البؤس أكتمها سرّا

فلست أرى إلاّك قلباً أحبّه
ولا غاية أسمى ، ولا هدفاً أحرى

ولا مرتعاً تهفو إليه ضراوتي
فتلجمها ، أهدابك الحلوة السمرا

ولا اعتنقت روحي نجوماً كئيبة
سوى نجمة بكماء .. تلهمني السحرا

تطلّ على « يافا » لتشهد قفرها
فالمح من إشعاعها .. جنّتي الخضرا

تشمّ بأنفي العطر من جنباتها
فاصحو على حلم .. يبدّد لي العطرا

فاسمع صوت الغيب يهتف في دمي
إذا شئت أن تحيا .. فعش دائماً حرّاً ..

الى الحاخام (م)

لبنان لن تمحيه هفوة ... عقها بالشر مطرانه ! !

صفّق له قد مات وجدانه ... واهتف له قد ضاع ايمانهُ
وافخر به فانه قمّة ... شيّدها في الدهر إحسانه ! !
يجود ، والمال على كفّه ... وهمْ تنزّى عنه شيطانه
أغراه أن يسجد في وكره ... فخرٌ والأطماعُ صلبانه
قربانه قدّمه ضلّةً ... فضجّ بالآلام قربانه
لو يستحي لصان أوطانَهُ ... وقد دجتْ في البؤس أوطانه

* * *

مهزلة الإثم قد حاكها ... في هيكل الآثام مطرانه
مطرانُ مَنْ هذا ؟ وما شأنه ... حتى اعتلى في أرضنا شأنه
قد كفرت في صدره نفسه ... وثار في برديه كفرانه
فهالة الدين على وجهه ... كفّنها باللؤم إنسانه [1]

(١) يؤيو عينه .

مسوحه الشمطاء كم رفرفتْ في جوفها للشرّ غربانُهُ
سيادة المطران ما ترتجي ؟ وفي جبين الليث أجفانه
هذا الفضاءُ الرحبُ ملكٌ لنا تفديه بالأرواح عقبانه
كم شمخت عبر الردى تتّقي مصائب الأقدار فرسانه
وكم غزاها الظلم فاستنفرت مصارع الأبطال ، غزلانه
في كل شبر أثر لا يني قد سبقت الموت أسنانه
على يديه مهجة أرخصت يمشي وفي كفّيه جثمانه

* * *

سيادة المطران من ترتجي ؟ هل جفّ في روض العلى بانه
وأين منه اليوم أشباله تسير للجلّى ، وشبّانه
أبعتَ أرض القدس للمفتري فعمّ في الآفاق طغيانه
والمهد هل يرضى له أهله عجائز الدير ورهبانه
إن الشموع البيض لو أطفئت لكبّرت في القبر أكفانه
وقطع « الباخور » لو بعثرت في مهده لانشقّ بنيانه
فكيف يرضى الشرّ قسّيسه وكيف يأبى الخير مطرانه !
أسلعة نحن ؟ إذن فلتثر عواصف الماضي وأحزانه
ولتسمع الدنيا دوياً لنا من زغردات الموت ألحانه
عن جبل « التوباد » لبى الندا أشاوس المجد وفتيانه

وقبّل اليرموك أردانهــا فاصطبغت بالطيب أردانُه

والنيــل فليسعدْ فإنّا له ولتبتهج بالنصر شطآنه

وليخشع الأردنّ من وقعها ولينفض الأوهامَ لبنانه

لبنان ! لن تعجمه هفوةٌ نمّقهـا بالشر مطرانه !!

العيد في الخيام

أقبل العيد ، فانهضي يا أمــــاني   من جحيم الآلام والحرمـــانِ !
واخطري في الخيام كبراً ففيهـا   من لهيب الحرمان ، أسمى المعاني
واهتفي في ضمير شعب جريـح   واستفيقي في صدر كل جبـان
إنمـا أنت رحمة أضرمتهـــا   رغبات الحيـــاة في الإنسان
أضرمي في العروق وعياً وهديـاً   في نفوس جريحـــة العنفوان
لن تعودَ الحيـــاةُ للشعب إن لم   تتملمـل على ربـــاه الأماني

صرخة الخيام . . . !

رمضان ، يا شهر الصيامْ حزنت لفرقتكالخيامْ !
حزن الجياع البائسون ،
المفطرون الصائمون ...
وتجاوبت رغباتهم ،
وتصاعدت صلواتهم ...
حتى يطول بك المقامُ
فيستوي في ظلك المتآمرون ...
المنعمون المترفون ،
بالبائسين الجائعين ...
الصامتين ، الصابرين على الجريمة .. في الخيام . !!

* * *

رمضان ، يا شهر الصيام جزعت لفرقتك الخيام

لِمَ لا تعود إلى الديار ؟
فيحس رهط المترفين ...
السادرين الغافلين ،
بالجوع ، لو بعض النهار !
فلربما يتألمون ويدركون
معنى الطعام !
ولعلهم يتساءلون
ويشعرون ويفهمون :
أن البطولة أن نكافح للرجوع ، وللحقيقة .. في الخيام .. !

* * *

رمضان ، يا شهر الصيام   سبّحت باسمك في الأنام
لم لا يجوع وجودنا ؟
للمجد ، للثأر الأكيد !
لم لا تزول قيودنا ...
عن ذاتنا .. نحن العبيد !؟
قد جاع تاريخ الأولى
فتحرروا بين الملا
واستعظموا بين الأنام
وتفهموا معنى الصيام
واستنفروا الدنيا ...

فكان الفتح ، فتح المؤمنين !
لهفي لنسل المؤمنين ... حتامَ يبقى في الخيام !!

* * *

رمضان ، يا شهر الصيام عزّت بدنياك الكرام
هيّء ، لما الجوع الطويل !
فالدرب صعب ، والسبيل ...
مجراه يهتف بالرجال :
أين الرجال ؟
ذلت على الأسلاب ، فانتصر الدخيل !
يا لذة الدرب الطويل !
من قلبه ...
من شهوة الحرمان نبتدىء الحياه
ونشق في الظما الجسورَ
لنبعث المجد الأثيل
ولنبتني مجد الكرام
المضربين عن « الصيام »
فلعلهم يتساءلون ، ويشعرون :
أن النهاية للشعوب ، وإن تأخرت الشعوب ..
فبهـــا ستنتصر الخيـــام ..!

شاعر في العيد

(للاذاعة في البرنامج العربي مساء الخميس في ٥/٧/١٩٥١ .)

يا شقـــاء الحياة أين بياني   أتراني أضعتـــه أتراني
أين شعري ولم يكن غير شعري   يملأ الكون بالصبا والأغاني
أين أنشودة الهوى والأغاني   أين ولت تكلمي يا أمـــاني
أين ما قد بنيت في عالم الوهم   وما قد سكبت من أجفاني
هذه الدمعة التي فوق جفني   بعض جرح يسيل من وجداني
يا شقاء الحياة أين اندفاعي   والشباب الشباب في الريعان
هرمت غايتي وأصبحت أمشي   فوق دنيا الآلام والأحزان
أتسلى بالحادثات وألهـــو   بصراع الوجود ملء كياني
أنا فانٍ والردى همسات   مغرياتٌ تصيح بي أنت فان
فاشرب اليأس مترعاً لا تخلّفْ   منه شيئاً لسائر الندمـــان
فذئاب الحياة لا ترحم الطير   وترمي به عـــن الأغصان

* * *

أيها الشاعر المحلق في الأفق   وحيـــداً على بساط المعاني

هوذا العيد أقبل اليوم يزهو بالمروءات والهدى والحنانِ
هوذا العيد أقبل اليوم بشراً ينشر الهدْيَ في ذرى الأكوان
لست أرضى للطير موتاً على الدوح لتعلو حناجر الغربان
فانسَ بؤس الحياة في غمرة العيد وداوِ الجراحَ بالنسيان
واملأ العيدَ بهجـةً ورواءً واملأ الكون بالشذا الريان
فالرسول العظيم قد بارك العيد وللعيد روعـــة ومعاني
بعد شهر من الصيام كريم وابتعاد عـن عالم الأضغان
وصلاة كأنما السحر فيهـــا تتهادى شوقـاً إلى الرحمن
أحمد قـــال بالصيام ليدعو قومه في الورى إلى الإيمان
فوعى الناس دعوةَ الحقّ حتى يطلع النور في دجى رمضان

* * *

يا رسول الإسلام قد أقبل العيد وللعيد روعـــة ومعاني
قل لهذا الشعب الكئيب المعنّى
كيف يمشي للمجد ثبت الجنان
قل له إن في الشدائد سراً عبقرياً يلذّ للشجعـــان
علّمَنْهُ أنَّ الحياةَ صراع فوق صدر الردى ولمع السنان
إنما العجز أن يذل لدى اليأس ويغفو على ذراع الهوان

* * *

يا رسول الإسلام قد أقبل العيد وللعيد روعـــة ومعاني

قد حملت العبء الثقيل قديماً وجمت الضّلال في الأوثانِ
أنت شيدت للعروبة صرحاً قدسيـــاً موطَّـدَ الأركان
وسنحميه رغم أنف الليالي وسنمشي بـه إلى الحدثان
وحدة العرب لم ينم عنك يوماً عربي ينمـــى إلى عدنان
أنت أنشودة تزغرد في القلب فتـاتي باروع الألحـــان
سيلمّ الزمـــان شملك مهما أنكرته ذئـاب هذا الزمان

انتفاضة الخيام

بلادي تململ حلمُ الجهـــاد على دربنا، فانتشى وانتصر !
فتمتم عهد ، وزغرد جهد وكبّـر مجد ، وغنّـى قدَر
ولاح على ملعب الذكريات ، نضال مرير عميق العبر
تمتـــه الليالي الى شعبنـا ليقطف عن جانبيه الثمر
وديست معـــاهدة الانـــكليز ، ولم تقض مِنّـا المنى والوطر
وزالت فزالت قيود الزمـــان ولم يبق شبر به من أثر
وكان صباح وكان مساء وكان جهاد .. وكان ظفر .. !

* * *

بلادي ولي في الضفاف الثكالى حنين قديم هفـــا وانتظر
أأنساه فلتنسني غايتي وعمري إذا راودتني الفكر
أأنساه عهداً علا شانـــه وصرحاً مكيناً ومجداً غبر
لتحيا رؤاه على خـاطري خيامـــاً تهزّ ضمير البشر
خيـــاماً ستقذف باللاجئين الى موعد مقبل منتظر
خياماً تعلّمنا أن نظـــلّ قلوباً تجمّدْ فيها الحجر

خياماً تذكّرنا بالضحايا تناثرُ في السهل والمنحدر
خياماً تشير لمعنى الحياة العميق بهذي الحفر
خياماً تشير الى بعثنا تطاول في أرضنا وانتشر
خياماً تذكّرنا بالدموع فتخشع بين المآقي العبر
فيرعد في صدرنا الإنتقام وترقص فينا طيوف الصور
نعود بلى اننا سنعود إذا ما اقتحمنا رحاب الحذر
على وحدة لملمت شملنا تعانق من أمسنا ما اندثر
فأهتف في موكب الهاتفين وللمجد قول رهيب الخطر
«إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر!!»

الى صديق

يا صديق الشباب إن قصّر الشعر فحسبي ما في دمي والمشاعرْ

هذه نغمة الوفاء أغنّيها وداداً وإنني به لأفاخر

إنما العمر وقفة وحبيب وصديق نشكو إليه المصاير

أنا إن قصّت الحياة جناحي سوف ابقى كالنسر في الأفق طائر

صرخة الميلاد

يا رؤى الخير حاذري أن تغيبي واصمدي للأذى بدنيا الذنوب
ان للحبِّ دمعةً ما توانت تتهادى بالطهر فوق الصليب
سكبتها جراح عيسى فسالتْ بضياءِ الغفران بين القلوب
أورقت بالحنان والنور حقّاً والمروءات والندى والطيب

* * *

وانتشت مريم البتول بفيض يتلظّى في جسمها المشبوب
واستفاقت على الأمومة فيها بين شكٍّ من أمرها ونحيب
ويحها زهرة الربى لم يقبِّل شفتيها إلا رحيق الطيوب
صدرها البضّ قمة لم يلامسْ رَبْوَتيها إلا خفوق الوجوب
عهدها بالهوى كعهدِ رضيع ضلَّ عن أُمّه بقفرٍ جديب
همس الله في ترائبها النشوى فماجت أعطافها بالدبيب
وأطلَّتْ من صدرها صبوات أمرعت بالندى الرضيّ الصبيب
فرنت للسماء خوفاً وقالت اغفري يا رؤى السماء ذنوبي
خانها أن ترى الحلال بعينيها وترقى الى وراء الغيوب

خانها أن ترى البشاشة في الكـــون على مقـــلة الإله المهيب
خانها أن تحسّ نشوته الكـــبرى حنانـــاً إلى الوليد الحبيب
فمضى ذعرها يُجرّح خدّيهـــا بدمع على الهـــوان سكيب
وتعرّت أوهامهـــا لأساها في حنـــايا إيمانهـــا المسلوب
تتلوّى كأنها قـــد أباحت نفسها وانثنت بـــأمرٍ مريب
وأقامت بها مكاناً قصيّاً عن فضول الملا وعين الرقيب
وتصـلّي ، فيرتمي من هـــداها ومضاتٌ على الجمـــال الكئيب
شعرها العسجديّ يرفـــل بالنعمى وينساب في جديل خضيب
مثلمـــا يرفـــل الشعاع على الأفق وينهـــار راعشاً بالمغيب
وجههـــا بسمة الطبيعـــة للأرض لدى موكب الربيـــع الخصيب
وعيون كأنما انشقّ عنها حـــلم أزرقُ المـــنى بالنسيب
فترقّ السماءُ عيناً وأذناً ومـــلاكاً ، مبشراً بالطيب
إيه يا مريم اهدأي لا تخـــافي والمسي الوحي في المجيء القريب
هـــذه نفحة السماء فصوني عهدها لذةً وقرّي وطيـــبي
وانحنت نخلة .. وأطرق غصن نابض بالجنى الشهيّ الرطيب ! !

* * *

إنهـــا ليلة أفـــاق بهـــا الفجر على مـــذودٍ حقـــير مهيب
كوكبت فوقـــه النجوم سناها وأضاءت في وجه طفل عجيب
هالة للمنى ترفرف بالشمس وتزهو على احتضار المغيب
خشعت مريم البتول لديهـــا وترامت على ابنهـــا المحبوب

يتراءى هنا مصير الأماني بين جنبيه راعشات الندوب
غده الأحمر المخضب بالمجـــد وبالبؤس والأذى والخطوب
وحراب اللئام تفتـــك لهواً تتسلّى بالموت والتعذيب
فأحاطت به لتحمي رؤاهـــا من رؤاها في عمرها المكروب
وتصلّي فيستفيق بها الوحي على نغمـــة شرود طروب
رددتها في المهد تمتمـــة الطفـل لتصحو على أنين الشعوب !!

* * *

وهنا الطفل بين أروقة الوحي على حلمه الغريب الرحيب
ثائراً يفرض المحبة في الناس ويدعو للخـــير والتهذيب
لا يبالي بالشوك يدمي خطـــاه في مجال الكفاح والـــترغيب
صمدت نفسه الأبيـة للآثام في هيكل الوجـــود الرهيب
لا يبالي أصغى له الشعب لمّـا أن دعاه أم هام غـــير مجيب
حسبه أن يفيض بالأمل العـــذب ويحيي في الناس ميت القلوب
فهو صفح ورحمة وحنـــان يتـنزّى على جراح الكروب !

* * *

يا نبيّ السلام في الهـــدأة البكر على الشاطىء الوجيع السليب
شرقت ضفّتاه بالهمّ والغمّ وبالإثم والدخيل الغريب
وغـــدا البحر رمله يتشكى فكثيب يشكـــو الأذى لكثيب
قم تطلّعْ أخا المروءات واشهد مصرع المجد فوق هذي الدروب

أرهقتهـــا دسائس الغرب لمّا هزأت بالصليب والمصلوب
البلاد الـــتي عرفت صغيراً ماجت اليوم بالونى والشحوب
والرياض الغنّاء في صدر يافا لوّنتها أسقامهـــا بالمشيب
نفرت من ربوعهـــا تتأوّى وتنادي ألويـــل للمغلوب
نام عنها حماتهـــا واستباحوا كعبة النور في الملمّ العصيب
ليس بدعاً وكلّنا بات عنها بالخلافات لاهياً والنعيب
كل يوم لنا خطيب جديـد يتلهّى عن حقهـــا بخطيب
فاخرسي يا عناصر الشرّ فينـا ، اخشعي في لظى العذاب وذوبي
حسبنـــا وصمة الزمان رَمَتْنا في فلسطيننـا ، بمسخ ربيب ! !

* * *

يا بلاد النجوم والحلـــل الخضراء يا طرّة الغمام القشيب [1]
يا رحاب السنا المطـــلّ على الكون ويا بسمة المـــنى للغروب
يا هديـــل الوفاء في غمرة الخطب ويا معقـــل الإباء الخضيب
يا نـــداءً يرفّ عبر الأماني خالداً بالحـــداء والتشبيب
يا جراحاً تسيل من كبد الشعب لتحيـــا في صدر كل أريب
لا تنـــامي فلا نزال على العهـــد احتراقاً للموعـــد المضروب
نحن حقـــد على الأذى ونضال يتلظى في مهده للوثوب

(١) يستعير الشاعر بعض أبيـــات هذا المقطع من القصيدة ، ويضمنّها قصيدة « أنشودة الحقد » التي ستَرد في ما يلي .

كيف ننساك والأماني تنادت   في مغانيك بالرجاء القريب
كل طير لديك يخفق بالشجو   ويشدو في الشوق كالعندليب
كيف ننساك والحنين عويل   حملته لنا رياح الجنوب
كيف ننسى وأنت معنى عميق   قد رضعنا رضابه في الحليب
وعقدنا على ثراك رؤانا   وحلمنا بكل شبر غصيب
سوف نأتي إليك يحملنا العطر إلى دربك النديّ السكوب
ذات يوم ، يكبّر المجد فيه   عبقريَّ المنى ، رهيب غضوب

الزورق الحائر

« من مجموعة أناشيد قومية نظمت بعد النكبة .. وقد أنشدته فرقة المنشدين في حفلة توزيع الشهادات في كليـــة ببرزيت ، وهو من تلحين الآنسة ريما ناصر » :

– ١ –

يا زورقـــاً يجري في الشاطىء المفقود
بالله هـــل تـدري مـاذا دهـا الأسود
ماذا دهـــا الشباب
ماذا دهـــا الرجال
قـد صرخ العـذاب
في مسمع النضـــال
ترى ترى نعود ؟

القرار حطّـمْ قيود الذل يا ابن الشقاءْ
فـيم الونى ؟
فـيم الكسل ؟
هـذي الدنى

بهـــا الأمـل

والزورق الحيرانُ فيـــه إبـــاءْ

- ٢ -

يا زورقـــاً يجري في الشاطئ الحزينْ

للريـح والبحـــر بدربنـــا أنـــينْ

بالله هـــل تسطيع

سعياً إلى الأوطـــان

شراعـك الصريـع

يعـــوزه الربـــان

لكنـه الحنـــين !

- ٣ -

يا زورقـــاً يجري في شاطئ القيودْ

غـداً بنـــا تسري طلائع الجنـــودْ

فـلم تزل فينـــا

شرارة الشعبِ

تفـدى فلسطينـــا

من ذلة الخَـطْـبِ

وتحفـظ العهـــودْ

- ٤ -

يا زورق النجـــاه مرساك في الضلوع

هل تنطوي الحيـاه ولا أرى الربـــوع

ذابت به الشمـــوع

فتـــاه في خطـــاه

وسالت الدمـــوع

فـلم أعـــد أراه

يسعى إلى الرجوع

جريمة الامس !

هذه مقاطع من القصيدة الثائرة التي ألقاها الشاعر في حفلة كلية النجاح الوطنية بنابلس

تململ الشرق في صحرائه سغبا ... والماء ينضح من صحرائه ذهبا
وجوّع الشعب في أكناف جنّته ... كأنما لم تفض شهداً ولا رطبا !
وشرّدَ الناس ، كلٌّ عن خميلته ... ليصبح الناس في أوطانهم غُرَبا
جريمة العمر هذي ، مَنْ يفسّرها ... ومن يبين ، لأحفادٍ لنا ، السببا
فتّشت عنه الليالي كي أحاسبه ... ورحت أعتنق الأجواء والشهبا
فلاح لي كوكب بالمجد مؤتلق ... يشعّ في جنبات الأفق ملتهبا
فرحت أسأله عن سرّ نكبتنا ... فاهتزّ في برجه المحزون واضطربا
وراح يرمي شواظاً من صواعقه ... يشير فيها إلى حكامنا غضبا ..!

* * *

يا أيها الحاكمون الشعب ، هل شهدت ... عيونكم ، شعبكم في عرضه نكبا
تلك المآسي الدوامي هل تثير بكم ... من نخوةٍ ذَلَّ فيها الكبر وانتحبا
تلك المآسي الدوامي لن تحرّكنا ... إن لم نوحّد على آلامهـــا الطلبا
تلك المآسي الدوامي لو تمرّ على ... كرم عديم الجنى تستنطق الحطبا

فيمَ التناحر والأخصام ترمقنا   إثماً ، وتلقي على أوهامنا الرهبا
تلتذُّ بالفتنة الكبرى وتشعلها   وتزرع الأفك بين الناس والريبا !
أخشى عليك بلادي شرّ صاعقة

أخشى النوازل ، أخشى الساسة النجبا !

أخشى الخلافات أن تودي بوحدتنا   بالأمس جرّت علينا الويل والحربا
لن يصلح العرب إلا في تجمّعهم   وحسبهم أن غدوا في أرضهم شعبا
تلك الحدود التي شلَّت توثّبنا   للنور ، من صنع غدّار بنا لعبا
وكلّ مَنْ يدّعي فيها سيادته   يريد أن يسحق التاريخ والعربا . !

* * *

يا أمةً ظمئت ، والماء يغمرها   كأنما وضعوا في مائها الرقبا
أعوذُ بالخوف ، أن يثني مشيئتها   فانها ظما قد تبلغ الاربا
تجمّل الشعب بالحرمان والتزمت   خرافه الهادئات : الصمت والأدبا
نام القطيع على أحلامه آلماً   وراح يكبح في أضلاعه الصخبا
ضريبة الجوع هذي سوف يحملها   وإن تحمّل من إذلالها النصبا
فللخيام التي أغفتْ على أملٍ   همسٌ إذا مسّ من أوتارها التهبا !

* * *

يا أيها الجيل من أبناء أمتنا   عفوَ الشبابِ إذا غنّيته لهبا
بعض الجراح إذا غنّيتها التأمتْ   وبعضها يتنزّى ثورةً وظُبا
لا تخمدوا ثورة الإيمانِ في دمكم   فالكون لولا لظى الإيمان ما التهبا
والعلم إن لم يكن للبعث غايته   فحطّموا العلم والإيمان والكتبا

ولا تخافوا فتقولُ الحقِّ مرحمةٌ كم ثائر دونها في قسوة صلبـــا

أنتم إذا جنَّ هذا الشرق ثورته هوجاء ، تلفح من فردوسنا اغتصبا

ومن تعصّب عن وعيٍ لأمتـــه مشى الكفاح وأبدى في العلى العجبا

فكلّ مجتمع في صدر وثبتـــه قد يجهل الناس فيه الرأس والذنبا

تعدّدت زحمة الألقاب في بـــلد لم تبقَ فيه دمىً لم تحمل اللقبا

* * *

تميمة الشعر هذي من يردّدها سكبتها من دمي المهراق فانسكبا

لولا العلى لم يسل جرحي ولا كبدي تفطّرت أكبداً ، واستنزفت تعبا

عشرين عاماً بعثتُ الشعرَ عاصفةً من النضال ووشّحتُ الدنى أدبا

ولم أجد حاكماً في الدار يسمع لي وضاع رجعُ نشيدي في البلاد هبا

واليوم أسمعُ عبر النيل قعقعةً تفجّرت في سما أوطاننا نوبا

جحافل الدولةِ الشوهاءِ قد نفرت بصدر غزّة تلقي الهول والرعبا

جريمة الأمس هيّا اليوم ندفعها موحّدين ، فنرضي الأمس والحقبا

ما ضرَّ لو نهضت بغداد في ولهٍ وصافحت أختها بيروت أو حلبا

وأجمعت في ربوع النيـــل قافلةً من الميامـــين تملي النصر والغلبا

ما ضرّ هذا وصافي العرق يجمعنا مذ كان تاريخنا أماً ، لنـــا وأبا

قد يحسن الحرب من يمشي لساحتها ويحسن الكرّ من قد أحسن الهربا .. !

يا مجرمون ! .

« هذه قصيدة من الشعر الحر أوحتها للشاعر ذكرى ١٥ أيار ... »

« يا مجرمون ! »

وتلفت الوطن الحزين   يصغي لزمجرة السكون

وقد استبد به العجب !

« ماذا هناك ؟

ماذا دهى دنيا العرب ؟

ما هذه الصرخات ...

يسفحها الغضب ! »

« يا مجرمون ! » ...   وانشق صدر الأفق ينضح باللهب

وعليه من وحي البطولة والأرب

والكون ، يهتف والسنون ... « يا مجرمون ! »

* * *

« يا مجرمون ! »

وتلفت المتآمرون   إلى الإساءة يسمعون

« ماذا هناك ؟

من هؤلاء الأشقياء

يزمجرون ويصرخون !

من هؤلاء الأغبياء

على الألوهة يعتدون !

أخرج لهم يا « شيخ » مزق شملهم

فلعلهم يتأدبون !

واخرس لنا هذا العواء

فالرحب ضج بهم ؛ وأرهقت السماء

مزق ! فهذا المدفع الجبار ... يحلم بالمنون ! »

* * *

« يا مجرمون ! »

وتململ المتآمرون لدى الجريمة يرجفون

ومضوا إلى ثكناتهم ..

يتحصنون !

والمدفع الجبار ..

يعصف بالمنون ..

وتخضب الرحب الأشم

وسال في البطحاء دم

واحمر أفق وادلهم

وتقشعت سحب المنون ...

فإذا هناك على الأَكَمْ

علم يرفرفُ بالشَمَمْ

يهتز في ظَفَرِ الألمْ

وشبيبة يتبسمون ، ويهزأون ، ويهتفون ... « يا مجرمون »!

* * *

يا مجرمون ! »

وتراجع المتآمرون ومضوا بذل يسالون

« من أين ؟ من أنتم ؟

وماذا تبتغون ؟ »

فانهدّ في الصمت الرهيب

صوت من الوحي العجيب

« من نحن ؟

ماذا نبتغي .. تتساءلون !

من نحن ؟

نحن الشعب يا من تخدعون

أحلامنا انتفضت وايقظها الطغاة الحاكمون

نحن العراة الشرفاء ...

نحن الجياع الأغنياء

نحن العبيد الأقوياءُ

وأنتم المتآمرون ، الظالمون ... يا مجرمون ! »

* * *

وغرقت في دنيـا الظنون أضم في صدري الشجون

أطوي على الذكرى جراحاتي ، فتخذلني العيون

ويسيل دمعي ثائراً وتفيض من قلبي الشؤون

فأرى خلال دمائها وطني تصارعه المنون

ظمآن للشعب الأبي يعود للصدر الحنون

وطن يعيث به العبيد ، ويصطفيه المارقون

وعلى الرحاب الشم من فردوسه ، يتحكمون ..!

* * *

وطني فديتك ، كل جرح فيك يا وطني يهون

والله ما نام الزمان وإنما أرخى الجفون

هي خلسة للغدر لاحت واستبدَّ بها الفتون

فاخفقْ على سيف الأذى وانهض على جرح السنين

وأصبر فمثلك لا يذل ، ولا يزول ، ولا يلين

احقاد شعبك حية حمراء يضرمها البنون

فانسج من الذكرى لها علماً من الحقد الدفين

فجريمة الأجيال يمحوها الأباة المؤمنون

وضريبة الإيمان ان نبقى على القسم المصون : —

« امّا يعود اللاجئون أو ان يموت اللاجئون ..! »

أأنساها .. !

أأنساهـا ، وفي قلبي لهيبٌ من هوى عذبِ !
أأنساهــا ، وذكراها تناديــني من الغيب
أأنساهــا ، وآلامي مبعثرة عــلى دربي
ألملمهــا ، فتنثرني شقاءً في سما الحب .. !

* * *

أأنساهــا وفي عينيَّ قلبي جــاحظاً ينبي
يكذّبني اذا حاولت ان امعن في كذبي
رقيب ، سئم العيش لدى صدري وفي جنبي
فمزّق ستر اضلاعي وفرَّ هوىً الى هدبي
يصيح بحرقة ياناس هيّــا وانظروا خطبي
فيغلبني على امري ويدري الناس عن حبي
ويفضحني فهل أشكو جموح القلب للقلب .. !

* * *

أأنساها ، وفي جنبيّ هــذا العاشق الثائرْ

انام على جراحاتي ويبقى ساهداً ساهرْ
ويخفق ملء صدر الليل يبكي حبه الغابر
فلا أدري ، انا في يقظةٍ أم حُلمٍ عابر
فيهتف بي أتنساها وتنسى طيفها الساحر !
أما غنيتَ يا شاعر في مهد الصبا الباكر
ولولاها أكنت العبقريَّ الملهم الشاعر
ألم تسرق لها القبلة من ثغر السنا الحائر
فتهرب منك في جذل حييّ ، بالرؤى زاخر
كما ينسلّ من زهر اريجٌ فوحه عاطر
اتنسى ذلك الماضي اتنسى حسنه السافر ؟
فقلت وقد براني الوجد إني ذاكر ذاكر !

* * *

أأنساها واسلوها إذن فلينسني القدرُ
ليخرسْ كلُّ لحنٍ في دمي وليهجع الوتر
ليصمتْ كلّ طيرٍ عبقريٍ ضمه شجر
لتظلم مقلة الشمس أسىً وليخشع القمر
ليفنَ الكونُ عن ظمإٍ فلا ضرعٌ ولا شجر
ولا جنات أحلام يرفّ بصدرها الزهر
انا ، ما نفع أيامي إذا أنسى ، وما العمر ؟

أأحرقـــه بلا ذكرى لدى جنبيّ تستعرُ
أيمضي الدهر بي كالطيـــف لا ذكر ولا خبر
أأنساهـا وهـذا الكون لي في لوحـــه أثر
سرقت رؤاه من «ليلى» فهاجت للسنـــا صور
توشّحُ ملعبَ الدنيا وفي جنبيَّ تحتضر ..!
وترقص في خيـــالاتي رؤى الماضي وتنتشر
فأذكر صدرها القاسي واذكر طيفـمن هجروا
فكم خانوا وكم نكثوا وكم نكروا ، وكم غدروا
فابسمُ رغـــم آلامي وأذكرهـا ، فانتصر
وحسبي ان يقول الحبّ كان يحبـــني بشر

* * *

أأنساها واسلوهـــا فانحر مهجتي نحرا
لأرضي الكبر في نفسي وأقضي في الهوى كبرا
فتعبث بي شقيقـــاتي ويهتفن غـــدا يبرا
وما يعلمن لو أنسى باني انتهى امرا
ومـا يعرفن معنى الحب في قيثارة سكرى
اذا أهملها الفنان عن قصد هوت قهرا...!
أأنساهـا وذاك دمي يلوح بخدهـا خمرا
أمدّ يدي لاقطفها فتمنعني يدي الأخرى

أمــدّ فمي لأرشفهـا فتأبى شفـــة غيرى
لقد بعت الدماء لهـــا وما قد بيع لن يشرى
فلن أشربها جهراً ولن أشربهـــا سرا
وحسبي اليومَ أن تحيا لديهـــا مهجةٌ حرى
فأنسجهـــا لهـا نثراً وأنظمها لهـــا شعرا
من الماضي لنـــا قبر سأحيي ذلك القبرا
أنام بـــه فتوقظني «لليلى» مقلة حيرى
فاطبقهـــا على ذكرى وافتحها على ذكرى ..!

دمشق ١٩٥٢

صلاة لم تتم

أصلي إليك ..
وكنت نسيت الصلاة
وشككت فيك كثيراً
وناقشت فيك الإله
ولكنني خائف يا إلهي
أعود جباناً إليك
فلا تتركنّي وحيدا
أمارس خوفي وحيدا
لاني برغم ادعائي
أحب الحياه
وكنت أظن الفضاء مكاني
وكنت أظن النجوم
لذاتي
وكنت أظن الغيوم

مناجاة

إن كنت إلهي فهبْ لروحي السكون
أما تراني حطاماً أسيرُ نحو الجنون

* * *

أنظر بعيني وقلبي تر الشجونَ العميقه
والمس بفيضك روحي واطفىءجراحي العريقه
آمنت فيك صغيراً بالنور منذ الخليقه
وكنت في الناس رمزاً لدى السنا والحقيقه

فرحتَ ترجم صدري بعربداتِ الفتون
حتى غدوت مريضاً أسير نحو الجنون

* * *

خلقت مني جريئاً في عالم الجبناءِ
أشقيتني بدموعٍ تذلّ من كبريائي

قلبي كبـــير ولكن يضج في آرائـــي

خلقتـني عبقريـــاً تشقى بروحي الظنون
حتى غدوت حطامـــاً أسير نحـــو الجنون

* * *

بنيت لي في فـؤادي هياكـلاً للجـــمالْ
أعيش فيهـــا وحيداً مشرداً في الظـــلال
لم أدْنُ منهـــا وظلت عـرائساً للخيـــال
رجعتُ للحب يومـاً فسرتُ خلفَ المحـال

ماذا صنعت بقلـــبي لمـا غزتـــه العيون
حرمتـــني من رؤاه فسرت نحـــو الجنون

* * *

مـاذا ؟ تريد انتصاراً على الأذى والعـذاب
لا لن أطيق شبـــابي يذلّ بين الشبـــاب
لي في الدنى ألف معنى ورغبـة في الرغـاب
لم يجن فيهـــا اندفاعي غير الأذى والخـراب

هـذا عطاؤك فـاهزأ بعبـدك المستكـين

ولا تبالِ فإني أسير نحو الجنون

* * *

عساك لم تنس يوماً أني ثمار يديك
وما يحلّ بروحي يعود خزياً عليك
ألستُ نفحةَ حبٍّ هبطت من جانحيك
فاشرب معي من شقائي غداً أعود إليك

عفو الجلال ، أتنسى دماك فوق الجبين
فكيف تغدو حطاماً تسير نحو الجنون ..!

لست مني يا غرب فاحمل صليبك

ذات يوم ، وفي الكنيسة وحدي أجتلي في تُقىً ، حقيقة زهدي
وأداري كفري ، بطهر ووجد ناقماً ، ثائراً على كل قيـــد
لاح طيفٌ ... بدا غريب الوجودِ

قلت من أنت.. قال إني ابنُ مريمْ جئت أرثي لشاعرٍ يتظـــلمْ
فيم تشكو ؟ وأنت كالفجر ملهم وعلى بسمـــةِ السنا تترنم
في نشيـــدٍ يهيم إثر نشيـــدِ

قلت في دهشتي ... أأنت ابن مريم أي شيء تبغي تكلم ... تكلم
لمْ أتيتَ الدنى ، وروحك تعلم ان عهدَ السلامِ ولّى وأظـــلم
شيّعوه في الغرب حـــتى اللحودِ !

يا رسول السلام ان بـــلادي حرّةٌ رغم وطأة الاضطهاد
صمدت للخطوب والأحقاد وتحدَّت شريعةَ الصيّاد
وانتمت في الورى لأسمى الجـــدودِ

حاول الغرب أن يُذلَّ حمـــاها فمضى يزرع الردى في حمـــاها
فاطلّتْ من صدرها قتلاهـــا تتحدّى طغيانه بدماهـــا
وعلى ثغرها انتصار الخـــلودِ
يا رسول السلام هذي الجزائر كلُّ شبرٍ بها على الضيم ثـائر
شرقت بالدماء فيهـــا الضمائر واستفاقت على الضحايا تـــكابر
في رياء وخسة وجمـــودِ !
وفرنسا ، ولا تسلْ مَنْ فرنسا بؤرة للضلال شعبـــاً وجنسا
كيف أنسى تاريخها كيف أنسى في بلادي وكيف أضحى وأمسى
ذكريات للبطش والتهديـــد
يا رسول السلام في بور سعيد شمخت روعة الفدا والجـــود
كل طفل على ثراهـــا وليـــد في جبين التاريخ أسمى شهيـــد
أنفَ الذل في جحيم العبيـــدِ !
هذه زفرة السلام الذبيـــح من دمائي صعّدتها ، من روحي
أنت إن كنتَ سيّدي ومسيحي فانبذ الغربَ ، وانتصر للجريـح
أنت بكر العذاب عند اليهودِ !
فهفـــا سيّد السلام بروحه لامساً في أسىً بقايا جروحـــه
منصتاً للرؤى بدنيـــا ضريحه ذاكراً بطشهم وماضي طموحـه
وصراع السنـــين رغم الجحودِ
ودنا سيّد السلام وتمـــتم لستُ منهم فانني أتألم
قد هبطت الوجود شوقاً لأنعـم فاذا بالوجود في شبه مـــأتم
يتهادى في زورق من قيـــودِ

واستبدّت به رؤى ذكرياته وتراءت له جراح حيـــاته
والصليب الذي فداه بذاتـــه وحراب اليهود في جنبـــاته
فاستفاقت آلامـه من جديدِ

ومضى يرسل الكلامَ جهـــارا بعد أن شاهد الأسى والدمارا
روّعته شريعـة للنصارى مسخوها فـأضحت استعمارا
باسمه ... باسم دينـــه المعقودِ

لست مني يا غرب فاحمل صليبك راعفاً بالدماء واتبـــع ربيبك
لست مني فانزع شعار صلاتي حسبي العمر قد حملت ذنوبك
هذه لعنـة السما في العيـــدِ

لست مني يا غرب إنـ إلهي رحمة ، عن دسائس الشر نـــاه
لا تبـــاه على الأذى لا تبـاه فضحايا الإجرام بيض الجبـــاه
وصمة في ضمـــيرك الموؤودِ

إن مهدي في الشرق ، إن ضريحي لم يزل قائمـــاً بهذي السفوح
كرمتـه للعرب بيض الأيادي وحمته من صولة المستبيـــح
فلتعش في جهادهـــا للخلودِ !

ذلك الشرق حسبه في فؤادي ووفائي يظل رهن بـــلادي
ودمـائي على يد الجـــلاد سوف تبقى على الزمانـ تنادي
حطموا دولة الأذى واليهودِ ..!

الى جمال

إليك ، إليك مددت يميني	وبين يديك وضعت يدي !
لأني لمحت بعينيــــك أمسي	وفي مقلتيك لمحت غــــدي
فديتك في حالكات الخطوب	وغيرك في العمر لم أفتد
أرى فيك دنياي ، دنيا بلادي	تطلُّ على حلم أوحــــد
وأنت بها قلبهــــا العبقري	وفوق ثراهـا الغمام الندي
خفقت على رغبـات بنيهـــا	خفوق بنيهـــا على المقصد
كأن الجهـاد استفاق عليك	لتحمل عـن صدره المجهـد
فتبني ، وتعقد نصراً أبيـاً	على دربنـا الثـائر المرعـد
وقبلك لم يزْدَهِ النصر يومـاً	وفي شرقنـــا البكر لم يعقد

* * *

جمالُ .. وأهتف باسمك جهراً	ولست أناديـــك يا سيدي
أجلك عـن همسات العبيد	وأختـــال باسمك للفرقد
وأصحو مع الفجر عند القنال	وملء وجودي فؤاد صدي
يعبُّ من المجــد في لذة	وينحـرُ من أمسه الأسود

سلاحك شعب بإيمانـــه وطئت على حـــلم المعتدي
مشى للردى يستبيح الردى وكان مع الفجر في موعد !!

* * *

جمالُ. ولي في فلسطين حقٌ وحقٌ شبـــابك لم أجحد !
هناك على الساحل العسجدي لنا ملعب ظامىء المورد
وفيه لنا ألف معنى جريح يكبـِّر في قبــــة المسجد
وفيـه انطلاق شبابي الفتيّ ومقـبرة وسعت مرقـدي
أحنُّ إليـــه لدى صلواتي حنـــين المسيح إلى المذود
وينشرني الوهم في شاطئيـه فاخلو مع الوهم في معبدي
أفتش عن أمسنـــا في رباه لأصحو على واقـــع أسود !

* * *

جمال نريد انطلاقـاً جديداً ونصبو إلى عالم أجـــود
وإن ضلّ بعض الرفاق قليلاً فلا تضعفنّ ولا تحقـــد
غدوت وحيداً على الدرب فاصمد
سيخلو لك المجد إن تصمد !!

٧ / حزيران / ١٩٥٧

السجن الثاني

رجعت يا سجاني إليك في ثوان
يحملني إيماني شوقاً إلى مكاني
الحب في دناني والمجد في أرداني
نداؤه دعاني فجئت في أمانِ
أدفع للأوطان ضريبة الحرمان
عساك لن تنساني إذ عدت يا سجاني
شوقاً إلى مكاني

* * *

وأنت كيف حالك ألم يمت خيالك
ألم تزل عنيفاً يرهبنا رجالك
تطمع في ارتقاء تنسجه أعمالك
تعيش في صراع تجحده خصالك
تقسو وفي المنايا يضمنا وصالك
محال يا صديقي تحطمت آمالك

فغصـــة الامـاني يعرفهـــا امثالك
تلوح في حطــام تلفـــه اسمالـــك
تؤلمـــني رؤاهـــا كأنهـا ظلالـــك
صمتٌ أي شيء في الصمت قد ينالك
فثر وأقـــدمْ إنا ترهقنا أحمـــالك

* * *

فانت يـــا سجاني تعيش في اجفـاني
عبثا على احزاني فاسمع صدى الحاني
اذ عدت يا سجـاني

* * *

هيء له مكانـه واغرق له احزانـه
قد عـــدت لا ابالي تشتاقني الزنزانـه
في دربهـا فضول لا أدعي نسيانـــه
سلخت فيـــه عمراً مناجيا شيطانـــه
يحملني بعيـــداً في رحلة سكرانـه
أرى بهـــا بلادي دروبهـا ظمآنه
وشعبهـــا قطيع يدمي الوفـا رعيانه
فتخمــــة علتهـــا في ذلهـــا بدانه

والشرق في سبات عيونه وسنانه
سله ، ولا تقلها عني ، وسلْ تيجانه

* * *

وكان يا سجاني ان ثار بي وجداني
فعدت يا سجاني

* * *

رجعتُ في ركابي رهط من الأصحاب
يمشون في إباءٍ للموت للعقاب
رحّبْ بهم وأكرم طليعة الشباب
فكلهم أصحابي جاءوا على حسابي
للنور للأماني للمجد للعذاب
طليعة أفاقت على رؤى المصاب
ما همها « غيدان » موفورة الألقاب
ثارت على سماء ترعش بالخراب
وانتفضت فكانت نوراً على الرحاب
تعصف بالأعصاب وحفنة الأذناب
رحّبْ بهم فهذي بوادر السحاب
غداً يسير جيش لسجنك الخلاب

فمن ذهابٍ حلوٍ منـــه إلى إياب

* * *

اليـك يا سجـاني طلائـع الاخوان
ضحيـة الطغيان والظـلم والعدوان
اليك يا سجاني

٥٧/٧/٢٨

لحظة ظمأ الى دنيا الاطفال

أنا ظمآن يـــا رؤى فاسقيني ذكرياتي في الحب ، إن تذكريني
أنا ظمآن ، لا حبيبٌ جديد من جراحاتِ حاضرى ، ينسيني
أنا ظمـآن ، والحنين بصدري ضاقَ في ثورة الأسى بالحنـــين
أنا ظمآن لا خيالي طليق أتلهـى بحلمــه المجنون
هاتها يا رؤى ، خيالات عمري فبقايا أسقامها في عيوني
وعذابي أما ترين طيوفاً من عـذابي تجعدت في جبيني

* * *

بدمي ، ساعة أعود اليها ملء صدر الهوى الوفيّ الحنون
أرتوي بالجمال من فيضها البكر فماء الحيـاة لا يرويني
بابي ، بالوجود ، مرمى لقاء بين نهديك راعشاً يطويني
بالصبا ، بالشباب ، بالأمل الطلق بعمري ، بحرقتي ، وانيني
بعذابي المطعون بـين ضلوعي ونداء السنين بين جفوني
بإبائي الصريع في غمرة الحبّ وكبري المجرّح المطعون
ساعة بعدها ، لينتحر الموت على لذتي ، وشوقي الدفين

ساعة بعدها أبيع حيـاتي للسنا، للمنى، ودنيا السكون

ساعة بعدها أتمتم في الناس أيا ناس أيكم يشتريـني ؟!

ويمرُّ الزمان مرّاً بطيئاً وتموت السنون إثر السنين

وتعودين للديار اشتياقاً وحواليك من صغار البنين

وتمرّين في المساء بدربي تلمحين المساء فوق غضوني

وتطيلين نظرةً لحطامي في فضولٍ، كأنما تعرفيني

وتصيحين بالصغار فيمضي واحد في سعادة يحتويني

لا تردّي الصغار عني دعيهم في أطاييب لهوهم ودعيني

إنهم ملكُ أدمعي وخيـالي نسجتهم خواطري وظنوني

ملء جنبيّ في العشيّات هاموا ومشوا لوعةً بدنيـا يقيني

ربما.. ربما أتعرف يا حبُّ مرامي خواطري وشجوني ؟!

٥٧/٩/٥

الثائر الفائد

نجمة كان في النجوم البعيده فهفت روحه لدنيا جديده
وظفرنا به ، وكنا إليــــه مثلما يشتهي الثرى عنقوده
جذبته آلامنـــا فاحتواها جمراتٍ على عذاب العقيده
فشربنا من خمرها وانطلقنا كالأماني للثورة المنشوده
لم تكن ثورة الجياع ولا الظمــاى ولا ثورة العراة الحقـوده
كم جلسنا من حوله نتملّى روحه البكر فكرة وقصيده
وسكبنا جراحنا في يديـه فاستحالت طلائعاً معقوده
فحملنـــاه للنجوم فكادت تدعيـه ، تود أن تستعيده
فهي أحنى عليـه منا وأولى : تتحفّى به،وتدري خلوده..
ربما ربما نكون قتلنـاه لنذكي وجـــوده ونعيده
ربما ربما إذا ما نحرناه ، فكنـــا إساره وقيوده
كان يسقي بحبـه ويداري في العشايا أحلامه الموؤوده
لم يكن طارئاً على المجد لكن سرق المجد عمره وجهوده
لم يكن طامعـــاً ولا أعلقته برؤى الحكم شهوة عربيده
وغداً قد يموت .. واضيعة المجد وقد يظهر اسمه في جريده !

ألاجيء أنت[1] ؟!

ألاجيء أنت !؟ لا .. فالمجد والظفر
دنيا تُظِلّ وجودي ، والعلى قدر

أنّى تشردتُ لي في الدرب قافلة تشيلني بين عينيهـــا فانتصر
وإن تعذبت لي في الشعب عاصفة تضرمت في حنايا الشعب تستعر
إنّا جراح فلسطين التي انتفضت في كل شبرٍ فكان البعث والظفر
مواكب من ثرى فردوسنا انتشرت وما انثنت في خضمّ الوعي تنتشر
حملت جرحيَ من يافا فهش له في ثورة الشام جرح مشرق نضر
وسال في مصر فانجابت غلائلها عن مارد أسمر حنت له العصر
تجسدت فيه أحلام المنى ومشت في مقلتيه رؤى الحرمان تختصر

* * *

ألاجيء أنت؟عفو الكبر إن نفرت من مقلتي دمعـــة حمراء تنهمر
تحنُّ للشاطيء المفقود في ظمأ وتستقي من أمانيـه وتصطبر
هان العذاب على صدر الخيام وما هانت وهان بها التاريخ والبشر
عشر من السنوات الجهم ما نضبت فيها الأماني وما شاهت بها الصور

---

(١) نشرت في جريدة التلغراف ، وقد حذفت منها أبيات .

فالبحر يرقص في أوجاعـه وعلى   شطآنه البيض أحلام لنا خضر
يكوكب المجد في آفاقهـا شهباً   وترتمي للعلى في رأسهـا طرر
تسمر الحقد فيها فانثنت قمماً   وصابرت في الأذى يسري بها الشرر
عفو الخيال إذا ماجتْ شوارده   تهيم في وطني الدامي فتنفجر
ألم تزل في ربوع الشرق بعض ربى
جريحة القرب والآمـال تحتضر
عمان يا بلد الأحرار كيف أخي   والهول محتدم والليـل معتكر
غداً نهيء للأوغاد عاصفـة   غريبة الضنك لا ترقى لها السرر
دم الضحايا على أسوار قلعتنـا   يجري به في ثرى أوطاننا قدر
قد مات نوري ومـا زالت عصابته   طبيعة الأرض ألا ينتهي النور
رسالة من حنايا شعبنـا انطلقت   تنفست من كوى أمجادهـا مضر
ما همنا إن بنينا صرْحَ وحدتنـا   أقـاده خالدٌ أم قـاده عُمَرُ

الحنين إلى الأكربول

رجعت ، رجعت من «الأكربول»

جريح المودة ، دامي القدم

رجعت وبين يدي بقايا غرامٍ عنيف بصدري اضطرم

رجعتُ وفي راحتيَّ مصيري نجوت به من رحاب العدم

وفوق جبيني لهيب الصداع وفي مقلتيَّ الأسى والندم

كطفل تعشَّق صدرَ الحياة فلما تملّك منه .. انفطم .!

* * *

رجعت رجعتُ من « الأكربول »

فيا خيبة القلب في عشقه

يغذّي هواه ، بنحر هواه على مذبح قام من شوقه

ويمعنُ في غمرات الضلال كأن الضلال صدى خلقه

له كلَّ يوم هوى وارتحال وحب يضيعُ على أفقه

وأنكى من الحب فقدانه على لذة الصَّحوِ من رقّه

* * *

رجعت، رجعت من «الأكربول»

ألم شوقي من دربه

وخلفت فيه بقايا جناح خضيب يرفُّ على قلبه

وكأساً من الخمر لم ينتقه عففتُ إباءً لدى شربه

وماذا جنيت من الأكربول سوى نقمة العمر من حربه

ولمّا تمكّنت من حبه رجعت وظلّ على حبه

* * *

ولما وصلت لشط الأمان عراني من الشوق دنيا ذهول

فرحت أحملق في مقلتيّ لألمح في مقلتيّ الذبول

نجوم تهاوت على جانحيّ ترصعني بوميض الأفول

وثار خيالي الكسيح وماجت بصدري رغاب وغنت تقول:

سيخلد حبّك يا شاعر ويبقى حنينك للأكربول..

البعث والايام والموت

عاد الشاعر الى باريس مجهداً بعد غيبة طالت ، فكانت هذه القصيدة

قد عدت يا باريس ..قد عدت ... اجترّ أيامي الـــتي عشت

فترفقي بي ، وامسحي ألمي ... اني تعذبت تعـــذبت

حسبي من الدنيا وقسوتها ... اني على لذاتهـــا شخت

لي في رحابك ألف قبّـرة ... كانت تغـــني يوم أقلعت

خفقت على صدر المطار أسى ... تحيا على وعد بــــه بحت

أودعتها عند النوى قسمي ... خجلاً فلانت حين أقسمت

وترنحت اعطافهـــا أملا ... فمددت أجفـاني وداعبت

شيعتها ، ما كنت احسبني ... ساعود يحملني لها الموت

باريس يا قديسة سقطت ... حالي كحالك إذ تساقطت..

شجناً ، على صدر المصير وفي ... أعماقـــه الثكلى تعمدت

قدري هناك ، عرفته وعلى ... آلامـــيَ الأولى تعرفت

باريس ردّي صبوتي فـــأنا ... قد عدت يا باريس قد عدت

* * *

ورجعت يا باريس يحملني جرح بدنيـــاه تمزقت
جرح كبير ليس يدركه إلاّيَ غنّـــاني ، فغنيت
جرح تشظى عبر أنسجتي يهوي بروحي ما تجلدت
جرح كإيمـــاني يطاردني علقت فيـــه يوم آمنت
ولدت معي أشباحه فمضى يمشي ورائـــي أينما كنت
ضاعت لذاذاتي بموكبه وعلى أمانيـــه تشردت ...
ما زال يحملني ويقـــذفني في الحالك الدامي ، وما زلت
ساظل اتبعـــه ويتبعني وأكاد أخشى لو تحررت
باريس ظلي بينتـــا أملاً فعساي أنسى لو تناسيت
فسهاؤك الدكناء تخطفني تجتاحني ، فيلفني الصمت
صمت اذا ما انساب في قلقي في حضن أحلامي تهالكت
أستقطب الدنيـــا ، ألونها وأعب منها مـــا تمنيت
فعرائسي غضبى ، تعاتبني ويصيح بي قلمي الذي خنت
قلمي الذي جف الربيـــع به حطمته لمـــا تحطمت
لو تستجيب الأرض ثانيـة يخضر في عمري لها نبت
لو يرجع التاريـــخ مرحلة ينهار عبر ظلاله الوقت
لو يستحيل العمر معجزة أرتد فيها مثلما كنت
لغزت جبين الكون عاصفتي فالكون من بعض الذي قلت
أبدعتـــه لمـــا تغزلت وفضضته لمـــا تخيلت
باريس ردي صبوتي فـــأنا قد عدت يا باريس قد عدت

ووقفت عند السين اسأله ما الحب؟ ما الحرمان؟ ما الكبت
يا أيها الشيـــخ الذي هرمت أحلامـــه ، فكأنه ميت
أنظر حنـــانا عبر تجربتي اني تعذبت تعـــذبت
يا حامل التاريـــخ في بلد ناضلته زمناً ، وكافحت
هل في ظلالك مـــا يعلمني اني هرمت ومـــا تعلمت
شاهت معاني الكون واختلطت في خاطري حتى تشوهت
قل للخطـــايا اليوم تصلبني من ذا أكون؟ وكيف أخطأت؟
حسبي من الدنيـــا ولعنتها اني حُكِمتَ بها ، وحُيرت
ووعيت مأساتي لأبصرني في عمق مـأساتي تلاشيت
حسبي من الدنيـا ولعنتهـا اني بدنياها وما شئت
من غير إذني كان لي جسد بل قبلما كوّنت أعدمت
ما العمر ما معنى الوجود ولم جئنا جميعاً ، لِمْ أنا جئت
ما البذل ما معنى الفداء وهل تسمو الدنى لو كنت ضحيت
ما المجد مـا التاريـخ أصنعه هل كان يجدي لو تكللت
تلك المعاني السود تصرخ بي وبأفقها الضاري تناقضت
لما تعرى الوهم وافتضحت في ناظري الدنيا ، تعريت
الخدعـة الكبرى تصارعني يا ليتني ما كنت أدركت
الخدعـة الكبرى تلاحقني وتصيـح بي اني تجاهلت
تعوي بوجداني وتضحك لي أشباحها ، أنّـى تلفت
وتظل من حولي تسير الى قبري الذي فيـه تجسدت

البعث...والأيام.. والموت.. ما البعث.. والأيام والموت !!
ومشيت عبر السين تنقلني أقداميَ الحيرى ، وطوفت
سامان ، لا أهل ولا وطن حيران ، لا ظل ولا بيت
فذكرت كل الناس في وطني وبكيت لما ان تذكرت
وطني الذي أدميته بيدي وطني الذي ضاع ، وضيعت
وطني الذي لونته بدمي قد ضاق بي حتى به ضقت
وطني الذى مات الوجود به فهجرته لما به مت !!

* * *

ورجعت أقبع عند نافذتي والى أمانيها تسللت
فاذا بنهر « السين » يتبعني أشغلته لما تساءلت
قد هاجه ألمي وأيقظه جرحي ، فما عاناه عانيت
غنى بوجداني لتعزيتي هيهات لو أني تعزيت
وسمعت، مسراه يرددني يجتر في جنبيّ ما قلت
ما العمر ما معنى الوجود ولم جئنا جميعاً .. لم أنا جئت ؟
ما المجد ما التاريخ نصنعه ما الحب ماالحرمان والكبت؟
البعث والأيام والموت ... ما البعث والأيام والموت ! ؟

ما أروع الشاعر ما أبرأه

روَّضتُ باريس وأذللتها
ولم أضاجع في ثراها امرأه

وكنت ألوي دفّـتي كلما
أرى شراعي عابراً مرفـأه

كتــاب لهو أحمر ثائر
قلّبته ... أبيت أن أقرأه

وصرت أخشى كلما هاجني
دعاؤه المسعور .. أن أبدأه

لكنني غنّيتها شاعراً
عبث من أسرارها أهدأه

مسترخياً حـول تماثيلها
أصغي إلى الحسن ومن ضوّأه

وقال صحبي كلّما أقبلوا
ما أروع الشاعر ، ما أبرأه

أضاءه الطهر بلألائـه
وانطفأ الرجس وما أطفأه

سبحان من أوجده بيننا
ومن الى باريس قد أجّاه ...

لم ينسج الحب على دربها
ولم يضاجع في ثراها امرأه ..

وسرت .. في أحشائها طاوياً
جرحي معي أخاف أن أنكأه

أصبح كالعجز الذي في دمي
ما أروع الشاعر .. ما أبرأه

وانما هزنا في بعث امتنا
جرح على صدرها الدامي لثمناه

في الذكرى السابعة عشرة لميلاد حزب البعث العربي الاشتراكي .....

الدرب والظلمة الرعناءُ تغشاه — والشعب ضلّ على التاريخ مسراه

يلجّ في التيه ، والأوهام تنهشه — كأنما التيه ، معقود بـدنياه

يزجي الضحايا على ساح الفدا شرفاً — وليس يجديه في العليا ضحاياه

تطلّع الشعب في أعماق حيرته — وراح يسأل عن أسرار بلواه

كيف السبيل الى التاريخ نبعثه — حيّاً ، .. نعيد الى التاريخ معناه

أين الطريق الى آفاق وحدتنا — تردّ للكبر منّا مـا فقدناه

أين الحقيقة ضاعت ، كيف ندركها؟ — حتى نشيّدَ منها ما هدمناه

تطلّع الشعب في أعماق حيرته — مستنهضاً من ركام الدهر ذكراه

مستنفراً من حناياه طلائعه — في حومة البعث ، يلقاها وتلقاه !

* * *

من غضبة الشعب، كنا، من تمرّده | من جرحه الثرّ جئنا من شظاياه
ومن تطلّعه عبر الدجى سطعت | عقيدة البعث تحميه وترعـاه
كنا ببال العلى منذ الوجود رؤىً | فجسّدَ الشعبُ منا وَمْضَ رؤياه
كنا الضميرَ له فانهدَّ يرهقنا | حتى تفجّر عنّا ما تمنّاه
من دمعهِ البكر أجرانا، فلا نزلت | من بعدنا دمعـة تدمي محيّاه
ومن أمانيـه أُلهمنا رسالتنا | فأورقت في رحاب الخلدِ نعماه
من شهقة الكادح المطعون شهقتنا | ويوم عزّتْ على الدنيا شكاواه
فلاّحنا ـ نحن من آلامه انطلقت | آلامنا فوجدنا اذ وجـدناه
لقد أتينا نلبي صرخةً، وبها | تألق المجدُ فينا ما اغتصبناه
والشعبُ كالروح نسقى من عطيته | كنـا به، وسنبقى من عطاياه
نطوي به الأفق الدامي ونفرضه | على العروش، فتمسي من رعاياه
لولاه ما ركبت للشمس همّتنا | تموج في العاصف المحموم لولاه
تيّارنا القُدُسِيّ النفح، قد غمرت | أنواره كلَّ شبر، فـاقتحمناه
قوموا انظروا الشعبَ يحدو في شعائرنا
ثالوثنا القلب، والدنيا جناحـاه
ويشهد الله، هذا الدرب، لا طمعاً | ولا ادّعاءً ولا زهواً مشيناه
وإنما هزّنا في بعث أمّتنا | جرحٌ على صدرها الدامي لثمناه
تراثنا العربيّ السمح هاج بنا | فما بكيناه، لكنّا بعثناه!
عشرين عاماً نضيء الليلَ من دمنا | في كلِّ نجم لنا جرحٌ أضأناه
ما أنَّ في الشرق جنبٌ لم نخفَّ له | ولا ترقرق دمعٌ ما مسحناه

لم يبق في كأس أيامي سوى شفةٍ ... مزيقةٍ تتلوّى في زواياه
تعاقر الليل أشعاراً مجنّحة ... ملاحماً خلدت للجيل موتاه
جيلي الذي من قصيدي فوق جبهته ... عواصفي ولظى قلبي وحمّـاه
هذي جراحي على الأردنّ مثخنة ... ذكرى نضالٍ لنا ما كان أضراه
يمضي به الغير من صحبي . . فواحزني ... لما هوى النسر من أجفان علياه
تحيتي لهمُ في السجن قافلة ... تمضي ، وأخرى بظل الموت تحياه
تحيتي لرفيقٍ لست أعرفه ... ما هان في القيد لكن هان مولاه
قرائبي وأحبائي ، فواخجلي ... كيف ارتقوا في العلى ما لست أرقاه
لكنني وهدير البعث يملؤني ... أنّى تشردت أبقاه ، وأحياه
سفحت أوجَ شبابي فوق مذبحه ... ما كان أغلاه في عمري وأقساه

* * *

عشرون عاماً بعثنا عبر مصرعنا ... وجودنا ، وحصدنا ما زرعناه
آذار تلك على الدنيا مواسمه ... أطلَّ ينشر للدنيا هداياه
تكشّفَ الزيفُ في الجلى فقام له ... نضالنا ، وتحداه ، تحداه
ويشهد الله، هذا الدرب، لا طمعاً ... ولا ادعاء ولا زهواً مشيناه
وإنما من ضمير الشعب ثورتنا ... لم نعل يوماً عليه بل رفعناه
فالبعث للناس كل الناس ، موكبه ... جحافل الشعب ضمتها حناياه
وما اصطفانا لنلهو في ملاعبه ... لكننا للجراحات اصطفيناه
فالبعث وعي ، وإيمانٌ ، وتضحية ... والبعث همٌّ كبير قد حملناه

* * *

وعصبةٍ أضمرت للبعث طعنتها ... فارخصتْ واستباحت من سجاياه

تنمرت حوله مسعورةً ، جرحت ... كرامة الخير في جيل نميناه

ما كان أحرى بها لو أنها سلكت ... للعز درباً طويلاً ، قد سلكناه

قل للغيارى على أمجاد أمتنا ... المجدُ يعرف من منّا غياراه

لما دعاهم إلى فجرٍ يوحّدنا ... تحلبت فوق إثم الكسب أفواه

السارقين شعارات لنا وضحاً ... وسرقة الفكر كالطغيان أشباه

وحبذا من وهبناهم طلائعنا ... في الحالك الجهم صانوا ما وهبناه

لو أن عيسى سياتي في هويتهم ... قمنا له ، وعلى عود صلبناه

لكننا في سبيلِ العرب إن لحت ... في الأفق بارقة تجلو محياه

نسمو على الجرح تحدونا أصالتنا ... وكل ذنب لهم فينا غفرناه

وذنبنا إن حكى التاريخُ قصّتنا ... وأفصح الدهر يوماً عن خباياه

بأننا قد بحثنا العمر عن بطل ... فلم نجده ، ولكنا خلقناه !!

قالوا العراقُ فهبّتْ من جوانحنا ... قلوبنا ، وهتفنا ليس ننساه !

قد يخطىء الثائر الملهوفُ وثبته ... لو كان يدري ، ستشقيه خطاياه

مرحى عراقَ العلى ما جئت أندبه ... أعزّ من طعنات الغدر جنباه

كالنار تحت رماد الصمتِ هامدة ... لكنها تتلظى في حناياه

وربّ يومٍ سقيناه على ظمأ ... فما ارتوى ، وغداً نعطيه سقياه

وقيل إنا أضعناه وما علموا ... بأننا مذ أضعناه ، لقيناه

لم يستحِ الحقّ أن يعرى على خطأ ... وما استحينا بعجزٍ ، بل أدنّاه

غداً نعود ، فلا عاشَ النضالُ بنا   ولا الطليعة ، إلا إن أعدناه !!

* * *

يا رائدَ البعثِ هذا يوم مولدنا   فداك بالروح من بالخلد فداه

العرس عرس العلى ، ان نحتفي شرفاً

وان نغني ، وان نشدو بذكراه

مددت للجيل جسراً دربه ألمُ   فما وقفنا لديه ، بل عبرناه

في هدأة الفكر قد أمليتَ أمتنا   هدياً حدبنا عليه واحتضناه

يا رائدَ البعث ، لا زيفاً ولا ملقاً   ولا زعيماً ، ولا فرداً عبدناه

أعوذ من نزوات الفرد جامحةً   ما كان للفرد في دستورنا جاه

لكننا في المعالي من شمائلنا   أن نعرف القدرَ العالي ونرعاه

روادنا ملء عينِ المجد إن خطرت   على العقيدة أشباح وأشباه !

طاحونة النهر لم تهرم مناجلها   حمراء قد حفرت للنهر مجراه

والنهر كالدهر في تاريخ ثورتنا   فما تغير لكن شاب فوداه !

* * *

يا فتيةَ البعث هذا يوم مولدنا   للحب ، للخير منا ما ولدناه

هذي طلائعه ، هذي هداياه   هذي مواكبه ، هذي سراياه

وجيشه الثائر الثوري إن لمعت   حرابه ، فهو عند الله أتقاه

في ذمة الشعب، جيش البعث فاحتضني
يا ثورةَ الشعبِ ما نحن ادخرناه !!

* * *

وعندما تنجلي الأوهام في وطني ويتخم المجد فيه من ضحاياه
وعندما يهتف التاريخ في جَذَلٍ وقد رأى في العلى أنا صنعناه
وعندما تورق الدنيا على علم موحد في أمانينا نسجناه
وعندما ينتهي الأفراد، لا صنم مقدس، أو زعيم ليس إلاّه
سيعلم الناس أن الدربَ في وطني وعرٌ، أليم، طويلٌ كله آه

٦ نيسان ١٩٦٤

وسيبقى البعث الاصيل الاصيل

في الذكرى الثامنة عشرة لميلاد
حزب البعث العربي الاشتراكي

دربنا في العلى وحيد طويل ... كالأماني وكل نعمى تطول

قدر شائك نهضنا إليه ... يتحدى فيه البديلَ البديل

ما انبرينا له ادعاءً ولكنْ ... طاب في زحمة العلى المستحيل

فدعونا التاريخ يفرض دنيا ... نحن فيها المستقبل المأمول

فاطلت من صدره صلوات ... وتبدى الثرى ولاح السبيل

واستبانت أصالة وتمرى ... في ضمير الخلود شعب بتول

فعرفنا جراحنا فيه لما ... جمعتنا على الجراح الطلول

لحظاتٌ من الذهول تمنّى ... بين أعطافها الندى لو يسيل

تمّم الدهر رهبةً فاصيخي ... يا ليالي ورددي يا سهول

ولدت ثورةُ الحقيقة فيكم ... من جديد فمجدكم موصول

فإذا البعثُ دفقة يتلظّى ... في أتونِ الوجود جيلٌ فجيل

وتمر السنون تلهمنا البذلَ فلا جاحد بيننا أو بخيل

نتسامى إلى الفداء فنسر ... ثائر في الذرى ونسر قتيل

قلبنا واحد يظلله الحب كما ظلّل السماء الأصيل
ساعد واحد يشدّ لوانا في الملمات، صامد مفتول
جمعتنا في وحدة الفكر رؤيا تتعالى كأنها التنزيل
ورضعنا من العقيدة حتى قبستها جراحنا والعقول
فاقتحمنا النفوسَ بالخلق لما أن روينا والبعث حلق نبيل
يومَ هبَّ الثوار في كلّ قطرٍ من حمانا مجاهد ورسول
ينثرون الضياء في أرضنا البكر فتزهو مرابع وحقول
فالوجود الذي نمانا ظليل والشمار الذي رفعنا جليل
ما علينا لو كلّ يوم غزانا عابر وانتمى إلينا دخيل
فبذور الحياة تكمن فينا وسيبقى البعث الاصيل الاصيل

* * *

وتمر السنون والبعث ينمو وبجنبيه سيفه المسلول
يتعرى لدى الحقيقة سجناً وعذاباً فيستبد الفضول
كان لا بد ان يسيلَ جراحاً قبل ان تعمق الرؤى والاصول
كان لا بد ان يعمّق مجراه فيجري في صدره التحويل
كان لا بد ان يعيش مع الشعب فمن بؤسه يطل الدليل
صرخات العذاب في مسمعيه والنداءات والأسى والعويل
نحن من شعبنا نسجنا رؤانا جرحه جرحنا الزكي الطليل
فوهبنا له الطلائع دنيا تفتديه وفي ذراه تطول
فكرنا واضح المعالم باقٍ والشعارات أمةٌ لا تحول

قد نفحنا قومية العرب معنى سامياً في رسالة لا تزول
في اشتراكية تحطم ظلماً تصرع البغيَ في الدنا وتزيل
فخلقنا في الثورتين وجوداً عالماً ثالثاً إلينا يؤول
بعثنا قال بالجياد ولما يولد الحق بينهم فيقول
ما علينا لو زيفوا كلّ يوم من حجانا واستفحل التضليل
أو غزانا تشنج وغرور واستباح الذرى دعيّ عذول
فبذور الحياة تكمن فينا وسيبقى البعث الاصيل الاصيل

* * *

وتمر السنون والبعث وحي في دروب العلى وسيف صقيل
الجماهير حوله تتلظى في شرايينه دم مطلول
تتهادى الى الفداء فنسر ثائر في الذرى ونسر قتيل
تصنع المجد من صدور بنيها وحدة ، شعبها عريق أثيل
جمعت مصر والشآم فلبى بردى رفده الحبيب النيل
فسكرنا بنشوة النصر منها وازدهانا التكبير والتهليل
واستظلت أحلامنا في ذراها ليس ندري ما يضمر المجهول
واستفقنا على جراح الأماني تتنزى في وهمنا وتسيل
وتراءى التاريخ في زحمة الخطب فلولاً تبكي عليها الفلول
فبكينا وكان أول دمع حائر في الجفون منا يجول
وارتفعنا على الجراح فزادت وطأة الضيم واستبدّ النزيل
ويهون العذاب في وحدة العرب ويحلو الرضا ويحلو القبول

وحملنا راياتنـــا مثخنات تتلوّى وقد عراهـــا الذهول
شدهتنا فجيعة العمر حـــتى هجرت بيننا المنى والميـــول
ليت شعري وحيرةُ الأمر تدمي طال فيها التفسير والتأويـــل
واليقين اليقين يعصى علينـــا عزّ فيه التبرير والتخييـــل
فتنـــادت من شعبنا همهات أدعيٌّ ربّانه أم غول
فاطلّ التاريخ يشهد فينـــا يتبنّى من فكرنا ما نقـــول
ليس غير التنظيم للشعب يبـــني وحدة دربها طويل طويـــل
غير أنّا لو أجهضوا كلّ يوم وحدة روحها المدى والشمول
فهي في أرضنا الجريح وجود جسّمته الرؤى وظلّ ظليل
ما علينا لو شوّهوا من سناها فكأنّ الأفراد عنهـــا البديل
فبذور الحيـــاة تكمن فينا وسيبقى البعث الأصيل الأصيل

* * *

وتمرّ السنون والبعث باق ووراء السنين حلم جميل
أورق البرعم الذي لوّنته بالضحايا للبعث أمٌّ ثكـــول
فاستفاق الحرمان يبسم للركب فدقّت في جانحيه الطبول
لمعت في العراق ثورتـــه البكر وشبّت عبر الجموع الفتيل
تضرب المعقل الذي قام عنه للمآسي والإثم حـــكم عميـــل
ثورة عفّة العطاء ألوف شمخت فالتقت عليها السيول
ونفوس الأحرار تعـــثر في التيه وقد تجمحُ العتاقُ الخيول

علقت في السجون تسخر بالموت لتحيا كأنه المخـــذول
دفعت مهر غيرها في الزوايا ولقد يفتدي الزميلَ الزميــل
لم يزل من لهيبهـــا نفحات تتلظى يرجى لهـــا التاميل
ما علينا وللعراق بلاد مـاج فيها على النخيل النخيل
باسقـــات كالبعث يعلق في الدرب فتكبو على سنـــاه الفصول
فبذور الحياة تنبض في الجذر ويبقى البعث الأصيل الأصيل

* * *

ايه سورية الحبيبـــة أنت البعث أنت المـــنى وأنت الأصول
لك بين القلوب تمتمة جذلى وحدب على المصير أثيـــل
ولدت في ثراك ملحمـــة البعث كما انساب في السماء الهديـل
حسدت نجمك النجوم وغارت سدة الأفق واعتراها الأفـــول
فكأنّ التاريـــخ حمّلك العبء فكانـ الألى وكان الرعيـل
شرف البعث أن يقيّض مجداً لسواه فالبعث نفـــح جليل
لسوانا الأحقاد لا عاش في البعث جبـــان معقّـد معلول
نحن باسم الآلام جئنا لنعطي فليلبّ تاريخنـــا أو يزول
ثورة من صميمنا قد أطلّت لم يقدها باغٍ دعيّ جهـــول
قادهـــا البعث فكرةً ونضالاً ليس يغريه مطمع أو وصول
ذاك آذار وانطلقنا لديه والأمـــاني من حوله إكليـــل
حق آذار أن يظلّ ربيعاً وربيـــع النضال طلق بليل

قد دعا الوحدة الكريمة لكن خاب فيـــه الرجاء والتأميل

قل لنيسانَ كيف عزّت رؤاه هان ذلاّ كانه أيلول

وضعوا دونه شروطاً ولكن ليس يجدي الترقيـــع والتفصيل

غير أنّا لو أجهضوا كل يوم وحدة روحها المدى والشمول

فهي في أرضنا الجريح وجود جسّدته المـــنى وظلٌّ ظليل

ما علينا لو شوّهوا من سناها فكان الأفراد عنها البديل

فبذور الحيـــاة تكمن فينا وسيبقى البعث الأصيل الأصيل

* * *

أتحبون أن أغرد للبعث وأشدو في عيده وأطيل ؟

ليس عندي فقد سفحت شبابي بين جنبيه فـــاحتواني الذبول

شوّهت غربةُ المقاييس روحي من تراني ومـــا عساني أقول ؟

ليس يدرى التاريخ من ذا يجازي من بنيه قـــابين أم هابيـــل

أنا ظلٌّ بـــين الظلال يتيم وجناح على الضياع هزيـــل

غربتي في الوجود يعرفهـــا الله ويدري الشكاةَ دمعي البخيل

طال في حماة الضياع بقائي أذنـَ البين واستحقّ الرحيل

إنما البعث في خيـــالي مصير وعطـــاء على الوجود نبيـــل

وهو حكم في خاطري يتملى من شراينـــه الغـــد المأمـول

وهو فهم لدور شعب عريق هو ذا في إساره مغـــلول

ما علينا لو كل يوم غزانا عابر وانتمى الينا دخيل

فبذور الحياة تكمن فينـــا وسيبقى البعث الأصيل الأصيل

* * *

أتحبّـون أن أهدهد شعري لبلادي إني بها لخجول

يسنح العجز في شفاهي ويدمى في لساني الحداء والترتيـــل

أطرق المجـــد في هياكل أجدادي وناح القرآن والإنجيـــل

فكان التاريخ بين يـــديه يوم هان الرجال عبد ذليل

كذب المدّعون يوم تلاقوا فمريض وعـــاجز مشلول

فلسفوا منطق الخيانـــة جهراً فتساوى التحرير والتحويـــل

وفلسطين، مثلما الأمس، كانت أثر مـــاثل وقلب عليـــل

من خلال المأساة ألمـــح يافا كسراب يمشي اليهـــا الجليل

ومن الظلمة الرهيبة يبـــدو جبل القدس عانقته الخليـــل

حرم للجمال مـــدّ ذراعيـــه فعزّ العنـــاقُ والتقبيل

كيف لا تغضب الجبالُ وتسري شهوة الفتح دونها والسيول

تاجروا باسمها حراماً فاضحى كلّ علج عنها بها مشغول

ليت شعري والموت يمشي الينا بالأعاصير أينا المسؤول

بدعة الصمت هذه من نماهـــا حار فيهـــا التأويل والتعليل

منطق الثـــائرين شعب يدوي لو تنادى فيُفضحَ التدجيـــل

* * *

والجيوشُ التي رعتهـــا بلادي حيث مال الصراع راحت تميل

وعدتنـــا واخلفت ثم اغضت قد أذنّا لهـــا وحان الدخول

عبثوا طاقـــة المصير فنمسي قاتل في انطلاقنـــا أو قتيل

فالزمان الزمان يمضي سراعاً وسيضني وجودَنا التطويـــل

لو مشى بعضنا غضوباً اليهـــا مرغت في الرغـــام اسرائيل

غير أني والبعث يمـــلأ روحي وسرايا النضال حولي تصول

تحمل العبء وحدهـــا وقديماً في العلى عيَّر الكثير القليل

لست أخشى لو نام عنها سوانا وانبرى صارم لهـــا مسلول

فنداء التاريـخِ يصرخُ فينـــا ولقد طاب في العلى المستحيل

وبذور الحيـــاة تنبض في الشعب ويبقى البعث الاصيل الاصيل

نيسان ١٩٦٥

الى روح ابي ماضي

يا رسول الجمال والحب والخير
تباركت للجمال رسولا

لا تقل مات ، فالشذا لن يزولا　　عن مغانيه والضحى لـــن يميلا
والنجوم الشماء تحيـــا على الأفق　　وتأبـــى على الفضاء الأفولا
لا تقل مات ، فالخلود وجود　　يتحدى على الردى المستحيـــلا
يهزم اللحد والفنـــاء ويبقى　　في جبين الحياة سفراً جليلا ! !

* * *

يا أبا الشعر قم تطلـــع فهذي　　زمر الخلد قـد أطلت فضولا
ترقب الشاعر الأمير وتزهو　　من حواليـه ، بكرة وأصيلا
هاجها أن تراه يـــاتي حماها　　فاعدت له القلوب مقيـــلا
ومشت في ركابـه تتملى　　من حجاه ، وتستمد الأصولا
تنسج النور والضيـاء فيرقى　　نورها في جبينه إكليلا

في جلال كأنما الله أمسى يتلقى بحضنه جبريلا
هرعت تنثر الأزاهير في الدرب، وتستلهم الرؤى تهليلا
فجنان الخلود وقف على الوحي، ولا تستضيف الا الفحولا
فتمتع بأرضها وتنعم بالسنا البكر واشهد التبجيلا
فحواريك اقبلت تتثنى نفساً طاهراً وخداً أسيلا
موكب حفه الجمال وماست للسنا فيه تمتمات أولى
تتغنى بشعرك المائج السمح وتشدو فتحسن الترتيلا
تتلقاك فرحة وتغني «كن جميلا تر الوجود جميلا»
يا رسول الجمال والحب والخير، تباركت للجمال رسولا
حرم أنت للطبيعة طلق أورق الفن في ذراك فصولا
صور للوجود صفت رؤاها في سما الوحي أنزلت تنزيلا
ومعان نسجتها فاستفاقت في ذرى الفكر تستفز العقولا
وبيان كأنما الفيض فيه أزلي المسير يروي الحقولا
وجديد في القول برعم شعرا قدسيا كرمت فيه الهديلا
لا نحيب على الطلول ولكن غضبة للوجود تمحو الطلولا
ملء جنبيك ثورة وصراع حملا مشعل الصراع طويلا
«لست تدري» من أين جئت وهذي ثورة الشك بلغتك الوصولا
«لست تدري» من أين تأتي وتمضي فتساميت واقتحمت الهيولى
«لست تدري» من أنت والكون يدري
مذ تخطرت فيه عرضاً وطولا ! !

* * *

يا حبيب الحيـــاة ، والحب علم أنت أعليته عميقـــا أصيلا
وفتحت القلوب للنور حـــتى «أحسن الناس في الورى التعليلا»
يا جريء الفؤاد والناس كانت «تتوقى قبل الرحيل الرحيلا»
قم وغن الأنام بالخير واصدح بجمال الوجود واشف الغليـلا
«هو عبء على الحيـــاة ثقيل من يظن الحيـــاة عبئاً ثقيلا»

* * *

يا غريب الديار حنت لك الدار ، وراح الخليل يبـــكي الخليلا
رب جفن على الشدائد أمسى دامـــيَ الطرف بالهوان كليلا
قم تطلع أخا العروبـــة واشهد مصرع الشرق ملعبا وخيولا
صرعته أظـافر البغي لمـــا حطم الخلف سيفـــه المسلولا
وبنوه على الخلافـــات راحوا يتلهون معشراً وقبيلا
مسرح للدمار قوضه الكيد فاضحى على الزمان هزيلا
الأضاليـل أنهكته وهمت تتبـــارى في صدره تمثيلا
وغدا للعويـــل فن جديد فاسمعي يا سماء هـــذا العويلا
رب فن مضمخ بالأمـــاني مسخته الاحقاد قالا وقيلا ..!

* * *

أيهـــا الشرق والخلافات ألقت من ظلام الأذى عليك السدولا
كل قلب لديـــك يرزأ بالخطب ، ويشكو التشريـــد والتنكيلا

حسبنا حفنـــة الصعاليك تغزو   من فلسطيننا الربى والسهولا
وطن المجـــد والكرامات لسنا   بك نرضى مشارف الكون غيلا
فالجنان الخضراء تدعو بنيهـــا   تتنادى بهـــم ، وتأبى البديلا
تتمنى لو ينثني العرب شمـــلا   في مجـــال الكفاح سيفا صقيلا
تتمنى للشرق عهـــداً جديداً   بعد أن ضل في الجهاد السبيلا
فاضحكي يا جحافل السوء في الشرق ، وغني الملا ، ودقي الطبولا
واسكري في الربوع يا زمر البؤس ، وميسي في الشاطئين شمولا
فغـــداً تنضج الخلافات فينا   ويعـــم الأذى شديـــداً وبيلا
فعلى كل حفنـــة من ثرانا   علم للدمار أمسى دخيـــلا
رب دار ضاعت بأيدي بنيهـــا   واحتواها الردى قليلا .. قليلا . !

* * *

أيها الشرق يـــا كريم الضحايا   يا قتيـلا يطوي الحيـــاة قتيلا
كنت أرجو ان يستفيق بك الوعي ، فتحيـــا مظفراً مامولا
كنت ارجو ان يعقد النصر تاجاً   بين عينيك خـــالداً مجدولا
كنت ارجو ان يمرع الصفح فينا   ويطيب الصفاء عذبـــاً عليلا
فصراع الاحباب رزء جسيم   ليس يجدي على الوصال فتيـلا
ان « قايين » بات يبكي دماه   بعد ان اورث الردى «هابيلا» !!

إنا حملنا عن المصلوب رايته

طيف من الأزل المسحور ناجانا ... يموج بالطيب ألحانـــاً وأ, زانا

مجنّح الروح والأشواق يحملنـا ... على جناحيـــه سماراً وندمانا

ينساب عبر حنايانا فيشعلهـــا ... كأنما لم تكن منـــا حنايانا

تجمدت في عشايا الذل جذوتهـا ... وأخمدت في العصيب الجهم أحزانا

نادى بنا فاستفاقت كل جارحة ... من خدرها ، وخففنـا يوم نادانا

نعيد للكاس بعضاً من صبابتها ... فتلتقي بحمياهـــا ، حميـانا

ونسترد على الأوتار نشوتهـــا ... في مهرجان العـلى والمجد ألحانا

في عرسه استنفرت زهواً كواكبنا ... وخاصرته زرافـــات ووحدانا

وطوقتـه ، وأغرتـه بجنتنـــا ... ففر من خلده شوقـــاً ووافانا

إني لأسمعــــه في الوهم أحياناً ... وخلف،خلف جراح الحب أحيانا

يئن حول لبانات الهوى ظمــــاً ... كأنـــا لم يزل في الخلد ظمآنا

« ما للشفاه الكسالى لا تزودنا » ... جفت على شفة الحرمان ، حرمانا

إني لألمحـه ينهـد مجترحـــاً ... صدر السماوات آفاقاً وأكوانا

من ذروة الأرز حتى رمل شاطئه ... يختـــال في كبرياء نحو دنيانا

يا شاعر الخلد هـــذا يوم موعدنا   فانزل بنا ، وتخطّر بيننـا الآنا

* * *

عفواً أمير القوافي كل قافيـــة   تنوء دونك إلهامـاً وتبيـــانا
تمزق الشعر فالأوزان مثخنـة   وأي شيء له وزن بدنيـــانا
الكبر ! أين بقايا الكبر في وطن   تقمص الذل أفكاراً ووجـــدانا
العرب أين سراة العرب كلهمو   لما هوى الصرح بنيانـاً وبنيانا
تموز يحلم لو تدمى خواطره   فلا يعـــود لكي يلقى حزيرانا
عزت على الدرب في الجلى بطولتنا   وهان فوق جراح الدرب من هانا
ودنست يقظة التاريخ مذ خفقت   أعنـــة المجـد ، ثواراً وفرسانا
لم يعرف الكون ذنباً فوق مذبحة   تجسد الخزي في عطفيـــه قربانا
ذنب كان ضمـــير الله أنزله   فلم يجـد في رحاب الله غفرانا
ذنب نود على الذكرى لو احترقت   به الليـــالي ، فننساه ، وينسانا
تشرذمت في ذراعيـه كرامتنا   هزيمة فضهـــا التاريخ عنوانا
عمان تعرفها ، بغداد تدركهـا   ومصر والشام أدرى بالذي كانا
تساوت الخيل في الميدان حمحمة   سبحان من جعل الأضداد أقرانا !
يفلسفون الأمـــاني وهي دانية   ما كان أبعدهم عنهـــا وأدنانا
نحن الضحايا ولكن لم يزل دمنا   يمور بالثـأر يبكي في صحارانا
يغذ خلف سراب التيه يتبعـــه   يحدو به الوهم كثبانـــاً فكثبانا
تـكاد والثـأر يغلي في مراجله   تصيح بالخدعة الكبرى ضحايانا

نحن الضحايا لنا الشكوى نصعدها		طالت بنا فثرقنا في شكاوانا
سفينة المجد لم تبرح شواطئها		أمسى على صدرها الربان ، قرصانا
ضريبة الخدر المسفوح ندفعها		عبر البطولات أحراراً وعبدانا
فلا الخطايا خطاياهم وقد سلموا		تعانقت بخطاياهم خطايانا

* * *

عفواً أمير القوافي إن أتيت إلى		ذكراك أعبرها من قلب ذكرانا
وهل دعاواك كانت والعلى قدر		إلا على الوتر الشادي دعاوانا
ألست أول من غنى ملاحمنا		ألست أول من أشجى فأشجانا
ألست من عصر العنقود فانفجرت		دماؤه ، ومن العنقود روانا
يا ملهم الكون فيضاً من بشاشته		أغراك في الكون ما في الكون أغرانا
عطر سخي وأشياء منمنمة		تفتر في المنتهى القدسي ألوانا
مناهل للسنا العذري مشرعة		تضمها الأرض غدراناً ووديانا
معاقل للعلى ظلت منائرها		تصارع الخطب أحقاباً وأزمانا
عفواً أمير القوافي إن غضبت ومن		يغضب لأحلامه يرتد إنسانا
قم انظر اليوم واصدح بين قتلانا		وغن في الملأ الأعلى لصرعانا
واعقد من الزهر إكليلاً يظللنا		على النضال ، وقلده لموتانا
جئت على الضيم فاهتاجت أصالتنا		ففجرت في رغام العجز بركانا
يا وجدنا ـ لم يزل للمؤمنين رؤى		ما كان أسعدنا فيها وأشقانا
لم يبق في الملعب المطعون ذابحه		ولا تبقى بوادي الموت إلا انا
في القدس في غزة الثكلى معاصرنا		تدر بالصبر والإيمان ألبانا

تسقي وتسقي فتحمر الذرى أملاً   ويخصب الرمل شرياناً فشريانا
يتيمة الضرع لا الأيام تنهكهــا   تبارك الشعب جوعاناً وعريانا
داري التي سلب الطغيان بسمتها   واشتار فردوسهـا روضاً وبستانا
تعلقت في زواياهـــا طفولتنا   وعلقت في حناياهــا بقايانا
أسطورة الوطن المحتل يعرفهـا   في ملعب الكبر قتلانا وجرحانا
قل للعذارى السبايا من حرائرنـا   هل يعرف المجد أغلى من عذارانا
ينهدن للجو يستمطرن ديمتـه   ويستحلن بدنيا الغيم عقبانـا
خطرن للسجن فاهتزت زنازنـه   ما أجمل الغضب المسجون سجانا
يصمدن ، ينصتن ، يبصرن الخلاص على
جراح من فتح الأحلام أجفانـا
جراح من هز في أعماق نكبتنا   وجدانها ، فالتظت نوراً ونيرانا
جل الفدائي عـن شعر يراودني   فقد حشدت له الأعطار أوزانـا
يبصرنه في جحيم الليل عاصفة   وفي الضحى دمعة تنساب تحنانا
الفارس الفاتح المغوار يحرسنا   في ظلمة الليل قديساً وشيطانا
اني لالمحه في الوهم أحيانـا   وخلف خلف جراح الصمت أحيانا
مستنفر الروح والذكرى تطارده   يعيشها أبداً نصرا وخـــذلانا
يغير كالطيف عبر المستحيل كما   تغير في صدره الدامي نجاوانا
عينـاه في عتمة الأغوار تسبقه   لتستفيق على الأغـــوار آذانا
يطارد الخطر المنشود ولهانـا   ويلتقي القدر الموعود نشوانـا
في كل دالية ثكلى ورابية   أعد قبراً له منها وأكفانا

يكر ، يزحف يدنو كل ثانية   تكاد تجعله حيا ، وجثمانا
كأنما المدفع الرشاش في يده   طفل ينام على زنديه جذلانا

* * *

يا شاعر الخلد عدو الشعر ان جمحت
اغنيتي واستفاق الجرح نديانا
فلي بلبنان أطياف تذكرني   عمري الذي ضاع أنهارا وشطآنا
لبنان يا مقلة الدنيا وقبلتها   لا زلت في الحسن أبهانا وأحلانا
تفتحت فيك للقيا رغائبنا   وأورقت في رباك الشم نعمانا
لا يعرف الحب أحلاما مجنحة   ولا نعيماً ولا وصلاً وهجرانا
من لا يرى الله في أحداق أرزته   ولا يرى بعيون الله لبنانا
أتيته والرياح الهوج تقذفه   على الضياع طريّ العود حيرانا
سألت من هزه رعباً واشعله   وحول الحب في جنبيه اضغانا
فقيل رهط يماري في هويته   ويدعي حبّه زوراً وبهتانا
أعيذ لبنان من خطب يحاك له   فدربه السمح مسرانا ومأوانا
ان يشرك البعض إثما في عروبته   تدفق الجبل الجبار عربانا
وقيل جاء الفدائيون وانفجرت   مشارف الحسن أحقاداً وطغيانا
فهب من صدره التاريخ وانفتحت   بأمسه الذكريات البيض أحضانا
تعانقت في خضم الموت والتحمت   على نداء العلى أهلاً وجيرانا

بيروت حيفا، وصيدا القدس، فالتئمي
يا دفقة البذل أوطاناً وأوطانـــا

جلَّ الفدائي في لبنان عن سفه وجل لبنان اغداقا واحسانا
كلاهما نفح الدنيا صوامعه واطلعا في حشايا الزهد رهبانا
عيسى بن مريم لم يرهب منيته ولا رمى بيهوذا عندما خانا
مضى الى الموت يغنيه بصرعه على الصليب، ففداه وفدانا
يا ذابح الروح من أجل الخلاص الا ترى على مذبح الجلى عطايانا
تقصفت عن روابيها براعمنا في قبضة الحب آغصانا فاغصانا
هذي طلائعنا هذي ضحايانا هذي مواكبنا، هذي شظايانا
ترد للحق شيئاً من قداسته وتنحر البغي أصناماً وأوثانا
انا حملنا عن المصلوب رايته وقد نحتنا من الصلبان صلبانا
طيف من الأزل المسحور وافانا يموج بالطيب ألحانا وأوزانا
وقفت أنشد في ذكراه ملحمتي أعيد بعض الذي في الشعر أعطانا
اميرنا، كلنا يحمـــي امارته لن يسقط الشعر حكاما وتيجانا
نسقيه بالمهج الظماى فتلهمه جراحنا، وترويــــه منايانا

خالد مات

ألقيت في المهرجان الذي أقيم ببيروت
تأبيناً للفقيد المناضل خالد الشرطي

بين عيني وبين دمعي حوار أزلي على الأسى مدرار
فلسفته لي الجراحات لما تعبت في صراعها الأفكار
كيف جئنا وكيف نمضي لماذا ؟ كلها ، كلها لنا أسرار
أنا حسبي من الحقيقة اني أتصدى لها ولا أنهار
أرقب الفجر والمغيب وجودا حاكه الإجترار والتكرار
لا يعري المأساة إلا حزين عبقري ماساته الإنتظار
أيها الموت لست أسأل من أنت ، وما لي على يديك خيار
غير اني أحب أبكي وأبكى كلما جئت ساحتي تختار
ودموع الأحرار أفتك ثأراً منك ، إذ عزّ في ذراك الثأر
خالد مات يا حقيقة غني واصفعيني بالهول يا أخبار
والمسي كلّ خفقة من كياني ذكريني قد ينفع التذكار
أنا أخشى ان يستبد بي الظن ، فيطغى على رؤاي انشطار
أنا أخشى أن يستبد بي الشك ، فتجفو قيثارتي الأوتار

خالد مات يــا حقيقـة زفـّيه الينـــا ، فيهدأ الاعصـــار
ودعينا نعيشه اليوم ميتـــا ربما فيه تخجـــل الأقدار

* * *

خالد يـــا حبيب يلثمك الجرح ، ويشقيه انـــه غـــدار
قد الفنا الحيـاة في الموت لما ضمنـا في صراعنـــا الاصرار
عجزنـا فيك والردى يتلوى بجنـاحيك والربيع احتضار
كان في الحب فوق ما يعرق الحب ، ومـــا يدعى الوجود انتصار

* * *

يا أحباي مات منكم اثيري وعلى الحب يعذب الايثـــار
كنت فيـكم أضمه بجراحي وعليـــه من الجراح أغار
فإذا بي والغيظ يملأ صدري وضلوعي يبكي بها الانكسار
أرتضي في مصيره لي مصيرا نازعتني أشواقـــه الأحجار
يا أحباي مات منـكم أثيري وخبت شعـــلة له وأوار
فدعوني أبكيه عنـــكم لعلي أشتفي ، فالدموع نور ونار
من ترى يمـــلأ الفراغ بقلب هجرتـــه الأنداء والأزهـار
من ترى يمـــلأ الخواء بروح خلفتها الأصداء والأطيـــار
من ترى ؟ من ترى ؟ وأصمت إكباراً ، فيأبى الوفـــاء والاكبار
وتجيش الأنغام في صدريَ الدامي ، وتهمي الالحان والاشعار

وتعود الرؤى تداعب أحنا ئي، فيصحو على الحنين الهزار

خالد مات فليسل كل عرق من عروقي، وليصدع القيثار

سقط الفارس الجميل فضجي يا ليـــالي وكبّري يا دار

سقط الفارس الجميل ولمـــا ينجلي عن ذرا الصراع الغبار

سقط النبل والحصانة والفكر، فغاب الحجى وغاب الوقـــار

وتوارت اطلالة كان أدرى بسناها الرفاق والسمار

بسمة كالنداء في الحالك الجهم، تهادت من حولهـــا الأنوار

وجلال كأنما انشق عنـــه فوق عينيه أقحوان وغار

واباء يـــكاد يبسم بالنعمى ويبـــدو كأنه الاعتذار

وربيع خصب النوال سخي وعطاء على العلى واخضرار

ونضال صلب بدنيا الأماني كللته بظلهـــا الأخطار

سقط الفارس الجميل عن السر ج، فهب المدى وماج العثار

فاستفاقت على الذرا عبرات وأطلت من جفنها الأبصار

تحمل النعش موكباً يتهادى لرحاب يحدو بهـــا الثوار

تبعث الفارس الجميل شهيدا عربيا، تضمه الأغوار ! !

* * *

يارفيق الدرب الطويل جراحي كلها فيك غضة أبـــكار

ذاكر أنت والكفاح شجون والمنى في النضال كأس تدار

كم سقطنا في دربـــه ونهضنا فاستجارت من عذرنا الاعذار

قدر ان رمته سود الليالي	فبجنبيه ، ينبض التيـــار
ذنبنا فيه أننا مـــا سلونا	أو غدرنا ، فعقني الأحرار !

* * *

الثلاثون يا شهيـــد الثلا	ثين ، وفينا لا تحسب الأعمار
فضحايا صراعنـــا تتبارى	حسدت دونها الصغار الكبار
عزت الأرض فانتخى من سمانا	في البطولات شعبنـا الجبار
قد صحا المارد الجريح فهذي	طلقة الفتح ثورة وشعـــار
طلقة تفتـــح الكوى للأماني	وصداهـــا على الذرا انذار
سمعتها الدنيـا وضج لها الكو	ن ففكت سلاسل واسار
ولدت عبرهـــا الارادة والبذ	ل فكان الفداء والإنتصار
الأعـــاصير والعواصف والبر	ق ، تلاقت فسالت الأمطار !

* * *

يا فلسطين يا عويل جراحي	كيف ينسى فيك الظلام النهار
قدري أنت كيف أهرب منه	أين منه النجاة ، أين الفرار
صلبتني جوارحي واحتوتني	كبريائي وذلـــني الاندحار
عاد للساحة الجريـــح بنوها	فزيـــاد وخـــالد ونزار
أجمعوا أمرهم عشاء فلمـــا	اصبحوا ، أصبحت لهم أقدار
وفلسطيننا الحبيبـة كالتا	ريخ ، جاش ومنعة واصطبار
لم يرعها على الأذى الكفـــار	أو ينل من فتونها الأشرار

كوكبت حولها الوجود فشعت بلظاها الأمصار والأقطار
ودوت في رواسب الشرق معنى قدسيا ، فاينع الانفجار
حسبها اليوم ان كل أبي في رباها مجند مغوار
جمح الثائر المكبل بالقيد ، وهب المشردون وثاروا
لا هوان ، لا ذلة ، لا سلام لا احتواء ، لا تبعة ، لا حصار
انما وثبة تطل مع النصر ، فيمحى على لظاها العار !

* * *

سألتني السماء هل مادت الأر ض ، وغابت من أفقها الأقمار
هل تنزى الفرات واغرورق النيل ، وفاضت في نبعها الأنهار
قلت لا ، لا ، وإنما زفراتي في العلى والأسى عراها الدوار
فصراعي على الحقيقة دام بين عيني وبين دمعي حوار !
خالد لا يموت يا قبضة الريح ، ولكن تشتاقه الأسفار
صولة السندباد يعرفها المو ج ، وتدري بالسندباد البحار
خالد بيننا وفينا سيحيا خالد الذكر ، نبضه هدار
سيعود النائي ويجمعنا العمر ، وتمشي الى الديار الديار
فوداعاً يضمك البعث والفتح ، ومعناهما : العلى والفخار

شباط ١٩٦٧

- ٣ -

أُنشودَة الحِقْد

- ١ -

فاتحة

احقـــدي يا جموع واصمـــدي للغريب
ليس تجـدي الدموع في المـــلمّ العصيب
انَّ يومَ الرجوع مشرقٌ عن قريب.. !

ايها الحاقدون باسم العروبه أشعلو النـار في رحاب الوجود
واتركوها مجنونة مشبوبه فستمضي بنـــا لدنيا الخلود
يا بلاداً أحلامهـــا مسلوبه تتلوى على أنـــين القيود
هتف المجـد في سماك الخصيبه وتنادى بك النضالُ .. فعودي

مزقّـي يـــا شعوب ظلمـــةَ المستحيلْ
وليمتْ في القلوب كلّ معنى نبيـــل
نحن جيـل غضوب لم يهـــن للدخيل

أيها الثائرون باسم الأماني في بلاد جراحهـــا تتكلم
ان دربَ العلى بهـــذي المغاني خضبته يـــد الجريمة بالدم
كيف ننسى جريمة الطغيان وعويل الحرمان في كل مأتم
فاعصفي يا رواسبَ الحرمان ما علينا ، لو غيرنا يتحطم ..

- ٢ -
نسر ... وبلبل ..!

قــال نسر لبلبل ورؤى الفجر لم تزل
تتلوى عــلى الذرا بالخيالات والأمــل
ويد الصبــح قبلة توقظ الصبح في المقل
من ترى ذلك الفتى يزرع السهل والجبل ؟
لوّنَ الموتُ وجهه وانحنى فوقه الأجل

البلبـــل :

لست أدري لعــله شــاعر مسه الزمن
فرَّ من نفسه الى هيكل الصمت والشجن
جحد الناس وازدرى غَـفْـلَـةَ الأهل في الوطن
فانطوى يعشق السرا بَ ويستلهم الحزن
ربمــا هاجه الحنيــن فغنّى من الكفن ! !

النسر : – محلقاً من بعيد فوق المشرد :

موطني ملعب السماء والذرى الشم والفضاء
ايـنما سرت لفّني موكبُ النور والضياء

أنا في الكون منسرٌ خالد العزم والمضـــاء
شهوة الثـــأر في دمي والأعـــاصير والاباء
أتحدى عـــلى الذرا معقـل الزهو والقضاء
وسبيـلي الى الحيـــا ة سبيـلي الى الغنـــاء
انمـــا الكون قوة وانطـــلاق وكبرياء
في خضم من الشقـــا وخضم من الدمـــاء
لا حنان بهـــا ولا رحمـة تنخر البقـــاء
انما الحب نزعـــةٌ حاكهـا الجبن والولاء
أسعدُ النـاس حاقدٌ يطعمُ الثار ما يشاء ..!

البلبـــل :

موطني الغيض والاجم وذرا الدوح والأكم
أتلهـــى على الغصو ن وأستلهم النغم
لا جنـــاحي يشدني في ادعاء الى القمم
أنا والحب توأمـا ن في ربقـــة الألم
انمـا الكون قبلة لخَّصَتْ شهوةَ العدم
واستفاقت بأضلعي تتعرى ، فما لفم
انما الكون للهوى شاب فيه وما انفطم
مسح الله جفنـــه للكرامـات والنعم
ورمى الأرض بالهيا م وأحيا به الأمم

خلّني يا أخي هنـــا في رحاب السنا أنم
اتغنى على الجمـــا ل وأسمو على الورم
وخذ المجـــد والسنا وخذ البأس والشمم
واحمل البطش والأذى وارفع السيف والعلم
ربمـــا فوق أرضنا في غدٍ تهزل القيم
حيث لا ينفـع العويـــل ولا ينفع الندم
أسعد النـــاس بلبل لمس الجرح فـــابتسم

(يقترب النسر والبلبل من المشرد بحذر ، ويمضي البلبل في إنشاده) :

البلبـــل :

من ترى الضيف، من هناك على الدر ب ، يغني جراحـه وأساه
من تراه يكون ، ينثره الوهـ .. م ، فتدمى على الظلال خطاه
شرقت مقلتاه بالغيب وانها رت ، على مهجة الفراغ يداه
يتلوى كانما النـــار فيه بغضة احرقت بقـــايا صباه
مـــا تراه يقول أي كلام ثائر تمتمت بـــه شفتاه ؟
أنبيٌّ يسبّـــح الله في الأر ض فيجتر وحيه وهداه ؟
أم شريد ، خلت رؤاه فماجت في رحاب المجهول، حزناً رؤاه

النسر :

يا رفيقي صمتاً .. عرفتُ الشريدا فارساً من بلادنا صنديـــدا
فارساً من بلادنـــا ، صرعته روحه ، فانبرى غريباً وحيدا
ضيعته الأوهـــام يوم تهاوت داره البكر ملعباً وحدودا

* * *

يا رفيقي ، صمتـــا .. فذاك فتى المجد فما أظـــلم الورى والوجودا
إقترب ، إقترب تطلـــع اليه فجّـر الدربَ ثورة وجحودا
بين عينيـــه مصرع الكبر والزهو أطلا ليلاً رهيبـــا حقودا

البلبل

لهفَ نفسي فلست أبصر الا دمعةَ الحبِّ والأسى في عيونه
لونته جراحـــه واستفاقت بالأماني والكبر بـــين جفونه
اقترب اقـــترب عساك ترى النور تلالا مضوّئاً في جبينـــه
ونداءُ الشباب ينسابُ بالزهو ويسري معربـــداً في غضونه
انه شاعر الطبيعـــة والحبّ وكم شاعر صريع فتونـــه
نسي الدار والأحبة والأهـــلَ وما ضاع في الحمى في عرينه

النسر :

لا تجادل ، فلم تزل بعد غرّا قد جهلتَ الحياةَ روحاً وفكرا
أنا عشتُ الزمانَ في معقل الشمس وأدركته على الأفـــق عمرا
وعرفتُ الأنام لوناً وطعماً فأنا منـــك بالبرية أدرى
وبلوت الوجودَ حلواً ومرّاً ولمستُ الحيـــاة خيراً وشرا
ورأيت التاريـــخ يهزم أجيالا ويمشي في موكب الأرض كـــبرا
لا تحاول فذاك نسرٌ جريح طُعنت روحه أذىً فاكفهرا
احقدُ الناسِ في الوجود ذبيح طعنته أنامـــل البغي غدرا

(يقتربان منه ، يستمعان اليه وهو يصلي) :

- ٣ -

صلاة الحقد

الشاعر

يا الهي انا صلاة شقائي ودموع جريحة الكبريـــاء
مقلة في الـــتراب تعتنق الدار واخرى مشدودة في السماء
لن اصلي ليسكر الهـــدي في عرقي وتفنى حقيقتي في دعائي
انما للصراع يلهب اعمـاقي ويـــذكي الدفين من بغضائي

يا الهي هب لي جناحاً قوياً اتحدى به غيوم فضائي
وساطوي به الربوع نبياً بين جنبيـــه غضبة الأنبياء
الضبابُ الملحّ فوق بـــلادي لم يزل مشرق الرؤى بالدماء
أحمراً أحمراً تناثر في الأفـــق فادمى مواكب الأجـــواء
نبضت فيه للجراحات ذكرى شوّهت خاطري وأذكت عدائي
لم تبقّ الحيـــاة في جانبيّا غير حقدي وغضبتي وازدرائي
مذ تعمّدت بالعذاب صبيّـــاً ووعت مقلتي سطا الغرباء
أنا جيل مضيَّعٌ مزّقتـــني شهوةُ الغدر واستباحت إبائي

أنا جيل مضيّع وجهاد طعنته الأقدار في أحشائي

أنا دارٌ وجنّة ورياض مطرقات بالذل والإغضاء

ما على الحقد لو تسمّر في روحي ولبّى ضغائني واشتهائي

واطلت من غفلة العمر آلامي فمزقت هدأتي وانطوائي

يا إلهي انا نداء بلادي وصداها من خاطر الظلماء

حاقد ثائر المنى للمتني ثورتي ، فانطلقت من أشلائي

* * *

يا الهي هب لي جناحاً قوياً أتحدّى به فضاءَ بلادي

وساطوي به الربوعَ نبياً ناشراً من سمائها أحقادي

أعطني خافقاً رهيباً أبياً يصرع البغي في رؤى جلادي

وساحيا في موطني عربياً وستحيا في ظله أولادي

— ٤ —

صراع ... وانتصار ..

النسر : (ملتفتا الى البلبل بشماتة وازدراء)

هل تمليتَ صوتـــه يصرخ الحقدُ من دمـه
ضجَّ في صدره العذابُ فغنى عـــلى فمـــه
سوف أمضي اليـــه

البلبل :

لا بل فَذَرْهُ لحقده
ربما عاد نادماً بعد حين لرشده

النسر (باصرار)

سوف أمضي إليه أمنحه الخُلْدَ وأُعطيه مِنْسَري وجناحي
انه صرخـة الملايين في الأر ض ، وأحلامُ شعبه في الكفاح

(ويتقدم النسر من المشرد ومن ورائه البلبل وهو يجر نفسه)

النسر : (مخاطبا)

أيها التائـه الكسير جناحـا أنا أُعطيك للنضـالِ الجناحا

قم فأشرف على البطاح خلودا وتمادَ في الأفقِ واطوِ البطاحا

هـذه جنـة العروبة فاصدحْ في رباها ، ولا تملّ الصداحا

أنا أعطيك جانحَ الثار فانزعْ في ذرانا من جانبيك السماحا

قـد حبوناك بالضغينـة والحقـــد وعلّـق بجانحيك السلاحا

وتحدّ السلام في ملعب العرب وحلق كما تشاء الجناحـا

ان صوتاً رفعته في ذرانا مزّقَ الحجب واستثار الجراحا

فتنقـل على ديارك واضرم جذوةَ المجد ، رهبةً وكفاحا

ان إيمانك الصليبَ شظـايا فجّـرت في الفتى المريض صلاحا

ربما ، ربما يناصرك الحقدُ فتمضي الرمــاحُ تلقى الرماحا

يا نبيَّ الآلام في ثورةِ المجـد خلقنا اليك دينـا مباحا

من شرايينه يسيـل دمُ الثـأر وينزو عواصفا ورياحـا

لا سلامٌ ، وإنما خطواتٌ في طريق العلى تهزّ الصفاحا

لا سلام ولا حنانـ ذليل يتمنّـى المـاضي ويهفو نواحا

لا سلام وخنجر الشرِّ يدمي موطنـاً راعش الذرا مستباحا

الدماء الـــتي تسيل جراحا تتشكى الأذى ،وتشكو البراحا

والقلوب التي تناثرُ في القدس أطلّت في مجدها أرواحـا

كل طيفٍ على ثراها شهيـد هاجه الشوق في ثراه فلاحا

أيها الشاعر الغريب الأمـــاني قد نذرناك فاحمل المصباحا ..!

(وهنا يقترب البلبل من المشرد برفق)

أيها الشاعر الغريب الأماني أيها الثائر الحقود الجنـــان
خفف الوطء فالحياة نداء مشرق بالعطاء والألوان
كيف تنسى الحنـــانَ والخيرَ والحبَّ ونجوى الانسان للانسان
داعيــاً للأذى تصفّق للقتـــل تنـادي بالكبر والعنفـوان
كيف تنسى سرَّ القداسة في الكون وتنسى شريعـــة الغفران
ان معنى الوجود صفحٌ تهادى في حنايا الانجيل والقرآن
أيها الشاعر المضلّ رويـــداً والمس الخيرَ في جراح الزمان
قد عرفناك دمعـــةً تتلوّى في مــآقي الآلام والأحزان
قلبك الطفل ضمَّ في الحب دنيا واحتوى عالماً سخي الأغـاني
عبَّ موج الأسى بصدرك لما أرهقتك الأيام بالعـدوان
وغضضت العيـــون تسمو على الاثم وترمي عن شهوة الأجفان
أنت روح الإله نشوتـــه الكبرى فَرُدَّ العـــدوان بالإحسان
أنت عانقت صورة الشرَّ بالعنف وماتت لديك بيض المعـــاني
وتهجّـدت بين أروقة الحقد تصلّـي في هيكل الشيطان ..!
أيها الشاعر الغريب الأماني أين حبُّ الإنسانِ للانسان ؟

(يحيط النسر والبلبل بالشاعر وينظران اليه في فضول كأنما ليستمعا الى حكم القدر بينما ينتقل الشاعر طرفه بينهما ، ثم ينقضّ فجأة على البلبل فيمزّق جناحه ويحطم رأسه ، فتسيل دماؤه على وجهه وصدره . فيتأمل نفسه قليلاً ثم ينشد)

الشاعر :

ايها الحب أيها الصفح اني قد سئمت الوجود عبداً ذليلا

يا بقايا الحنـــان في صدريَ الدامي أطلي على الجراح قليــلا

واشهدي طعنة الوجود بجسمي قد تنزّت هَمّاً وحملاً ثقيـلا

أيها الحبّ في الضلوع تململ ولتكن بالأذى ، لثأري رسولا

لم يعد للهوى بجرحي مكان جمـد الجرح بالهوان مسيلا

برمت بالكؤوس أقبيةُ الخمر وعافت في سكرها التضليلا

وارتمت بالأذى عيون الأقاحي فتهاوت على الشقاء نزولا

ونجوم السماء أرهقها الغدر فماتت على السماء أفـــولا

ومشى اليأس في الصراع فغابت عزمات الصراع عنّا طويلا

وسجدنا للغاصبين وكانوا يبدعون الارهاب والتنكيلا

وحلمنا بالنصر فازورّ عنّا حاسر الطرف بالهوان كليـلا

ونشدنا السلام في كل أرض وضفرنا بصفحنا الاكليلا

وارتضينا بالحبِّ والصفح حيناً وحفظنا القرآن والانجيلا

وانحنينا للحاكمين فكانوا كلهم مجرماً حقيراً عميلا

وشدا الحاكمون،والبطش ماضٍ وحرابُ الدخيل تلهو فضولا

« أيهـذا الشاكي وما بكَ داءٌ كيفَ تمسي إذا غَدَوْتَ عليلا »

يا بقايا الحنان ثوري على الضيم ودقّي للنائمين الطبولا

خبّـريهم بأن جيلاً جديداً قد تلوّى من غمده مسلولا

أطلقته الآلام من مقلتيها فأضاءت به العيون نزيلا

وحبته الجراح روحاً جريئاً وفؤاداً صلباً وسيفاً صقيلا

أقسم المجد أن يمرّ عليه حاملاً في ركابه المستحيلا
ناسجاً من شقائه ألف معنى يتحدّى به الغريب الدخيلا
علّميهم بأنّ للشعب يوماً عبقرياً في عمرنا لن يطولا
خطرت شمسه الأصيلة في الأفق وماجت فيه ضحىً وأصيلا
تسكب النورَ والضياء وتزهو في جبين الكفاح نصراً ظليلا

٥ -

في فلسطين ..!

يا جناح المنى هـذه جنتي
خلـني ههنـا اجتلي تربتي
لم يزل بيننـا موعد الـ ودة
يتنادى بنـا من سما الغربة

يا بلادي ، يا كعبة الشهداء أصمدي للخلود عبر الفنـاء
يا بلاد النجوم ، والحلــل الخضراء يا لفتـة السنا في السماء
يا انطــلاق الربيع يخطر في الدرب فيزهو مغرورقـاً بالرواء
يا رحاب الالهام ترقص بالوحـي ، وتختال في رؤى الشعراء
ها أنا قـد أتيت يحملني الشوق حنينـاً على جناح رجائى
ها أنا قد أتيت أنفض آلامي كفاحـاً من منبر العلياء
ها أنا قد أتيت أزجي ندائي فاسمعي واطربي لرجع ندائي
انظريني ، أتعرفين فتى المجد أطلت بـه عيون الفضاء
انظريني أتعرفين فتى الشعر تبـدى من غفـلة الأرزاء
بين جنبيه عاصف من أساه وعلى مقلتيـه جرحُ الإباء
انظريني أتعرفين فتـاك رغم هذا الشحوب في سيمائي

أنا ذاك القلب الجريح المعنّى أنا ذاك الروحُ القريب النائي
أنـا عشر من السنين طوال تائهات في غيهب الظلماء
أنـا عشر من السنين دموع في جفون الحرمان والإنطواء
أنا عشر من السنين اداري كبريائي ولم تهنْ كبريائي

هل تذكرتِ من أنا إنني ذاك الغلامْ
حملتني وساوسي من حطام الى حطام
أنا رؤيا تعذَّبتْ بين عينيَّ لا تنام
صدئت مهجتي على غفوةِ الذلّ في الخيام

أنا ذاك الصغير بالامس كانت لي بدنياك لذتي وهنائي
أنا ذاك الصغير خلّفت فيك كل لهوي، أرجوحتي وغنائي
أنا أنسيت في الرمال وسادي والصغير العظيم من أشيائي
أنا أنسيت عند بحرك قلبي صامداً للعذاب يبكي ورائي
أنا كلي لديك ، عار نزوحي لم يخلّفْ معي سوى اشلائي
أنا ثأر ولوعة وحنين وفداء تخضبت بدمائي
أنا ذاك الحبيب ان تعرفيني فاطلّي وعانقي خيلائي
ها أنا قد رجعت أرفلُ بالحقد وأدعو للثأر من أعدائي
في فؤادي نار تفحّ انتقاماً تتلّوى بالجمر في أحشائي
يا رحابَ الالهام كلُّ عذابٍ هان في فرحتي وعذب لقائي
كنت أخشى ان لا يرفرف هدبي في جفوني بدمعة خرساء
انظريني تشيلني ذكرياتي نجمة نجمة الى أرجائي

أنا فوق الغمام ترحمني الريح وتلقي بهجتي في لوائي

فيطلّ الوجود من كل درب ويلوح السنا بكل قباء

تلك يافا فيا عيونُ استحمّي وتملّيْ من فيضها اللألاء

بأبي بالحياة ساعة حب تحتويني في مدرج الميناء

ينتهي عندها الزمانُ ويفنى في خضم العناق والإشتهاء

تلك يافا الشهية الضرع تبدو كبرياء في غمرة الأضواء

لم يزل برتقالها يتهادى فوق أغصانها بأسخى العطاء

ناشراً في جنانها الحمر عطراً مشرئباً بالخير والانداء

عزّ في قبضة الغريب ذبولاً فانتشى في براثن الغرباء

أين مني ظلالها ورباها في العشيات واحتضار المساء

وعيون الأضواء تلهث في البحر وتنساب بالفنار المضاء

أين حي المنشية الحرّ يزهو بالميامين والهدى والمضاء

حصدتهم يد الجريمة ظلماً وذرتهم في الأرض روح العداء

فاستفاقوا في كل درب جهاداً ينسجون الحنين دنيا لقاء

يتحدى الجراح والجوع والعري ويجترّ بؤسه في الغذاء

هذه بلدة الهوى جنة السحر والخيال

أورقت في سمائها بسمة الفن والجمال

كيف يا دهر حالها أترى مسها الزوال ؟

تلك حيفا، فقف بها يا جناحي لا تصفق في دربها المستباح

واخشع الآن رهبة في ذراها فعليها من راعشاتِ جراحي

تلك آكامها الحسان الغوالي مشرفات على السهول الفساح

راويات للمجد ملحمة المجـــد أساطير نخـــوة وصلاح

هوذا الكرمل المطل على البحـــر صمود لعاصفات الرياح

صلبته أوهامـــه في ذراه بين شدقي هزيمـــة وكفاح

خالد رغم أنفـــه والليالي في روابيـــه خالدات الطماح

لم يهن والسنا يموج بعطفيـــه ويزري بالغاصب المجتاح

يا رباه السكرى بأخيلة الشوق ولفـــح النوى وحر البراح

قسماً بالثرى الجريح على الأرض يروّي بالحقـــد حمر الاقاحي

سوف نـــاتي اليك يحملنا الجرح شظـــايا مدمدمات الصداح

سوف ناتي مواكباً تتهادى خافقاتٍ بين القنـا والرماح

تلتقي بالحنين في صدر عـكا تبعث الذكريات في كل ساح

ذكريات مسّ اللقـــاء رداها فاستحالت رهيبـــة الأشباح

إيه عـــكا عفو الشباب فاني طوع قلبي في غدوتي ورواحي

يشهد الله مـــا نسيت ثراك وبه كان ملعبي ومراحي

الضواحي الحسناء أين هواها وفؤادي يسيل بين الضواحي

ذاكر يا أخا الصبابة سهدى في مسائى وليلتي وصبـــاحي

والجميلات والهوى البكر عف يتصدى للحب بـــين الملاح

« أرمنيّ » لكنه ذو جنان عربي في الحب والافصـــاح

ذاكر يا أخا الصبابة دمعي وجراحي وأنت لي «جرّاحي»

ومسائي المجنون والنار تلهو بشبـــابي وقصة المصباح

إيه عـــكا عفو النضال فهذا بعض أمسي طلق المنى والجماح
البطولات لم تكن غير أنت صمدت فيك زاهيات الصفاح
قد نماك التاريخ ملعب كبر ساحبا للخلود أبهـــى وشاح
قلعة المجـــد لم تزل تتنادى بالمروءات والندى والسماح
وحراب الجزار مازال فيهـــا اثر في النضال شاكي السلاح
نفرت من محاجر السور تحكي قصة المجد في العلى والنفاح
رب سور مسمّر بأمانيـــه عريق في العز نديان ضاح
لم يهن فوقه الجهـــاد ولم تبخـــل لتفديه أنبـــل الأرواح
فهو رمز الخلود في شطك الساجي وسر العلى وحلم البطاح
فاصمدي يا جحافلَ الأمس فينا ظما قاتل لدنيـا الكفاح
نحن صحو يعبّ سكَر الليالي من كؤوس الحرمان والأقداح
ونشيد للبعث يخفق في الفجر شجيـــا مبشراً بالصباح

هـذه بـــلدة السنا لم تزل بعـدُ صابرهْ
حملت في الأذى الصليب وشـالت بشائره
دمعة الله في الهوى لم تخضب محـــاجره
أترى بعد للمسيح مـكان في النـــاصره

لم أزل في الشمال أزرع حقدي وأغني عبر المسافـاتِ وحدي
هذه بلدة المسيح وقوفـــاً يا جناحي بها ، ورفقاً بعهدي
تلك أطلالها الحزينة لاحت[1] بين قبر من الضباب ولحد
تلك أرض المسيح ظللها العـــار وأغفى ما بـــين نجد ونجد

(١) المسودة : الطعينة تمدو

تلك أبراجها الحزينة لاحت في عيوني جريحة بالتحدي

تلك أجراسها تدّق عذابـــا تتلوّى بالظـــالم المستبد

لم يعد للخشوع فيهـــا نداء فهي حيرى ما بين كفر وزهد

وإذا ما استبد فيهـــا أساها صمتت في رحابهـــا لا تؤدي

هـــذه بلدة المسيح عليها قبلة للشفا ونفحـــة خلد

صرع البغيُ ثورةَ الحبّ فيها وعنا السلم للأذى والتعدي

يا ربوعَ الســـلام والحبّ والطهر ويا دمعـــةً على كلّ خد

لم يزل طيفك الملح عويلاً ملءعيني،وملء وجدي وسهدي

يتنـــادى بالذكريات ويحيا في خيـــالي على أسنة جهدي

لم يزل طيفك الملـــح ضميراً في وجودي بالحقد يلهب قصدي

يتسامى اليَّ في غمرة اليـــأس وينساب في شرايين قيـــدي

تلك « قانا الجليل » قل للمطايا عبر بحر الجليل من كل وغد

الأماني البيضاء [1] منا اطلت تتلوى بالثـــأر في كل غمد

همهـــا ان تعيش ثورة قتلاهـــا على خفقة الفـــدا والتصدي

همها ان تصون ملعبهـــا الدامي وتحبو التاريـــخ وعدا بوعد

لو رآها عيسى لصفق عجبـــا وغدا بالجهاد والسيف يهـــدي

البلاد التي نمتـــه صغيراً حبلتْ ذلةً بمليون عبـــد

ما عليـــه لو انتخى في ثراه ليسوّي الحساب كيداً بكيد

ما عليه لو انتحى الغربَ يرمي كلّ درب على الربوع وحد

ما عليه وخنجر الغرب يَدْمى من تعاليمه وما كان يسدي

---

(١) المسودة : السيوف الحمراء .

إيه عيسى وللصليب نـــداء · في بلادي يسود عبر المهـــد
أنا لي فيك غضبة ما توانت · تتلظى بالثار والحقد عندي
لست أنسى العذابَ يغمر جنبيك فتهوي ما بين طعن وَجَلْد
ويداك المديدتان حنانــاً · تستظــلان بالهوى والود
والعيون السمحاء تنبض بالعفو وتنــأى عن كل إثم وصد
يا نبي الغفران لست اداري · حيرتي في الأذى وان ضلَّ رشدي
أصحيح جئت الوجود لتشقى · أصحيح جئت الوجود لتفدي
يا نبي الغفران لا الصفح يجدي · في مجال العلى ولا الحب يجدي

كيف ضاعت ؟ تكلمي · يا رؤى الغدر والمحن
في فؤادي وفي فمي · صرخةٌ تفضح الخون
فتغنيْ ! لا تكتمي · دمعة الكبر في الوطن

هـذه « الرملةُ » الأبيّةُ تبدو · من بعيدٍ تختالُ بين الظلالِ
ساعةً في رحابها الخضر عندي · بشبابي ، وزهو عمري ومالي
ساعة يا جنــاحُ أعتنقُ السفحَ وأنهـدّ عابثــاً بالرمـال
أنا أمسي هنــاك كان فتيا · للصبا فيه ذكرياتٌ غوالي
أنا برعمتُ في ذراهـــا صبياً · وترعرعت في عروق الدوالي
هي سبع من السنين أفاقت · في خيالي ولم تزل في خيالي
أين منها أبي يفيء إليهــا · في العشايا ومقمرات الليالي
قم على مقلتيَّ في المجد وانظرْ · أيّ حال يسومنــا أي حال

يا أبي هل ترى القباب اللواتي شمخت بالتقى على الأجيال

اقتربْ ، اقتربْ فهذي ذراها عانقت في السحاب معنى الجلال

غير أني لا أسمع الله فيها فهي خرساءُ في الأذى والضلال

وجمت نغمةُ الدعاء عليها وأشاحت عنها رؤى الإبتهال

بعدنا يا أبي تصدع حيٌّ قد ألفناهُ مشرقاً بالرجال

وانحنى ملعب وأطرقَ سفح وتعرت بالهمّ خُضْرُ التلال

بعدنا بعدنا ، أتذكر زهوي وفتوني وعزتي واختيالي

يوم جاء الثوارُ بيتك ليلاً ملء أجفانهم بريقُ النزال

لذّ لي أن أراك تحنو على الجرح وتدعو للبذل والإحتمال

لذّ لي أن أراك تضرم فيهم شُعَلَ النور في دجى الإحتلال

لذّ لي أن أراك تغشى المنايا وبقايا يديك في الاغلال

ذاك عهدي بأول الحبّ للدار ومعنى العلى ومعنى النضال

ذاك عهدي بأول النار تسري في عروقي نوراً وفي أوصالي

ذاك عهدي بأول الباس والبذل وسرّ الفدا وروح القتال

ذاك عهدي بأول المجد يزكو بالضحايا وروعة الآمال

يافعاً شد ما تنازعني التوق طموحاً إلى اقتحام المعالي

وتمنيت لو أسابق عمري فاراني أسطورة في الرجال

أتحدى جرائم الإثم في داري وأدمي حقيقة الأنذال

إن عيني تفتحت في المآسي وشفاهي عبت من الأهوال

وتعمدت بالدماءِ فسالت في وجودي غنية باللآلي

ليس بدعاً ، إن ضمني الحقد طفـــلاً وسرى في جوانحي بالمحال
هذه الرملة الشقيـــة فاسمع كيف تشكو الأطلالُ للأطلال
رفعتها في اللد أخيلة الخطب وفيهـــا للخطب ألفُ سؤال
كيف أودى الزمان بالأرض والدار ومادت فيها رواسي الجبال
كيف أودى الزمان بالمجد والبأس فهانت معاقـــل الأبطال
لم تهن رملة « النبي » ولا الـــلدّ نضالاً في ملعب للقتـــال
إنمـــا هانت الخيانـــةُ في الشرق وسالت بالإثم والإذلال !

يا دروب الربيع نحن على العهد نلبي حق السنـــا والجمال
بكت الدار للرجال اشتياقاً وحنين الرجال خصب المجال

- ٦ -

عودة الثائر – نداء الخيام

أيهـــا الثـائرُ هل أتيت الخيامْ
صوتك الشاعر هاج منها العظام
طرفها الحائر في الأذى لا ينام
ساهدٌ ساهر طال فيه المقام
حاقدٌ صابر يرقب الإنتقام

يا خيامي هـــذا أنا يا خيامي عدت من عالمي السحيق الدامي
عدت من جنتي أهدهــد دمعي ومعي من هناك ألف سلام
جنتي ، خفقــة الحنين على الأرض وحلم المنى ، وسر الغرام
سألتني وقد أتيت حماهـــا وغبـــار النضال ملء حسامي
سألتني وغصة الشوق تــنزو حشرجات على لهـــاة الكلام
سألتني وكل بِشْر عليهـــا يتلوى بالداء والاسقـــام
كيف حال الأحباب والأهل والصحب وحال الإخوان والأعمام ؟
كيف حال المصابرين بأرضي أتناسوا مـــودتي وذمامي
أتراهم على الحنين عيونـــاً غارقــات في موكبي المترامي

قل لهم يا أخا النضال بأني ذكريات أجترُّ من أوهامي

ظمأي قاتل ، وجوعي شديد وبقائي رهنٌ بهذا الصيام

قل لهم إنني أحسّ خطاهم راعشاتٍ تدبّ فوق الرغام

وأحس الأشباح تمرح حولي راقصاتٍ بالمغريات أمامي

فهي في صحوتي ، دموع بعيني ونداء يغتالني في منامي

يا خيامي أنا رجعت فهل لي ساعة في حماك تطفي أوامي

ليتني أستطيع أنثر قلبي بين أضلاعك العوارى الدوامي

ليتني أستطيع أمنحك الدفءَ وأسري بالنار بين العظام

ليتني أستطيع أمزج دمعي بدموع في مقلتيك هوامي

اخفقي اخفقي يظللك الليل على الهم والأسى والظلام

وارقصي بالجياع في مأتم الدهر وموجي بالبؤس والأيتام

وتعري على الوجود وظلي وصمةً في جبين كل همام

فالرداء البالي الذي نرتديه بعض ما في الوجود من آثام

ماج في ثورة الرياح أنيناً وعويلاً يعلو على الآلام

لم يزل يرعب الجريمة في الدرب ويحيا في موكب الاجرام

حائر الطرف صدره يتنزّى بين ذل الثرى وبذل الكرام

مزقوا في سمائنا ظلمة الليل والسنين

وانحروا في ديارنا نغمة الهول والأنين

لم يزل في نفوسنا كبرنا الثائر الطعين

فلتمت في عيوننا شهوة الذل للطحين

يا خيامـــاً تخـاصرت فتبدت   في عناق يضمهـــا وانسجـام
سمَّـرتها أوهامهـا فاكبت   فوق بعض في غمرة الأوهام
ضمَّها في الأسى عويل الأمـاني   ونداء الأرحـــام للارحام
لو مشى الظل بينهـــا ضيعته   وقع أقدامه بدنيـــا الزحام
لا تنامي على الهوان فعين الدهر تقضي أن تغفلي وتنامي
كل يوم يمضي من العمر جرحٌ   في جبين الكفاح والاحلام
هرمت فوقه السنون وشاخت   بين أضلاعـــه رؤى الأعوام
آن ان يفطم الجهـــاد عليه   فهو جوع مقـدّر للفطـــام
آن ان يلثم السنا شفتيـــه   بعد تاريخ هجعة ومنـــام
مزقي يا خيـــام أردية الذل وميـدي مجنونـــة بالنيـــام
مزقي هـذه الخرائب وارمي   ببقـايا أطمارهـــا والحطام
وذريهـــا على الرياح عويلاً   مرهقـــاً في مسامع الحكام
وانثريها على التلال عذابـــاً   خالداً في خواطر الظـــلام
حبل الحقد بالقطيع وثارت   شهوات الجراح في الأغنـــام
واستفاقت ضغائن الشعب تدعو   حقها في الوجود والإنتقـــام
سئمت حفنـــة الطحين عـــلى الذل وعافت في الجود خبز اللئام
وأشاحت عن كل بذل رخيص   مزج السمّ والردى في الطعام
ان دمع التمساح في الخبث أزرى   بحنان الذئاب في الآجام
فاسخري يا جحافل الشعب بالجوع وتيهي بين النفوس الظوامي

فانطلاق الحرمان أخلدُ نصراً في مجال الكفـــاح والإقتحام

لم يعد للوئام في الشرق معنى إتخم الشرق بالرضى والوئام

فانهضي يا جمـــوع وانتشري حقـــداً وحوطي الكفاح بالأعلام

واعصفي بالدخيل وازهي على الحبّ ذليلاً بل واهزأي بالسلام

- ٧ -

اللقيطة — ربيبة الانكليز والاميركان —

صراع وتحدٍّ

أيهـــا المجرمون يا عبيد العبيــــد
اننا لن نهــون اننا لن نبيـد
في غد تعلمون كيف نأتي الحدود
وغداً تدركون كيف نطوي السدود
انـنـــا راجعون رغم دامي القيـود
رغم أنف المنون رغم كيد الوجـود

يا عبيدَ العبيد يا دخـــلاءُ ضجّتِ الأرضِ منكمُ والسماء
اضحكوا واهزلوا ففي غفلة العمر سيلهو ويضحك اللقطـــاء
الدعارات والضلالات تخزى بجهـــاد قامت عليه النساء
وعيون التاريخ ترقب حرّى دولةً صاغها الخنـــا والبغاء
اسألوا الانكليز كيف استباحوا عرض أبكارهـا ، فهنّ الفـداء
اسألوهم فكلّهم في هـــواها نزوات مريضة واشتهـــاء

شيّدوهـــا مستنقعاً للدنايا فازدهاها التقويد والخيلاء
دولة للخنا أقـــام بها الاثم وماجت في رحمهـــا الفحشاء
لأميركا فيها يـــد وعليهـــا من تعاويذهـا رقىً ودعـاء
ولدتها مسخاً سفاحاً حراماً فهي قد أجهضت بها شوهـاء
هذه أمهـــا فاين أبوهـــا أترى خانه الهوى والوفاء
لا تسلني عن اللقيطةِ مما كثرت في رحابهـــا الآباء
دلّلوها فاستنسرت في هواها واعتراها من إثمهـــا كبرياء
صرعوا باسمها الحقيقةَ جهراً واستباحوا منها الحمى وأساءوا
يا حطام الأذى على الملعب الرحب فلا صانك العـــلى والرجاء
خدعة أنت في الورى نسجتها وغتها خرافة رعنـــاء
أنت في بالنـا وجود عقيم وسراب مضلـــل وهبـاء
لن نسميك ذلة واحتقـاراً فبدنياك تخجل الأسمـــاء
اذكري لعنة السماء فمنهـــا بين عينيك مصرع وقضاء
لعنة العمر هـــذه حملتها من حنايا آبائها الأبناء
لعنة تنثر اللئـــام عبيداً فعلى كل ملعب أجزاء
وعلى كل روضة غرباء وعلى كل موكب أشقياء

دير ياسين والدمـاء الغوالي لم يزل في العروق منها شذاء
والضحايا الأطفال كل صغير بين جفـــنيّ دمعة خرساء

فلذات تصيح عبر خيـالي وتنادي بأنـنـا أبرياء
أين قبيا وبيت سير وصفيا أين منها الجريمـة النكراء
كل يوم ضحية وشهيد عربي ، وطعنـة واعتداء
كيف ننسى الهوان والبطش والغدر وللجرح في ربانا لواء
كيف ننسى أبا المروءات لما صرعته في القسطل البرحاء
خالد خالد ، تمرّ الليـالي ولياليه نجـدة وافتـداء
مارد تسرح البطولة في عينيه أو يمرح الندى والسخاء
كان للقدس روحها فاطلّت تدّعيه جبالهـا الشمّاء
فرأتها السما فاقبـل منها كوكب مشرق الجبين مضاء
يحملُ الفارسَ القتيلَ ويمضي المعالي تضمّه الأجواء

يا أميركا بأرضنا شائك المجد والأوان
قد تعهدت بيننا فكرة خانها البيان
لفظتها حلومنـا بعد أن شابها الهوان
فارحلي عن وجودنا واحذري ثورة الزمان
فالصداقاتُ لم يعدْ في بلادي لها مكان

يا أميركا ، والعار ثوب غريب لبسته ربوعك الشمطاء
للصعاليك في رباك كيان أزليّ وسطوة وادّعاء
بيتك الأبيض البهيّ مقيلٌ يتلهّى بـه العبيـد الاماء

كل درب عليه للذلّ معنى أعجميّ ، وخسة وازدراء

روّضته عصابة حمقاء ونمته سياسة خرقاء

بيتك الأبيض البهيّ محجّ فحٌّ منه الأذى وفح البلاء

كلما انساب من نواحيه أفعى ولدت فيه حية رقطاء

الملايين فوق صدرك وهم عامر والرحاب قفر خواء

كل شيء على أديمك أضحى ميت الحس جفّ فيه الاباء

ليت كولومبس الكبير يراه كيف أمسى يسوسه الجبناء

ربما تصرخ الندامة فيه ويناجيه أمسه المعطاء

يوم حط الرحيل في الشاطىء البكر ، وأرسى تحدو به الأهواء

ليته ، ليته يعود اليه ليرى كيف خانه الأوفياء

فاقاموا في كل درب جميل مصنعاً للأذى نماه العداء

خنقوا صبوة الطبيعة في الحقل فضجّ السنا وضج الرواء

وأطلّوا على الوجود دماراً ملء أحلامهم تعيش الدماء

يا أميركا لو يورق الدهر عدلاً لأتاك وفي يديه الفناء

قل لدنيا اليهود إن خانها الفكر وأزرى بها الحجى والذكاء

وازدهاها الغرور فاستجبل السفح وقادت رياحها الأهواء

ان يوم الحساب يكبحه الصبر ويلوي لجامه الازدراء

قد عقدناه في جبين الليالي خالداً لا ينام فيه الجزاء

سوف نمشي اليه يحملنا الحقد وتذكي أرواحنا البغضاء

سوف نمشي اليه يوماً كبيراً ونهاراً تختال فيه الدماء
نحن أهل الفداء في الحالك الجهم إذا عزَّ في الوجود الفداء
نحن تاريخ وثبة ما توانت تتملى من نورها الصحراء
البطولات لم تكن غير حلم حققته في أرضنا الشهداء
والنبوّات لم تكن غير رؤيا نسجتها من زهدنا الأنبياء
قد مهرنا الأيام مجداً أثيلاً بين عينيه عزّة ومضاء
وحملنا للشمس أشهى مناها فتعرّى بدربها اللألاء
نحن عشنا مع الوجود حياة وسيمضي ونحن فيه نقاء
وتزول الشعوب والدهر يفنى وعلينا من منكبيه رداء
صرعتنا الأحداث جيلاً فجيلاً فصمدنا كأننا لا نُساء
ووقعنا من دونها كالأماني أنفت أن تذلها البأساء
قل لدنيا اليهود نحن صراع أزليّ ، وغضبة هوجاء
للملمّ العصيب نحيا ، وتمضي بين أشلائه بنا الأشلاء
نحن خصب إذا الربيع جفانا ونوالٌ مغدودق معطاء

اصبري ، اصبري على طعنة الغدر والألم
يا ربوعاً تحبّنا حقد الشعب واضطرم
فعلى كلّ ربوةٍ عندنا مقلة وفم
يشرئبّانِ لهفةً في جنون وفي نهم
وعلى كل شرفةٍ ثائرٌ خالد القسم
روحه فوق كفه تحمل الثأر والعدم

يا نداءَ الارواح في الشـــاطىء الخصب ، سناتي تحفُّنا العلياء

ننشر الهولَ والدمار ونبني   معقلاً يزدهي عليـــه البناء

سوف نـــأتي لنصفع الظـــلم والرجس فتبيض بالسنا الأرجاء

ملء أسماعنا عويل المنايا   والضحـــايا الخضيبة الحمراء

حيث لا ينفع البـكاء ولا الحزن ولا ينفع الردى استخذاء

حيث لا يطمع الزمـان بصفح   او يلبي عـلى المـــكان إخاء

فرحة الانتقام ، خنجر بطش   يتلوى ، وطعنة نجـــلاء

فرحة ينتشي الاباء لديهـــا   وتغني بهـــا الربى الخضراء

تحضن النازحين منـــا فتفنى   في سماها الاثقـــال والاعباء

تضرم الحق في فلسطين نصراً   يلتقي عنـــده الثرى والسماء

- ٨ -

اسكندرون — اللواء السليب

يا جناح الخيـــالْ قف تمهـــل بيهْ
قف وحيّ الظلال بالمنـــى الساميـــه
تلك أرضُ الجمـــال جنتي الساجيـــه
فهي رغـــم الزوال لم تزل باقيـــه
صمدت للنضـــال حرة داميـــه

ياطيوف المنى هنـاك أجيبي واخبريني عـن اللواء السليب
إنّ عيني لم تكتحـــل بثراه وفؤادي لم يجر بين الدروب
حدثيني عنه طويلاً طويلاً واستفيضي بالقول والتشبيب
فحديث الاشجان يندى بروحي كحـــديث المغلوب للمغلوب

نحن صنوان في الأسى ورفيقـان في موكب الحياة الخضيب
نحن صنوان في المهـــانة والبؤس وفي قبضة الظـــلام الرهيب
نحن جرحـان في جبين الليالي عمقـــا بالعـذاب والتعذيب
جمعتنا على المصير رؤى المجـد وماجت بنـــا رياح الخطوب
عانقت في الأسى ربوع فلسطين في الاسكندرون خفـــق القلوب
وسرى من ضلوع يافا نداء رددتـــه أنطاكيا بالوجيب

نجمتا جنة ، ودنيـــا فتون هوتا من سماء أفـــق مهيب
حلمت فيها المنيـــة يوماً فمشى الموت بالدخيل الغريب
يا طيوفَ المنى أطلّي فاني قد ألفتُ النحيب بين الدروب
نَكباتُ التاريخ ملء حياتي وجراحُ الزمان ملء ندوبي
ردّدي رددي على مسمعيّا من أغاريـد مجـدك المسلوب
شهقة ، شقهة يضيـع صداهـا بين عينيّ في الأسى والنحيب
حدثيني عن الجراحات لمـــا رقص الترك في ثراك الخصيب
واستباحوا جنانك الخضر في الخطب وداسوا على الجمـال القشيب
أوحوش؟ عفو الوحوش فهذي ربمـا عف بعضهـا في الكروب
أرجال ؟ عفو الصعاليك في الأرض وعفو الوغد الجبان المريب
هـذه خسة السلاطين تحيـا في عروق الأتراك بحر العيوب
مثلوهـا في آل عثمان جيلاً بعد جيل ، ياتي بكل عجيب
هـذه خسة العبيد وللعبـد طموع وفيـــه لؤم الربيب
كم لعثمانـَ في العروبـة من ظُفْـرٍ رهيب وكم له من نيوب
ألف عـام على صدور بنيها يزرعُ الإثم فوق كل كثيب
ألف عـام باسم الديانـة والجهـل وباسم الترغيب والتهذيب
ألف عـام يسومنـــا الذلّ والعسف ويلهو بِشيبنـــا والمشيب
عهـدَ عبـد الحميـد لا بارك الله بعبـد الحميـد بـين الذنوب
مجرم تنضح الجريمـة منـه وتغـني في صدره المشبوب
ولغت نفسه المريضة في الإثم وعاشت أنفاسه في اللهيب

وتحدّى شريعة الله في الحـــكم فادمى فؤاد كل أريب
فعــلى كل ربوة من رباه عربي معلق في صليب
وكئيب يشكو الهوان ويرنو عبر آلامه لصنو كئيب..!

لا سقى الله حقبةً جمعتنا على الوجود
شوّهت من وجودنا طعنت وثبة الجدود
رب شعب مضيـع بات يستمرىء القيود
لا حضارات لا حجى لا مروءات لا عهـود

إيه يا تركيا الجديـــدة اني خاب ظني بجيلك الموهوب
كنت أرجو لشعبك الطفل مجداً يزدهي بالإباء بين الشعوب
غير أني نسيت أنـ الدنايا يستقيها الأنام بـــين الحليب
انظري جرحك الفتيّ تهاوى فوق أشلاء مجدك المحجوب
رقصت فيه للدولار غوانٍ هنّ أحلام عزمـك المسلوب
وتمثّلت باليهـــود، فتيهي ببطولات خدنك المحبوب
أنا أخشى أنـ يستفيق بك الصبح على مدفع قريب قريب
أحمر الثغر أنفـــه في رباك ويداه على ثراك الرحيب
أنت أدرى الشعوب فيه وجوداً وله في ثراك وقـــع الدبيب

ذل من مزّق اللواء وتحدّى بـــه الإباء

ومشى فوق أرضه   يزرع الهمّ والشقاء
نحن صنوان في الأسى   والبطولات والرجاء
وثبة تلهم العلى   فرحة البعث واللقاء

يا بلاد النجوم والحلل الخضراء يا طرة الغمام القشيب
يا رحاب السنا المطلّ على الكون ويا بسمة المنى للغروب
يا نداء يرفّ عبر الأماني   خالداً بالحداء والتشبيب
يا جراحاً تسيل من كبد الشعب وتحيا في صدر كل أريب
لا تنامي فما نزال على العهد احتراقاً للموعد المضروب
نحن حقد على الأذى ونضالٌ   يتلظّى في مهده الموثوب
كيف ننساك والأماني تنادت   في مغانيك بالرجاء القريب
كلّ طير لديك يخفق بالشجو ويشدو في الشوق كالعندليب
كيف ننساك والحنين عويل   حملته لنا رياح الجنوب
فعقدنا على ثراك رؤانا   وحلمنا بكلّ وعد خصيب
سوف نأتي اليك يحملنا العطر الى دربك النديّ السكوب
ذات يوم يكبّر المجد فيه   عبقري المنى رهيبٍ غضوب

- ٩ -

في رحاب الجزائر

يا جناح العــذاب	خلّـــني هـهنـا
ساعة في الرحــــاب	ألتقــي بالمـــنى
ألتقــي بالصعـاب	وانطـــلاق السنا
بنسور غضـــاب	ألهبت مجـدنا
بين لمـــع الحراب	واهـــتزاز القنا
أقسمت بالـتراب	وشهيّ الجنى
وصمـــود الشباب	وجـــراح الضنى
أن تعيش الرغاب	حرّة في الدنا

يا جناحي،هذي رحاب الجزائر	كل شبر بهـــا على الضيم ثائر
تلك آكامها الخصيبـــة بالمجـــد	وأبطالها الكماة الأساور
تلك ساحاتها المهيبة بالنـــور	كصدر الايمان بالوحي عامر
صمدت فوقها البطولات تعرى	بين شدقي أهوالها والمجازر
وتغني في الحق أنشودة النصر	وتمضي مجنونة للمخاطر

يا جناحي صفِّقْ على ربوتيها وتنقَّلْ على رباها السواحر
رفة منك في سماء ذراها سوف تزهو بها على كل طائر
حسبك اليوم أن تجيء حماها وهي نشوى بين القنا والخناجر
رقصت في الجهاد تستبق النصر وتلهو على السيوف البواتر
قف طويلاً على المكارم واخفق روعة وانتفض بأشجى المشاعر
سكر الشرق بالميامين لما حمل الصبح للوجود البشائر
سرَّه أن يرى البطولة تزهو بين عيني مناضل ومغامر
حملتها في المجد أخيلة الخلد لتروي للخلد حمر المآثر
ثورة لا ترى الحقيقة إلاّ في رؤى النصر أو بظلِّ المقابر
سبقت مولد النضال وكانت حية في وجودنا والسرائر
في روابي أوراس يمتشق النجم حساماً مضرَّجَ النصلِ باتر
روحها فوق كفها تتلظى شهوة بالدم الزكيِّ العاطر
عزّ في دربها السلاح فما هانت وهانت على النضال الكبائر
فمضت تنسج السلاح من البذل وتستلهم الفدا والضمائر
ملء عين الوجود والمهج الظمأى وملء النهى وملء المحاجر
حملت عبئها العتيّ وماجت تتلوّى بين الربى والدساكر
ليس تخبو وإنما تشعل النار وتذكي أوارها والمجامر
فهي من عنصر الخلود لهيب وهي من فيضه السخي الزاخر
ضمدت جرحها جراح البوادي وحنت فوقها ضلوع الحواجر
واستعاد التاريخ فرحته الكبرى فغنّى لها وشقّ الحناجر

كان نسياً على ثراها فأمسى يكتب اليوم في ثراها المفاخر
ويغنـّي على الربى الحمر لحنـاً أزليَّ التوقيـع ،نشوان ظافر !!

* * *

يا روابي وهران في موكب التيـه ويا نبعة الجهاد الطاهر
من ترى الفارس الأبيّ على السفـح مهيباً يشع بين المنائر
يثب النور حـوله مثلما الحـلم الرقراق في خيالات شاعر
أتراه طيفاً بدا لابن بيـلا مشرقاً بالعطاء يقظان ساهر
هبَّ من سجنه الرهيب على الشوق ليحظى بصحبه في المغـاور
يلثم الزهو في جبـين مغانيـه كما النحل في ثغور الأزاهر
هاجه في الحنين دمـع مآقيـه فسالت خضيبة لا تـكابر
فهو رهنٌ بدربه وأمانيه عليه معقودة والأذاخر
رب ليث مكبَّـل في فرنسا عربي الجنان ظمآن صابر
لم يزل منه في الوجود زئير تدّعيه على الوجود القساور
وهن القيد في يديه عيـاءً فهـوى مثخن العزيـمة خائر
وأفاقت أغلاله بين جنبيـه لتشكو ظلم الزمان الغادر
راعها ان ترى البطولة صرعى بين اشراكها اللئام الكواسر
فمشت بالحنـان في معصميه وهي تدمى أنيابها والاظافر
يـا فرنسا تحطمت فيك للناس أمنيـات
كنت للنور مطلعاً ومنـاراً للمعجزات
ذل في دربـك السنا وهوى مثخناً ومات

يا فرنسا العبيد والبغي عـــلم أجنبي رحب الميـــادين سافر
أنت أبدعتـــه فأمسى يدوي في المخازي بكل بيت فاجر
أمسك المزدهي بأحلى المعاني بات عبثا ينوء فيـــه الحاضر
أطرقت فيه عبقريات جيل وانحنت فيه ذكريات عواطر
قممٌ من خرائد الفكر مادت بين أشلاء زهوك المتنـــاثر
أين فولتير يدرك القوم لمـــا طعنوا حرمة الحجى والشعائر
ليرى قومـــه غداة أقادوا من فرنسا ماخورة للعواهر
كل علج على رخيص ثراهـــا تاجر يرخص الضلال لتاجر
زهرة ، زهرة أباح رباهـــا فتخلى من عطرها كل عابر
النشيد الجبـــار أمسى لغيباً بـــين أشداق عابث ومقامر
رددتـه في السين شقر البغايا وتهادت بـــه تهز الخواصر !

* * *

يا فرنسا التاريـــخ عفو المروءات وعفو الماضي المجيـــد الغابر
انظري شعبك الزريَّ وهذا بعض ما خلفته فيك الصغائر
الزعامـات في ذراك سكارى أرهقت ليلهـــا بخمرة غادر
أنت والبطش توأمان على البغي وذئب مضرج الشدق فـاغر
لفظتك الآجام من صدرها الدامي فهشت لك الوحوش الكواسر
وقع أقدامك الرهيبـة في الدرب قلوب ثكلى وجرح غـائر
ويتـامى مشردون وجفن فوق صدر الآلام ظمآن حـائر
فاخجـــلي يا سليلة الإثم والفحش إنْ تخجلِ البغايا الفواجر

واسمعي صرخة العدالة تدوي | في سماء الشعوب تزجي البشائر
اسمعيها تدغدغ المجـد والكبر وتسري خفاقـة بالبوادر
نفرت من مضاجع الظلم تعطي | للضعيف المغلوب حق المصائر
فانتشت في الشعوب بيض الأماني | وتمطى من غفلة الدهر سادر
ثورة الشرق هـذه يا فرنسا | فانظريها تجسدت في الجزائر
واشهديها تطيح بالعسف والبغي وترمي أهل العروش القياصر
اشهديها تجيش بين رؤانا | تنفض الوهم في صدى كل خاطر
لا عبيد ولا صعاليكَ فيها | لا مضافات، لا قرى، لا عشائر
لا اتكالات، لا خرافات تمشي | فوقها مقلة، فتعمى البصائر
لا انحياز للغرب يدمي قواها | وانحياز للشرق عذب المظاهر
هذه ثورة العروبة ماجت | بالميامين والتظت بالكواسر
كلّ حيٍّ على جحيم لظاها | في الملم العصيب عبد القادر
لم يدعه الردى فأقسمَ بالموت ليستعذبنَّ فيه المخاطر
وحرام عليه أن يطلع الدهر على ملعب العروبة كافر ! !

— ١٠ —

الى جميلة

(لم اشأ ان تنشر هذه الانشودة دون انأثبت هذه المقاطع عن المناضلة العربية جميلة بوحيرد وقد اختلف وزنها عن صلب وزن الملحمة بسبب الزمن الذي نظمت فيه والذي جاء بعد نظم الملحمة) .

السجنُ والقيودُ يا جميلهْ حكايةٌ في دربنا طويله
حكاية تموج بالأماني والمهج الصامدة النبيله
حكاية يعزفها حمانا منذ قديم العمر في الطفوله
يوم مشت في صدره المآسي والأمم الغريبة الدخيله

* * *

حوّاء يا شهية المعاني والمقلة الحالمة الكحيله
أي هوى الى العلى دعاك في غمرة الأهوال والبطوله
أي نداء خالد جريء أطلّ في سمائك الظليله
أي رؤى مشت إلى ذراك فاشتعلت بالمجد والرجوله
حواء يا ندية الثنايا والشفة الرقيقة المعسوله

أين الحرير الأحمر الموَشّى | يجرُّ في درب الهوى ذيوله
أين السنا والسحر والـلآلي | والعطر والأنامل الصقيله
والمئزر الأنيق فوق صدر | تموج فيه القامـــة النحيله
ورأسك الشرقيّ في غواه | جديلة تحنو على جـــديله

* * *

فأوما العلى وراح يروي | أسطورة عريقـة أصيله
أسطورة الايمان بالضحايا | والمهج الصامدة النبيـله
أسطورة تعرى على لظاها | أحلامنا الهاجعة الذليله
كواعب تمشي إلى مناها | طـاهرة نقيـــة خجوله
تخط في التاريـــخ كل يوم | صحائفاً قـدسية مجهوله !!!

* * *

وأنت يا سجينة الأمـــاني | ترى بأي روضة نزيـــله
لا تعبثي بالقيد في يديك | فكل سجن في العلى خميـــله
ترى بماذا تحلمين فيهـــا | والليـل أرخى رهبة سدوله
ترى بماذا تهجسُ الأقاحي | وتهدس الزنابق المطـلوله
لعله الحبيب قد تهـــادى | بالشوق في أجفانك الثقيـــله
يطل من كوى الظلام طيفاً | مستنفراً أشواقه البليله
يودُّ لو تحمله إليـــك | آماله المعقـودة الموصوله
في غفلة ينسى بهـــا رباه | يشفي على انطلاقهـــا غليله

في غفلةٍ ، لولا التقى لراحت　　　تضلُّ في درب العلى سبيله

* * *

أتحلمين بالرجا وهذي　　　طلائع العروبة المأموله
تهتزُّ في نضالها اباء　　　سيوفها مشرعةٌ مسلولهْ
تختال في وهران والمنايا　　　من حولها خضيبة قتيله
مشت الى الطغيان في فضول　　　تشبع من دمائها فضوله
واستبسلت ، فهان كل صدر　　　واقتحمت في المجد مستحيله
مواكبُ الايمان ، فاستفيقي　　　تلقينها دفاقة خجوله
تطوي الدنى إليك في حنان　　　سواعداً قوية مفتوله
تحفُّ بالسجن الذي احتواك　　　على نداء الكبر والفضيله
قومي انظري الجيل الذي نماكِ　　　في الوثبة الكبرى يباهي جيله
يعقد في جبينك الدراري　　　فتعقد الدنيا له إكليله
قومي انظريه ثائر الحنايا　　　يحملُ في جراحه بتوله

* * *

السجن ، والقيود يا جميله　　　حكاية في دربنا طويله
للنصر في تاريخها سماء　　　سخيةٌ ، مشرقةٌ عليله
فهدهدي الشكوى فكلّ ليلٍ　　　يضمُّ في جناحه فلوله
وغرّدي للصبح واسمعيه　　　ألحانك الشجية المعسوله
ما أجمل الألحان أطلقتها　　　بلابل حبيسة مغلوله
وأفتك الدموع إن تنزّت　　　على النضال دمعةٌ بخيله

- ١١ -

الثورة ... مصر

يا جناح الفدا	هل عرفت الشمم
قف بصدر المدى	في سمـــاء الهرم
بين خفق الردى	وانتصار الألم
ورفيق الندى	وشجـي النغم
مجدنا قد بـــدا	زاهيا في القمم
رغم أنف العدا	وادعـــاء الأمم
فمددنا اليـــدا	ورفعنا العـــلم

* * *

هذه مصر أي حلم جديـــد	أيقظته المنى بارض الجدود
قد صحا من غياهب التيه يختـــال	ومن بعد هجعـــة ورقود
أي حـــلم مضمخ بالأماني	والمروءات والهدى والجود
سكر المجد بين هدبيه فانساب	في خاطر الزمان الفريـد
وتعرت على رؤاه ذرا الخلد	وهشت له نجـــود السعود
حلم مثل مهجة الأم أو أحنى	على خفقـة الجهـــاد الوليد

حلم مثلمـــا الجراحات تنشق عـــن ثورة جمـــوحٍ شرود
اطلقته العيون في صحوة العمر أبيـــا يزهو بصدر الوجود
فتهادى على سنا النيل نشوان ليزجـــي للنيل بشرى الخلود

* * *

هذه مصر يا جنـــاح انطلاقي فتخطر على الذرا من بعيـد
تلك أمجادها العريقة في الكبر قرابين نخوة وصمود
تلك أهرامهـا المطلة في الأفـق تسابيـح نشوة وسجود
لثمتها على الذرا البيض أنفـــاس السماوات بـين نحر وجيد
والتقت فوق صدرها ذكريات جهمة الظل حالكات القيود
مسح الفجر جرحها فتناست صفعـات الهوان والتهديـد
إن تلك الأهرام شيدها الحب ولم تبنهـا دمـاء العبيد
ها هو النيل دمعة الله في الصحو وفيض السماء عبر النجود
شق في زحمـة الرمال دروباً أورقت بالعطاء بـين البيد
خالد ، خالد يواكبه النور فيربي عطاؤه بالمزيـد
لم تشب فوقـه الليـالي ولكن كحلتها رؤى الأمـاني السود
وجبال العلى بـه لم تضيـع عمرها واكتست بعمر مديد
قد سرى في البطاح لحناً غنياً ومشى بالحداء والترديـد
كلما غاب عن عيون بنيه طالعتهم أشواقـه في الصعيد

* * *

هـذه مصر للزمان كتاب ضم في سفره رفـات الوجود
وحـــكايات ثورة وصراع ابديّ يمور عـــبر الوقود
رافقت عزة المماليك بالأمس وقـــامت تمحو الأذى من جديد
ذلّ فرعون في رباها وشاخت في مغانيه يانعـــات الورود
وبقـــايا فاروق لم يبق منها غير ذكرى في قبر عبد الحميد
حطمته يـــد العدالة لمـــا ملأ الأرض بالأذى والجحود
إيه فاروق والليـــالي حبالى بالمعـــاصي تئن فوق المهود
قصر « عابدين » لم يزل مثلما كان حفيـــا بناعسات الغيـد
فكان الايام قـد شيدته مسرحاً للغرام والتقويـــد
الجواري الملاح يمرحن فيه بين وقع الخطى وخفق النهود
مثلما كن في بلاطك دنيا من فتون وخفـة وقدود
يتلهـين فوق عرشك خزياً خجلت منه غانيات الرشيد
قم تطلع أخا الصبابة واشهد كيف خنّ العهود تلو العهود
يستقين الانخـاب في سدة العرش على صحـة المليك الشريـد

* * *

هـذه مصر ثورة الله في الأرض على كل مـــاجن عربيد
نفرت من شرايينها البطولة تنهـدّ في موكب الشعوب العتيد
يوم هبّ الاصرار بين لظاهـا شعـلة تضرم اللظى في القيود
ينسجون التاريـخ جيلاً من الوعي ويستنفرون كل رشيد
لفحة من زنابق النيل هبت بالميـامين والأُباةِ الصيد

شهر يوليـو والفجر يبسم للفجر ويهفو الوليـد إثر الوليد
والجمال العجيب يضحك للروض فيرنو العنقود للعنقود
مثقل بالعطاء والجود والخير محلى بزنبق وورود
مثقل بالوفاء والحبّ والبـــذل وبالكبر والرجـا والجهود
موسم ترقص الرجولة فيه وهي تهتز بالسنا والنشيـد
لا ادعاء لا كبرياء ولكن غضبة الحق والهدى والصعود
غضبة تفضح التردد في الشعب فيصحو على هـزيم الرعود
غضبة تجمع الملايين في قلب وتطوى آلامهم في وحيد
حطمت في الشعوب أسطورة الخوف وفكّـتْ من أسرها والجمود
فمشت في كرامة الشرق نوراً يتحدى صداقـة التقليـد
اسالوا صفقة السلاح وكانت أولَ الغيث في الكفاح الشديد
مزقت في الظلام أغشيةَ الوهم وحاكت للفجر أزهـى البرود
اسالوهـا وسائلوا الغرب عنها فهو منها في روعـة المفؤود
شدهته انتفاضة الشرق للشرق وعزت عليه حمر الوعود
راعه ان يرى العروبة ترمي ظل اوزاره ، فيا للجحود
راعه ان يرى الشعوب تنادت من ظلال الحرمان والتشريد
راعه ان يرى انبثاق الاماني في ربى الشرق خافقات البنود
فمضى يملأ الديار عويلا ومضى يملأ الدنى بالوعيد
واستفاق الصباح ، ينظر في هول الى الغـــدر في سما بور سعيد

* * *

- ١٢ -

المعركة — بور سعيد

أيها الغاصبون هـــوذا الملعب
صامد للمنون ثائـر مغضب
حاقد لن يهون مـــائج يضرب
ألهبتـه السنون والهوى المخصب
في غد تعلمون أيّـنا يغلب ؟؟

يا جناحي ، مـــاذا هناك على البحر على شطـه الرحيب المديـد
أي شيء يضمه المـــوج آناً في هبوط ، وتارة في صعود
فكأنّ الخضمّ شقّ مجـــالاً بين أضلاعه وبـين الكبود
يحمل الموكب الغريب إلى الشط ويغـــلي بالموكب العربيـــد
من ترى القوم أي وهم مريب دفع القوم لاقتحام الحدود
لمن المدفع الملحّ يدوّي عاصفاً بالدمار والتهديد
من ترى القوم يدرجون الى الرحبة زرق العيون بيض الخدود
قذفتهم سفائن البحر فـــانثالوا على الشط بالكثير العديد
أتراهم من القراصنة البيض ومن عالم مضى موءود

أم تراهم من اللصوص ، لصوص الغرب من عالم جديد تليد

يا جناحي ما خاب ظن بلادي ساعة بالمقنّع الرعديد

قف تمهّل واسمع صراخ بنيها تتغنّى بالعزم والتوحيد

نفرت من معاقل المجد تحمي يومها البكر بالدما والحديد

تنشر الموت من خضيب ثراها مشرئباً مرحباً بالوفود

زغردات على الصباح تنادت من حنايا الربى وظل الصرود

يا ميامين.. فانتشت واستفاقت غضبة الشعب في سما بور سعيد

فنفيرٌ ، فوثبةٌ ، فانطلاق وشهيد يخرُّ اثر شهيد

صرخة للفداء قد علّمتنا في حياة الفداء معنى الصمود

* * *

ومشت غزوة الأضاليل ترمي معقل الزهو بالأذى والحشود

زحفت تزرع الأذى وهي تشقى بأحاسيس مجدها المفقود

الأساطيل يا لعار الأساطيل في المرفا الصغير الودود

خجلت فوقها البطولات فارتدّت الى نحرها المهين الحسود

وأطلّتْ مدافعُ الإثم فيها تتلوّى على أنين الجنود

هزمتها طلائع النصر والخير لدى المرفأ الصغير السعيد

يوم قامت ترد كيد المجانين عن دربها السخيّ الجلود

تتحدّى في الطائرات رؤى البغي فتهوي عن أفقها المفؤود

لهف نفسي والموت يعتنق الموت في الملعب الأبي العنيد

والمظلات مثل أجنحة الطير تهادت بالتيه فوق الصرود
حجبت مقلة الشعاع عن الأرض وغطّت من نورها المعقود
فرأتها العيون فانسلّ منها حقدها من شقائه في الغمود
يتحدى نذالة الغزو والكيد ويذكي من ناره والوقود
أنف الدرب أن تمرّ عليه فرماها من مهده بالصدود
فتهاوت كالشلو في المخلب الدامي وأمستْ فريسةً للأسود

* * *

لهف نفسي والموت يعتنق الموت على الملعب الأبيّ العنيد
وحراب الصراع في وهج الحرب زنود معقـودة بزنود
والدماء الحمراء تنساب حقداً من وريد مخضب لوريد
والدويّ الدويّ ملء خطى الدرب على هوة الصراع الكؤود
وبنو الدار يخطرون إباءً فكأنّ الديار ماجت بعيد
ألهبتهم على العذاب رؤى الغدر فثاروا مع العلى في صعيد
تنتخي فيهم الرجولة والكبر فيزهو الوليد بالمولود
والصغار الأطفال في وهج النار حفيد يزجي المنى لحفيد
والنساء الحرائر السمر يختلن في شرفة البناء المشيد
يتخطّرن بالسلاح ويقذفن إلى الموت كل علجٍ مريد
شرفاً بور سعيد ما أجمل الموت ويا حبذا جوار الغيد

* * *

شرفاً بور سعيد ينهي على النصر وعزّاً في يومك المنشود
أنت ألهبت للبطولة طيفاً في خيال اليرموك وابن الوليد
هبَّ من ضجعة الثرى وأطلّتْ مقلتاه بالزهو بين اللحود
أنتِ ألهمت كلَّ معنىً فريدٍ بات يحيا في خالدات القصيد
أنت حلمٌ مجنّحٌ وخيال عبقريٌّ ونفحة من خلود
لك فوق التاريخ أعلامك الحمر فتيهي بها وغنّي وميدي
واشعلي النار إن عفت بين عينيك ومالت أحلامها للخمود
أشعليها بالحقد لا تطفئيها فهي جزء من حلمنا المنشود
حلم الشعب في التحرر والنصر ونجوى معذب وطريد
حلم يلهم الحقيقة في الشرق بأشواق سيّد ومسود
عربي يمور بالثأر والهول على أمنيات جيل حقود !!

- ١٢ -

في الصحراء .. والخليج العربي (١)

يا جناح الأرب		قف بهذي الرمال
تلك أرض العرب		وصحارى الخيال
فجّرتها الحقب		والسنا والـلآل
قف بها لا تهب		فهي رغم الضلال
تلتظي باللهب		والعلى والنضال

يا جناحي ، هنا مرابع أُنسي		ونداء الماضي وأحلامُ أَمسي
تلك أنفاسها الشذية بالتاريـ		ـخ والعزم والندى والبأس
هو ذا ملعبي يطلّ بأجدادي		فيحنو دمي ويعمق حسي
بين عينيَّ من ملامحه السمر		وفي جبهتي وفي شعر رأسي
وعلى أصغريّ منه وفاء		لم يزل نابضاً بأروع جَرْسَ
أنا من هذه الربوع أمير		عربيّ ازهو بـدرعي وقوسي
بدويّ السمات والخُلْقِ والخَلْق		وإن أنتمي فمن عبد شمس
حملتني الصحراء في صدرها البكر		فأسلمت للطبيعة نفسي

(١) يستفاد من بعض اوراق المسودة ان هذا الجزء من القصيدة نظم سنه ١٩٥١ او ١٩٥٢

ورضعت الصمود من ظمأ الرمل فماتت بـــه خيالات أمسي
أنا تاريخ عالم نشرتـــه ثورة الهدي في سما كل جنس
همس الله في ضميري فماجت نخوة الفتح بين سيف وترس
تحمل المشعل النبيل وتمضي تغسل الأرض من بلاء ورجس
أمرع الهدي يصرع الجدب في الدرب فينـــدى عليه أكرم غرس
للحضارات لفتـــة في سمائي لوّنتها بالعبقرية شمسي
للبطولات جولة عرفتها وثبة المجد بين روم وفرس
أشرقت في ربى المدينة بالنـــور وراحت تمشي بـه للقـدس

* * *

هذه جنتي العريقة بالكـــبر هنا موطني ومسقط رأسي
ما جحدت الآلام فوق رباها وعلى صدرها عرفت التأسّي
موطني موطـــني وإن عزّت الدار على الفـــارس الأبي بلمس
فعلى كعبة الرسول [1] حنيني وصلاتي تطوف فيها وهمسي

* * *

يا خيال الصحراء يذكي خيالي لا الأماني ولا التشوّق ينسي
أنا لي من هناك ذكرى انطلاقٍ من حنايا الماضي ومحراب قدسي
أنا لي من هناك شيطان شعري يتهادى ما بين جنٍّ وأنس

---

(١) في المسودة : الجهاد .

رقصت فيه للفصاحة أوتار نمتها في الفن أوتار قسٌّ
ولوادي العقيق عرسٌ يتيم أوقفتني عليه أوهام عرس
أين مني الكواعب السمر تلهو بالصبا الحلو والشذا والدمقس
صور من رواسب الأمس تحيا في خيالي النامي، وتضحي وتمسي
للعشايا على حداهـــا ظلال حالمات من عهد ليلى وقيس
سكرت بالهوى ، فقامت دلالاً تتثنى ما بين كأس وكأس ..!

* * *

أي داءٍ من الثرى بيننا اليوم قد سرى
عاث في الناس والتظى في سمـا الحكم منكرا
أَسْـوَداً يزرع الأذى أسمراً يفصم العرى
شهوة المال فلتمتْ في سنا المجد مظهرا

* * *

يا خيال الصحراء ماذا دهى الحـــكم فقد خاب فيه ظني وحدسي
فكأنَّ الرمال أسكرها المـــال وطهر الثرى أصيب بمسٌّ
وجمت همة السلاطين في الدار وطابت ما بـــين صم وخرس
طعنوا! وثبة العروبة في الشرق وخانوا التاريخ باسم الفلس
فعلى الأفق من لذائذهم جــــرح يدمّي الفضا ، وكوكب نحس
وطنَ الخلد ، جنة الخلد أضحت تتلوّى مــــا بين إثم ودسٌّ

حلمت شهوة المماليك بالحكم وهامت ذلاً بأشلاءِ كرسي
فإذا الشعب ثورة تتنادى ثم تهوي على الظلام بفأس
تبعث المجد في رفات بنيها وتلبي صوت العلى في الرمس..!

* * *

يا نبيَّ العربْ أقبل الثائرون
وأطلَّ اللهبْ واستفاق البنون
شعبنا قد وثب من حنايا القرون
هادراً بالغضب في رحاب المنون

* * *

يا نبي الهدى وحامي الديار ورسول السماءِ للأحرار
هو ذا شعبك الأبيّ أفاقت بين عينيه شهوة الانتصار
فمضى يلهب الجزيرة بالنار ويرمي دنيا الأذى بالنار
بعد أن مزّق الغريب أمانيه وأدمى أحلامه بالعار
عاودته على العذاب رؤى الوحي فهبّت مجنونة بالثار
وأطلّت من صدره صبوات للعلى عفة الهوى والازار
ذكرته بالسيف والسيف شرع عربي في ديننا المختار
قدر في يميننا قد نسيناه ومجد مؤزر النصل ضاري
آمنت فوق حدّه الشعوب وذلت بين جنبيه صولة الكفّار

وانحنت دونه الرقاب فخافت   بطشه في الرحاب حمر الضواري
يا نبي الالهام والشعب ثارت   من روابيه غفلة الإنتظـــار
أرهقته السنون فانهدّ يبني   مجده من جمـــاجم الثوّار
حمل السيف من جديد فكانت   غضبة الله غضبة الأحرار
يا نبي الصراع أشرقْ على الأرض وكوكبْ بين الربى والقفار
قد ملأت الوجودَ بالحقِّ لما   أن مزجتَ الصراع بالإيثار
وعقدت العلى بناصيةِ الباس وبالجود والفدا والفخار

* * *

قم تطلع للشعب عاوده الصحو فلبّى طبيعـة الإصرار
يتهادى إلى الردى وعليـــه   من رؤى الأمس لفتة الإكبار
وعلى مقلتيه من قَبسِ الوحي انطـلاقٌ مقـدّس الأسرار
قم تطلع اليه يلهبه الحقد فيهمي بالسيل والإعصار
من رحاب الخليج شقّ دجى الليل وأهوى بالصارم البتّـــار
نفرت في الشواطىء البيض أطياف حماة في غمرة التيّـــار
همّـهـــا أن تعيش أو ينتهي الدهر فـلا كان عالم الأشرار
همها أن يزول عن منكبيها   عصبةُ المجرمين والفجار
صرخاتٌ من الكويت تسامَتْ   ردّدتها البحرين في إكبـــار
تلتقي عندها الشعوب وتحيا   في القوين المعربـــد الهدّار
صمدت في عمان تذكي لظاها   ثورة جهمـة اللظى بـالأوار

تتحدى في الانكليز رؤى الشر وتهوي بالشر والأشرار
نفر من حمية الله في الكون وجمع من جيشه الجرّار
صمدوا للأساطيل للغزو والعسف فتاهت بهم عيون الباري
أرجعوا للجهاد نشوتـــه الأولى فماجت آفاقه بالدراري
وانثنت كل ربوة في الفيافي تتغنى بفـارس مغـوار

* * *

أجمع الشعبُ أمرَهُ فتبدَّى فجر أحلامه سخيّ النهـار
يتنادى بوحدة القـــوم في الدار ويدعو للضمّ والإنصهار
وحدة ردّد الزمان صداها بين خفق الآمال والأفكار
وحدة تعرف الحقيقـــة معناها فتسعى لفرضها في الديار
وحدة في طبيعة الشعب كانت منذ أن شبَّ فوق تلك الصحاري
لّمها البعث في عروق بنيهـا فانتشت بالصمود والأحرار
وسرت في ربى الخليج لهيباً يحضن الأطلسيَّ بحر البحار
ليس ترضى لشملها الضيم والذلّ وتأبى مشيئة الأقـدار
فهي للشعب حلمه ومنـــاه وحنين الأقطار للأقطار
كلّما أخمد الزمان لظاها نبضت بالفـداء والأنوار
لم تنم مرة على اليأس لكن خطرت بين وثبـــة وعثار
جاءها حينها فهبّت من المـوت وثارت من قبضة الإحتقـار

تكتب اليوم سفرها وتروّي صفحات الخـلود والأسفار
الدم الحر بعض ما يتنزّى من جراحاتهـا على الأخطار
للغريب الدخيل فيها ادّعاءٌ وقرابين شهوة ودمـار
صفعته وأقبلت تحمل العبء فترنو الأبصار لـلأبصار
تتخطى الحدود عبر المسافات وتجتاز باسقَ الأسوار ..

* * *

يا نبي الصحراء هـذي بلادي خفقت بين صبوتي وادّكاري
قد تغنيتهـا صغيراً صبياً فأفاقت لحناً على قيثـاري
حلمت مقلتي بهـا فتعرّت صبواتي على رؤى واخضرار
ولمحت الوجود ينبض مجداً عربياً موحّدَ الأمصار
فهي رغم العداء والخلف في الرأي رحاب تختال بالأخيار
الخلافات سوف تمضي وتبقى عصبة الشعب حرّة في الدار
حيث يحيا على القصيدة جيل في ربوع البناء والازدهـار
ينشر العدل والمساواة في النـاس ويمحو أسطـورة الاحتـكار
يصرع الرمل في العطاء وتهمي دمدمات الاخاء في الآبـار
ذلك الأسود المطـلّ من الأرض نداء الصحراء للانفجار
لو ملكنـا زمامه لنسجنا من شرايينه عقود الغار

ورفعنـــا على السماء لوانا واقتحمنا معاقل الفُجّار

انه حقّـدنا وفي ذمـــة الغدّار ما ضاع من غـنىً ونضار

انه حقدنا فقــــل الملايين استجدي مسيرة بالشعار

وسنبني به الحصون ونمشي بالملايـين لذة الثـــار

حقدنا حقدنا ،وإن يذهبالعمر حديث الركبان والسمّار !!

- ١٣ -

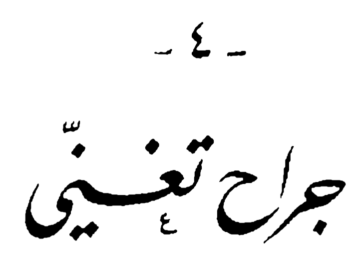
في سماء العراق

يا جنـــاح الصبا طف بدنيا العراق
كوكباً ، كوكبا بعد جرحِ الفراق
وتمـــلّ الربى في أسىً واشتياق
قد بكت ملعبـــا وانتحت للشقاق
روضهـــا أجدبا تحت لفح النفـاق
آن ان تغضبا فالوجود استفـاق
فوق صدر الظبا ونضال الرفـــاق

يا جناحي،هذي العراق الحبيبه هذه دارة النضال الرحيبـــه
قم تنقل على ذراهـــا وغرق (١)

(١) هكذا جاءت « أنشودة الحقد » غير مكتملة ، في الأصول .

- ٤ -



الاهداء

الى الذين برعموا في مقـــلة الجراحْ
وأورقوا على رؤى النضال والكفاحْ
وصلبوا مصيرهم في حاطر الســـلاح
واستشهدوا ، ليولدوا في ثورة الصباحْ

* * *

إلى رفاق الموت في مواكبِ الحياهْ
الى الذين عـــانقوا المنون للنجاه
وانتصروا على الردى العقيم في سماه
فــكان كلٌّ واحدٍ في موتـــه إلهْ

* * *

الى الذين دفعوا ضريبة الوجودْ
شذىً مخضَّب الهوى تعرُفه الورود
واغتصبوا اللذاتِ من براثن القيود

واقتحموا على الاذى ملاعب الخلود ..

* * *

الى الذين مزقوا اسطورة القـــدرْ
وفرضوا وجودهمْ من ظلمة الحفر
ولونوا تاريخهم بعـــاصف الشرر
فحققوا وجودنا ، فمـــاج وانتصر

* * *

لانبيائنـــا الصغار أبـــدعُ النشيدْ
ملاحمـــاً ، ينزو بها الوريد للوريدْ
فأنبياؤنا الصغارُ عالمٌ جديـــد
يموت والعلى به ، أدرى بما تريد !

إيمان

ونحرتُ أوهامي وكان لهـــا
أشباحُها، في صدريَ الدامي!
وعبرتُ في التاريـــخ أيامي
أحيا على أصداءِ إلهـــامي
وأهدُّ من أحلام أصنامي،
فـــأرى بـــأحلامـــي
فجـــري وأعـــلامي
ومصيرَ ظلاّمي، وحكامي

* * *

وصرختُ من قيدي أحرّكهُ
في معصميَّ، فلانَ لي قيدي
فنسيت في استسلامـــه جهدي
وعويل أجفـــاني على خدّي
ودفنتُ بين جراحه حقدي

ونثرت في أعمـــاقه وجـدي
وهزأت من قيدي ، أصافحه
فلقـد لمحت بعينـــه مجـدي

* * *

آلامنا والشعب يحملُهـــا
عذراء ، تنزف في سما الخطبِ
نبضت بدنيا الغدر داميـــةً
تحدو بنا في موكب العُـرْب
هذي طلائعها مجنحـــة
تختـــال كالإيمان في الدرب
وتموج بالتاريخ تدفعـــه
فيهمُ من ركب الى ركب
النور فوق جبينـــه حُلُـمْ
أَرِقَتْ عليه دسائس الغرب
يا سارق الأحلام في بـلدي
آمنتُ بعد الله ، بالشعب !!

عرفت يا الله

لماذا يا ربُّ ألهمتـــني فاسعدتني ، وأشقيتني ؟
لماذا عمدتـــني بالرؤى فاضحكتني ، وأبكيتني ؟
لماذا رميتني بالعـــلى فاعليتـني ، وأذللتـني ؟

لماذا؟

يا ليتَ كان ليْ
روحٌ بليدْ
قلب بليد
أرفرف من دون غايهْ
وأحيا فصول الروايه
أراقبها من بعيد
وأدنو من اللانهايه
بقلب جديد ، وروح جديدْ
يؤكد فيَّ ضياعي
ويلجم فيَّ اندفاعي
ويصلبني في الفضاء الشريد !

* * *

لماذا يا ربُّ جرَّبتـــني فأيقظتني ، وأشعلتـني ؟
لماذا مزجتـــني بالسنا فطهَّرتني ، وأشبقتني ؟
لماذا كلَّلتـــني بالمـنى وأطمعتني ، وأقحمتني ؟

لماذا؟

يا حبذا السكون !
في خاطر الدنى
يا حبذا الجمودُ في الوجودْ
مشرَّد المنى
تضلُّ في آفاقه « الأنا »
فقد شقيت « بالأنا »
لا حسَّ ، لا انفصالْ
لا نبض ، لا خيال
وإنما الضياع والزوالْ
في عتمةِ اللاشيء والمحالْ !

* * *

لماذا يا ربُّ أطعمتـــنيٍ فجوَّعتني ، وأشبعتني ؟
لماذا حرمتـــني مرّةً فبصرتـني ، ودنستني ؟
لماذا هزمتَ لي غايـتي فنوّرتـني ، وأضللتني ؟

لماذا؟

أنا حرٌّ وعبدْ

فانتفض الحرمانُ عبر يقظتي
يقذفني/من حالكات ظلمتي
يشدّني للخير والفداءْ
للبذل والعطاءْ
فاهتدي ، ويهدأ الصراع بين أضلعي
وتهدأُ الجراح بين أدمعي ،
وترتقي في أعيني ، لأنني
عرفت يا الله لِمْ خلقتني ! !

بين البشرْ
أنا قبر ومهدْ
لدى القدرْ
أشقى بما أريدْ
يجترُّني الوجودْ
تجترُّني القيودْ
تجرّني الجراح والسنونْ
فمن أكونْ ؟
وتصرخُ الحياةُ في الإله
تجرُجه على سماه
وتصرخُ الشفاهْ
خلقتني ، خلقتني
وأسال الضياع يا ألله لمْ خلقتني !!

* * *

ودمدمت عواصف الحياة في دمي
واغرورقت في دربنا الدماء
وانتفض الوجود بالعذابِ والعياءْ
وشُرّد الجمال عبر جنتي
وصلبتْ على العراء أمـــتي
وخُضّب الإباءُ والرجـــاءْ

اصرار

الى شهداء الطليعة الذين دفعوا ضريبة
المجد في كل مكان.

نحن هنـا ، رغم الاذى والجحودْ مواكبٌ تمضـي ، وأخرى تعود
نفجّـر الإيمان في دربنـــا نوراً فينمـــو في ثرانا الوجود
براعمٌ للبعثِ دفاقـــةٌ تحيـــا على جفن العلى والخلود
لا همّـها ريـــح ، ولا هزها لفحٌ ، ولا أقلق منهـــا رعود
تصمدُ في وجـــه الأذى حرةً تعلمّ الرجعةَ معنى الصمود
وتنثني للهول تجتـاحـُـه عواصفاً هوجـــاء تمحو الحدود
رسالة ايقظهـــا شعبنا من هجعـة الماضي ودنيا الجدود
منطقها نصرٌ ، وإيمانهـا إما توانت في العلى أن تسودْ
قد شمخت في عمرهـــا تتقي جريمة الباغي ، ودعوى الحسود
نحن بها ، حلمٌ على ثغرها وفي ثراها السمح معنى شرود !

* * *

نحن هنـا فانتفضي يا ذرا ورفرفي في افقنـا يا بنودْ

فنحنُ نصر ، إن لبسنا المنى ونحن نصرٌ ان لبسنا القيود
وحسبنا مـــا يدعيه الفدا في سفره ، أنّـا حفظنا العهود
صرختنـا تنـاب من عــالم لم يبقَ فيـــه سيدٌ أو مسود
الشعبُ فيـــه ، مطلقٌ همّـه ان يبدع الدنيـا ويبني الوجود
مجتمعاً مغرورقـــاً بالسنا فيه مساواةٌ ، وفيضٌ وجودْ

* * *

نحن هنا ، لمـــا يزل فيضنـــا مشـــاعلاً للفكر بيض الوعود
وحدتنا تبنى بآلامنـــا فاستلهمي يا نار منا الوقودْ
واضطرمي حقداً ، فاحقادنا تجسدت ، وانتصرت في اللحود
مواكباً من شهـــداء العلى تمشي الى الموت بعمر الورود
تنشرُ في أعماقنـــا حقنا في ان نموت العمر .. حتى نعود!

التفاحة المحرمة

كان لا بد ان تقطف التفاحة من الفردوس، لتولد الحياة ويولد الجمال وما اشبه هذه التفاحة ببلدي فلسطين التي كان لا بد ان تهوي ليكون البعث العربي بأشمل معانيه .

جئتِ ، فكان الكون مذ جئت
عذراءُ من أنت ؟
يا خفقة العمر بضلع القدرْ
يا فكرة ناءت بحمل الثمرْ
عذراء من أنت ؟
يا بكر أمٍّ حملتْ بالمنى
تسكبُها على جراح الدنى
تزرعُها خصباً ، ونعمى سنى
لا ترمقي الأغصان ، لا تأسفي !
ظلّي على وجودنا ، رفرفي
فالطهرُ في دنيا الهوى ما انتحرْ

وإنما كنت لكي تقطفي

عن دوحك المترفِ

ليصدحَ اللحن بصدر الوترْ

ويلثمَ الطلُّ خدود الزهرْ

وينبضَ الوحيُ بـــدفء الصور

ويهتدي الدربُ بظلِّ القمر

وإنما كنت لكي تقطفي

عن دوحك المترفِ

من قبل أن تعرفي

يا أنت ، يا عذراءُ كنه البشر

ليولد البشر ! .

* * *

وقيلَ يا حوّاءُ أخطأتِ

حواء .. ما أشقى الذي قالا

حواء ، ما أشقى الذي زوّرا

حواءُ من أنت ؟

يا نشوةً في بالنا كنتِ

سعت بها أفعى !

فشيدتْ من سمّها بيتي

وانطفقت في خاطري صمتي
واستنفرت ثغر السما ضرعا
أروي به نبتي
أحيا على موتي
لبيك ملء الروح يا أفعى
لولاك لم أعرف صباباتي
أصداء أشواقي ولذّاتي
ولم يهدهد في وجودي جمالْ
ولم يرفرفْ عبرَ جفني خيال
ولا السُّرى كانا
يحدو نجاوانا
ولا رنتْ في مقلتيّ المنى
تفرضني أنا
أنا الذي أبدعتها ، مَن أنا ؟
لولاكِ يا أفعى
يا ربّةً لمـــا تزل تسعى
في خدر أحلامي وفي بيتي !
وقيل يا حواء أخطأت
عفوَ الذي قـــالا

لم يدرِ من أنتِ
لو انه نالا
بعض الذي نلناه أو نلتِ
من بعد أجيالٍ من الكبتِ
غفا بها الإلهُ في السما
فاطرقت تجهها
ميتةً تحنو على ميت
ما قال يا عذراء أخطاتِ
ولمْ جئتِ !!

* * *

تفاحتي كانت على دربي
تفيضُ بالنعمى وبالنورِ
وبالندى !
تفاحتي .. دربي ..
تناثرت في ملعب الُحبِّ
أحبّـها الردى
فاغتالها الردى
ومات في أرجائهـــا صحبي
تفاحتي داري ، ومن قلبي

أطعمتها في حالك الخطب

لتخلدا

في ثورة الفدا.

تفاحتي .. جريمتي ، ذنبي

وملعبي المطعون في جنبي

مزّقها العدا

تفاحتي ، شعـــبي تشرّدا

وكان لا بُدَّ أن يُجلدا

ليفتدي ، ويُفتدى ..

ليولدا ..!!

الدمعة الحاقدة

أتبكين ؟ ماذا ؟
أمات أبوك ؟ ومات اخوك
وجارت عليك جراحُ السنين
وادرجتِ في موكب اللاجئين ؟!!

* * *

اتبكين ... !
قومي نشدّ الاباءْ
على ملعب الكبرياءْ
فاني ابو كِ ، واني أخوك
كبرتُ على لوعةِ اللاجئينْ
وأخرست في جنباتي الأنينْ
فقومى نشد الأباءُ
على ملعب الكبرياء
فاني رفيق الصراع الغريبْ

رفيق النداء الحبيبْ
جريحٌ ، ومثلك بين الرمال، وعبر السهول
وجودي دفينٌ ؛ وحلمي جريحٌ دفين !
أتبكين ... ! ماذا ؟
ايجدي البكاءُ ، فتحنو عليك عيونُ السماءْ
لتقتل في جانحيك الرجاء ؟
وتطفىء في جانبيك الحنين ؟
أخاف عليكِ ..
أخاف الشقاء ، وأخشى الرثاءْ
يميت بقايا الاباء
ويدمي بصدرك معنى الفداء
فيحلو البقاءُ ، وتستمرئينْ ..
ضياعك في موكب اللاجئين !!

* * *

اتبكين داراً سليبه ،
ودنيا خضيبهْ ،
وكبراً عليها طعينْ ؟
بربك ، بالدمعة الحاقدهْ
بأحلامها الثرةِ الشاردهْ

وشوق بعينيك يطوي السنينْ
ويلهثُ بالنار بين الجفون
سألتُكِ بالكبر لا تسفحيها
ولا تطرحيها !
وضمي عليها العيونْ
فانتِ عليها ، وفيها ،
الى روضنا ترجعين !!

الشعب أقوى

كان مختفياً في كهف صغير تجـتره
الاحلام ، وتتناوبه الهواجس السوداء
عندما فاجأه الصوت .

الشعبُ أقوى .. والتفتّ فلم أجــد حولي سوايا !
الماءُ ، والزادُ القليل ، وثورةٌ بين الحنـــايا
وبقيةٌ من ذكرياتي البيضِ في احــدى الزوايا
تجترُّني قلقاً ، فادفعهـــا فتجذبني البقـــايا
وتشيلني بين الرؤى السوداء ، تضحكُ من رؤايا !!

* * *

الشعبُ أقوى .. والتفتُّ فلم أجــد حولي سوايا
عيني على الباب الأصمّ ، تشقّ استار الخفايـــا
وترود آفـــاق الوجود ، كانما تشكو الرزايا
ضلّ المصيرُ على تطلعهـــا ، وضلّتْ مقلتايا
وعلى يدي قلبٌ يرفرفُ كلمـــا بَعُدتْ منايا

جبنتْ بـــه الاحلامُ فاستخذى يهولُ لي اسايا
وبكاد يبكي لو أطاوعـــه ، فيمنعني حجايا
وأميتُ أجفاني عليه ، تـكادُ تفضحني النوايا ..!

* * *

الشعبُ اقوى .. والتفت فلم اجد حولي سوايا
اين الرفاق ؟ تكلمي ، فالصمتُ بدّد لي قوايا
يا غفلة العمر التي شربت على ظمأ دمايـــا
اين الرفاق ؟ قيودهم في السجن تعرفهـــا يدايا
صمد الاباء على العذاب ومـــاج في مقلِ البلايا
والكبرياءُ تسمرت تحصي على الدنيـــا الضحايا
والجرح ينزفُ بالربيـــع ، فتستظلُّ به المنايا
تلك العطايا من جراح الشعب تغتفر الخطايا
والخلد أدرى بالدم الغالي ، وادرى بالعطايا ..!

* * *

وقبعتُ أستجدي الصمود على ارتعاشاتِ العشايا
فإذا باعمـــاقي تردّدني ، وتنقـــل لي صدايا
وتموج بي عبرَ النضالِ وتستحثُّ له خطـــايا
وتصيحُ بالإيمان تفرُضه ، وتُلْهِمُه الوصايا :
الشعب أقوى ، والتفتُّ وقد بدا حولي سوايا !!

الوصية الاخيرة

حبيبي ..!

إذا ما أتاك الخبرْ

وكنتَ وحيــــدا

تداعب بين يديك وحيدي

وتهفو لموعدنا المنتظرْ

فلا تبكني ، انني لن أعودْ

فقد هان عبر بلادي الوجود

ذليلا ، جريحاً

ورنّ باذني ، نداءُ الخطرْ

* * *

حبيبي ..!

إذا ما أتاك الخبرْ

وصاح النعاهْ :

يقولون مات الوفيُّ ، وغاضت رؤاه

ونام العبيرُ بحضن الزَّهَرْ
فلا تبكني ، وابتسم للحياهْ
وقل لوحيدي ، لاني أحب وحيدى
أبوك رؤى شعبهِ
اضاءتْ دجى قلبه
وحطتْ على دربه
شظايا فِكَرْ
رأى الظلم يُدمي رباه
فثار الى مبتغاه
وكان شهيدا
وكلُّ شهيدٍ إله
تسامى ، فلوَّن معنى الصلاه
وعَمَّقَ من وحيها وابتكرْ
فسالت نضالا دماه
وماجت إباءً رؤاه
تهزّ مصير القدرْ !

* * *

حبيبي ..؟

إذا ما اتاك الخبرْ

وجاء الرفاق اليكْ
وفي مقلتيهم عليك ، بقايا حذر
ترفّق بهم ، وابتسم للجميعْ
فموتي حياةُ الجميعْ
سفحتُ ربيعي خريفاً ، ليبقى الربيع
وخلّيتُ احلام شعبي عليه
اصلي لديه ، واحيا لديه
وبي نشوةُ المبدعِ
تزغردُ في أضلعي
تعلمني الحبَّ في كل يومِ
وتسري كفاحا بروحي وجسمي
فاخلدُ في بال صحبي وقومي
وأبقى على جفن زهوي وحُلمي
وأحيا ببــال الذِّكرْ

* * *

حبيبي ..!

إذا ما أتاك الخبرْ
فخفت عليَّا
وسار الشحوبُ إلى وجنتيكْ

كسيراً نقيّـــا ، شحوب القمرْ
فلا تجعلنهُ يطيل عليكْ
ليشرب من مقلتيكْ
لأني أغارُ عليك ضياء القمر
وقل لوحيدي
لأني أحبُّ وحيدي
بأني تذوّقت معنى العطاء
ولذّ اقلبي جرح الفداء
ولم يبق مني إليه
سوى زفرة من نشيدي ، وأشلاء عودي
تكوّم في دارنا وانتثرْ
وقل لوحيدي ، إذا زار قبري
وحنَّ لذكري
بأني سارجع يوماً إليه
لأجني الثمر !!

لبنان

« الى خطيبتي هدى فؤاد زكّا »

خلٍّ لنا ، لبنانُ ما أطمعكْ !   بعضَ السنا ، حتى نغنّي معكْ

لم تُبق في الحسن لنا موسماً   إلا ووشّحتَ به مَرتعكْ

سبحانَ من مسّتْ أزاميلهُ   جراحه ، فلوّنتْ أربعك

تحيّرتْ أناملٌ في السما   وشت بأحلام السما مضجعك

لو ترتجيها اليوم في لمسةٍ   جديدة ، تغزو بها موضعك

لأخفقتْ ، وأعرضتْ رهبةً   وعزَّ في الإلهام أن تبدعكْ

* * *

لبنان ، لِمْ أطرقت في حيرةٍ   كأنما وهجُ السنا ضيّعك

انظر بعين الحبِّ تشهدْ بنا   ثغرك ، أو عينك أو إصبعك

فنحن في درب المنى وردة   أطلعها في الروض من أطلعك

الدمعة الثكلى بأجفاننا   تلثم في جفن العلى مدمعك

تاريخنا في حلمه واحدٌ   ما خان دنياك ولا شيّعك

يا قلبنا، بوركتَ في جرحنا — أطبقْ عليه كلّها أوجعك

فجرُحنا من صدره في العلى — لو سال تلقى عبره مصرعك

لبنانُ .. والبعثُ الذي ضمّنا — لا بد في الإيمان أن نجمعك

غداً يشقُّ الفجر أكمامه — في موكب الدين الذي روّعك

ويستردُّ الله أنفاسه — على عناقٍ في العلى أرجعك!

من وحي الوحدة

كتب هذه القصيدة بعد ان استمع
الى المذياع يعلن نبـأ اعلان
الوحدة .. وكان بعيداً .

اشهى المنى ، ما نبضت بالكفاحْ   في وحـدةٍ كبرى ، تلمُّ الجراحْ
تومىءُ للدنيـا باحلامها   وتزدهي بـين القنا والرماح
كأنما التاريـخُ من حولها   يطلُّ بالنخوة شاكي السلاح
فانتفضي يا امـتي واصدحي   اليوم يحلو في رباك الصـداح
اليوم لا فجـرٌ ، ولا صحوةٌ   وانمـا مواكب للصبـاحْ
تخاصرتْ فيـه المنى بالمنى   وعانقت فيه البطاحُ البطاح !

* * *

طلائع الوحدة هذي فقل   تبـارك الكبر بهـا والسماح
لمصرنا والشام منهـا جناحْ   وللعلى والمجـد منها جناح
ترفُّ آمـالا على شعبنـا   خفاقـةً تخطر في كل ساح
تصمدُ للطغيان ، لا عاصفٌ   يهزهـا ، ولا عتيٌّ الـرياح
للنور فيها مشعلٌ خالد   مغرورقٌ بالعز ، نشوان ، ضاح

للخير امواج على دربهـــا تندى مروءاتٍ ، وروحا وراح

* * *

طلائـع الوحدة هذي فإن يخمرْ بهـا العُرْبُ فخمرٌ مباحْ
يضمّهـــم في ملعب ثائرٍ موحد الجبهـــة ؛ طلق الجماح
تنتفضُ النخـــوةُ في صدره تعيد مـــا افلتَ منّا ، وراح
شواطئـــاً تشتاقُ ابناءهـــا وموطنا عبر الأذى مستبـــاح
يجثمُ في ارجائـــه غاصبٌ ويعتلي دنيـــاه شعب سفاح

* * *

يا رافـــع الرايةِ في أرضنـــا كريمـــةً تموج بين الصفـــاح
انزل على أوهامنـــا في الهوى والبس به من كل صدر وشاح
خلدتَ كالأهرام ، فاجلس على سمائه في نشوة وارتياح
الشعب من حولـــك انشودةٌ تنساب في درب للعلى والنفاح
رأى بعينيك زمانا مضى وحاضراً ، عذب القرابين لاح
في كل جفـــنٍ اسدٌ رابضٌ هذا ابو بكرٍ ، هـــذا صلاح
طلعت في دنيـــاه عفّ الخطى تختال في درب الأماني الفساح
كأنمـــا انت شرايينهُ قد نبضت هدارةً بالكفـــاح
يهشّ للمجدِ ، ويجتاحـه من امسه ، فيضٌ سخيٌّ المراح
يودّ لو ترقصُ احلامُه في وحدة كبرى ، تلمُّ الجراح

حرمان

كان يقف على مكان مرتفع يطل من
قرب على شاطىء بلده الضائع .

أيها الشاطىء الجريحُ بصدري ... لا ترفرف بالعجز في مقلتيّا
لستُ أقوى على المجيء هواناً ... أوَ تقوى على المجيء إليّا
بيننا اليوم هوّةٌ من عذابٍ ... فغرت شدقها ضلالاً وغيّا
عمّق الشوقُ جرحَها في خيالي ... وأراها تميدُ شيّاً ، فشيّا !!
كيف نجتازها وأنت جناحٌ ... سرقتهُ الأقدارُ من جانحيّا
وعلى أصغريك من ذل عمري ... خفقاتٌ تحيا على أصغريّا
نحن في الذل توأمان أضاعا ... خافقاً نابضاً ، وثغراً شهيّا
أنا حسبي،والبحرُ يصخبُ فيّا ... قطرات ، عزّت على شفتيّا
لستُ أقوى على المسير فقلبي ... شدّني رهبةً إلى قدميّا
وتسمّرتُ بين أجفان حقدي ... وتراً أخرساً ، وحلماً شهيّا

* * *

يا يديَّ المديدتين إليه ... ناء عبءُ الحنين بين يديّا
واعترى موكب الفراغ عياءٌ ... فتهاوى يأساً على ساعديا

صلبتني هواجسي وظنـوني		نظرةً عبرَ رمله تتفيـــا
فالدموع التي تسيل حنيناً		بين عينيه خضَّبتْ وجنتيا
فكأني وقد بكيتُ عليـــه		في سعير الحرمان ، أبكي عليّا

* * *

أيها الشاطىءُ المشوق إليّـا		أنا أهواك باكياً مبكيّــا
وعويلاً يشدو على أذنيّـــا		وهديراً يئنُّ في مسمعيـــا
فكلانا في البال حُلْمُ نبيٍّ		مات في أرضنا ليبقى نبيّا
ومصيرٌ على جراح الأمـــاني		وسنمضي له .. سوياً سويّا ..

الطيف الجبان

هذه التجربة مرت بالشاعر يوم كان مختفياً .

ثورُتنــــا للمجد يا شعبنــــا ... ماتت بعينيها طيوفُ المنى !

وانهزم التــــاريخ في دربنا ... وتاه في صحرائنا مثخنــا

لا بطلٌ يمشي الى حتفــــه ... مؤزّراً ، مغـامراً ، مؤمنـا

لا فارسٌ ، تضرمه غــــايةٌ ... ويدّعيه في الجهــــاد السنا

ولا فــــدائيٌ جريءُ الخطى ... يستعذبُ الميتــــةَ بين القنا

ذلّتْ قلوب الناس واستفحلت ... عصابةٌ مجرمةٌ بيننــــا

ترهقنا ظلماً ، ويجتـــاحنا ... طغيانها ولا تبــــالي بنا

صرختُ في يأسي وفي حرقتي ... ما أحقر الشعب وما أجبنا !!

* * *

ولاح لي طيفٌ غريبُ الخطى ... يشقى بأحلام العلى ، موهنـا

يـــدبُّ في مشيته راعشاً ... وبين عينيه يمـــوجُ الونى

وراح يحكي عن بطولاتـــه ... وسحرِ ما أبدع عبر الدنى

يروي أساطـــير له أينعتْ وأشرقت في السهل والمنحنى !

كأنما النصرُ على كفِّـــه شُدَّ باوتار العلى والجنى !

أصغيتُ في ذعرٍ له قاتلٍ وقلتُ يا طيف المنى والهنا

هذي بلادي أصبحت ملعباً يحكمُـها في الدهر أهلُ الخنا

فهـــل تصدّيت لطغيانهم عساك أن تحيي لنا مجدنا

آمـــالنا مريضةٌ هشةٌ شقيةٌ ضاقت علينا ، بنـــا

يا طيف هذا خنجري في العلى فاضرب به أضرب جارحا مؤمنا

* * *

فاطبَقَ الطيفُ على نفسه ذعراً ، وولّى شاحباً أرعنا

يـــدبُّ في مشيته راعشاً وبين عينيـــه يموج الونى

يرددُ الوهمُ صـــدى نفسه ما أحقرَ الشعبَ ،وما أجبنا !!

ولاح دمعي فوق أجفـــانه يا خجلي في المجد .. هذا أنا !

قصة برتقالة

كان الشاعر في بلد اجنبي عندما وقعت
عيناه على برتقالة ، فأحس وكأنهاتنظر
اليه وكأنما تعرفه .. وعندما تعرف
اليها ، وادرك قصتها .. كانـــت
هذه القصيدة ! !

هانت على الغصنِ ، فـلم تحتملْ   جراحهـا ، فابحرتْ للبعيـــدْ
شراعها روحٌ خضيبُ الرؤى   وكبرياءٌ ، من شجاهـا عنيدْ
تسمو ، وللجوع بها صرخةٌ   تفضحـُها على الخضمّ الجديـــد
فاستسلمتْ وللهوى أرخصتْ   احلامهـا الثكلى بسوق العبيد
كأنمـــا الجوعُ له غلمـةٌ   تصيحُ بالعشاقِ : يا منْ يريد
قديسةٌ في ديرهـا أرغمتْ   على الخنا بين حراب الوعيدْ !!

* * *

وراقـني حسنٌ لهـــا مطرقٌ   في زحمـةِ اللقيا ، غريبٌ فريدْ
تَـرْمُـقني أهدابُـها مثلما   يصحو على جفنيَّ حُلمٌ وليد
كأنما تعرفـني في الهوى   في قبلة طالت وشوقٍ اكيدْ

كانني بعضُ تعاويذهـا تصلبني ما بين نحرٍ وجيدْ ! !

* * *

دنوتُ منهـــا راعشاً لاهثـاً يشدّني سحرٌ ، لعوبٌ مَريـد
وقلتُ من انت ؟ وايُّ المنى رمتكِ في دنيا وجودي الشريد
اغويتـــني بنظرة لو هَوَتْ على جراح الثلجِ ، ذاب الجليد
من انتِ في ملاعبي كُلّها حدقتُ في عينيكِ غنّى قصيد
يا نجمتي قولي ، إذا شئتـــني فانني لبيك ، خمرٌ وعيـــد ! !

* * *

فلملمتْ انفاسها وانبرتْ تصبُّ في اذنيّ اشقى نشيـــدْ
تقولُ يا فارس دنيـــا الهوى يا طارداً للصيد في كل بيـــد
تعثرتْ عينـــاك إذ شمتني وخانـــك السحرُ بهذا الطريد
لو أنـ عينيك بدرب الهدى لفرّقتْ مـــا بين غيدٍ وغيدْ
ورحت تبكي العمرَ في نظرتي حكاية الماضي القريب البعيـــد
لكنما ضاقتْ عليـــكَ الرؤى وذلّ في جنبيك معنى الوجود
خذني الى دنياك واسكبْ على لذائذي ، ليلاً طويـــلاً مديدْ
اني تحديتـــك في نشوتي فاشربْ إن اسطعتَ ، وكلْ ماتريد ! !

* * *

حملتُهـــا بين يديْ جـــائع يعوي لدى جنبيه جوعٌ شديد

وذقتُها ، فارتعـــدت جبهتي   كأنَّ في ثغريَ طعمَ الوريد
فضضتها فانشقَّ عن صدرهـــا   جرحٌ على درب الأماني وحيدْ
عرفتُـهُ فـــذاكَ جرحُ الصبا   وملعبي الدامي ، وعرضي الفقيد

* * *

ايقنتُ اني في ذرا صبـــوتي   اوشكتُ انْ أدمي إباءَ الشهيد
وسرتُ في سمعي عويلُ الصدى   يضجُّ في صدري بلحنٍ وئيد
اني تحدّيتكَ في نشوتي   فاشرب ان اسطعت وكلْ ما تريد !!

جرح بغداد

لا تقـلْ هانَ على الجرح الدمُ ... لم يزلْ للجرحِ قلبٌ وفـمْ

كلمـــا أرهقَـهُ البطشُ نزا ... بالبطولات.. وصاح انتقموا !!

نحنُ لم نبخلْ على تاريخنـــا ... مذْ صحا في مقلتيه الُحلُمُ

لا ولم نجـــترّ من آلامهِ ... غيرَ ما يذكيه فينـــا الألَمُ

دربنا ، ملعبنـــا الحرُّ فلن ... تهرمَ الشمسُ به والأنجمُ

الجراحـاتُ بدنيـــاه رؤى ... حالماتٌ ، والضحايا بلسمُ ..!

دربنا بغداد ، هـــل يسمعني ... في ذرا بغداد صمتٌ أبـــكم

شدهتْ بغدادَ أحزانُ الثرى ... فعلى بغـــداد منها مأتم

فانطقي يا غفلةَ الصمت بها ... حمماً تزأرُ فيها الحمم

ودعي الثأر يلبي ثأرَه ... فالدم المهراق يمحوه الدم

* * *

لهفي ، والفجرُ يغتال الدجى ... ويدُ الصبح هوانـــاً تأثم

والندى يطرقُ في حضن السنا ... وبعينيه يموجُ النـــدم

عزّ أنـ يهوي لدى روضته ... قلبه البكرُ ويذوي البُـرْعُمُ

أيّ حلم طاف في بال العلى — والاماني حوله تزدحم
والبطولات جراحٌ صمدت — شمماً ينضحُ منها الشمم
والميامينُ على ثغر الردى — تتلهى ، والردى يحتدم
قممٌ للمجد لم يخشعْ بها — كبرُها ، يوم نمتها القِممُ
فكأنَّ الموتَ في ملعبها — حاسرَ الطرف غدا يسترحم
ليسَ يدري والسنا يرمقهم — فيحنان ؛ بُعثوا أمْ اعدموا !!

* * *

صرعوا «ناظم» لو يدري الحمى — أيّ مجد في حمانا نظموا
قتلوا «رفعت» لو تدري المنى — أيّ درب للاماني رسموا
هِمَمٌ للبعث تحيا أبداً — وعلى صدر الردى تنسجمُ
لم يرعْها البطشُ فانهدت له — وهوتْ في دربه تبتسم !!

* * *

للعلى بغداد ، المجد الذي — حلمتْ فيه الذرا والقمم
أنتِ جرحٌ للعلى منهمرٌ — في سما النصر غداً يلتئمُ
علمٌ يصمدُ في دنيا الأذى — وبدنيا المجد يزهو علمُ
نحنُ عمّقنا أسانا ثورةً — ألهمتنا فمضينا نُلهم
وسنبني الوحدة الكبرى بها — وسيبقى الشعب فيها الهرمُ

* * *

اصمدي بغـداد ، تصمدْ فكرةٌ ليس يمحوهـا الأذى والعـــدم
كعبة الإيمان ان تخبو بها شعلةُ البعث وفيهـــا الحرم
اصمدي ينهـــارُ صرحٌ باطلٌ وسيهوي من عـــلاه الصنم
دمعةُ الموصل لم يهدأ بهـــا في جفون الحقد يوماً وَرَمُ
لو جفاهـا الدهرُ يومـاً لمشتْ من شجاها وحدهـــا تنتقم ! !

* * *

نحنُ يا بغـدادُ جرحٌ واحد سال من وثبتنـــا يقتحـم
ألف لبّيك .. وما عزّ الفدا كلنا من دونـــه المعتصم
ما علينا في حمـــانا لو بدا كل يومٍ خائـــنٌ أو مجرم
منطقُ الوثبةِ ان نجني المنى والمنى.. شعبٌ ، وقلب،ودمُ!

القرار الاخير

اعلنت الصحف عن اجتماع المحكمة
الصورية لتصدر به وبرفاقه الحكم في
اليوم الثاني .

غداً يُصلبُ العدل في المحكمهْ
بامرٍ خطيرْ
ويُتلى القرار الأخيرْ
وتُتلى تعاويذُهــا المجرمه
والغازُهــا المبهمهْ
ويقضي ضميرٌ أجيرْ
فيُهرعُ من كل حدبٍ وصوبٍ ، يقول
وينهدُّ حشد كبيرْ
يُطلُّ بصمت علينــا
ويرنو الينــا
وفي وجهه ألف معنى ، ومعنى
ويصغي ، ويصغي

* * *

غداً .. يشهقُ الحقُّ في المحكمهْ

ذهولاً .. وقد عزّ فيه النصيرْ

ويتلى القرار الأخير

وفي شفتيه يطلُّ مصيري

كأني أبالي بهذا المصيرْ

سأنظرُ بين عيـــون قضاتي

أناجي حياتي

أودعها ـ للخلود ـ الوداع الأخـــير

سأنظر بين عيون قضاتي

لأسمو بذاتي

أربّت فيها الصمودْ

اشيّعها للخلود

وأسألها الصفح عن كلّ إثمٍ

إذا كان في البذل ذنبي وجرمي

وأسألها الصفح عن كلّ ظلمٍ

تخطّر بين جراحات جسمي

واصمتُ ، لا هزة تعتريني

ولا دمعةٌ تحتويني

واختنق فيَّ الشعورُ
اهدهدُ في العمرِ ، عمري القصيرْ
واصمتُ لا همسةٌ أو رجاءْ
ولا غضبةٌ في الشقاءْ
لانــ مصيرَ قضاتي الفناءْ
وكل قضاتي اجيرٌ حقيرْ
يسيرونَ في ماتمٍ للقضاء
وفي ماتمٍ من حطام الضمير ! !

* * *

غداً .. يا أخي تُعقد المحكمهْ
وتتلى قراراتها المجرمه
ويتلى القرار الأخيرْ
ويهوي فؤاد كبير
كعمرِ النضال كبير
فؤاد يطاردهم في اللحودْ
يعيش الوجود ، ليحيا الوجود
فؤاد كحقّ الشعوب النضيرْ
كحقّ الضعيف ، وحق الفقيرْ
ومن جرحه ، تستفيق الحياةُ
لتفرضَ في الشعبِ ، حقَّ المصير !!

ثلاث سنين

نلقى نبأ الحكم الاول الذي صدر ضده
وهو مختف مشرد من وجه السلطات .

ثلاثُ سنينْ ، ثلاث سنينْ
تصيحُ وتهتف في مسمعي
رؤاها ، وتنساب في أَضلعي
فالمح في عمرها مصرعي ،
على سامٍ قاتل موجع
يتمتمُ فيه السكونْ
وتجمدُ فيه الظنونْ
وتحيا جراحاً على أدمعي
فابكي ، وأضحكُ في مضجعي ،
حياتي ، وكل حياتي معي
بتاريخها الثائرِ الأروعِ
تطلُّ ، لتلمس روح السجين
وتهتفُ ظلمـــاً .. ثلاثُ سنينْ

* * *

ثلاثُ سنينْ ، ثلاث سنينْ
وأُطرقُ في حاضري المفجعِ
أُلمُّ ما انهــــارَ من مطمعي
وأَغْرَقُ في يقظةٍ لا تعي
أهدهدُ جرح العلى الممرعِ
وألثمُه في شجَنْ
يعانقني في الوطنْ
فجرحيَ من جرحه المبدعِ
عقدتُ أمانيـــه في اصبعي
على خــــاتمٍ مشرقٍ طيِّعِ
لأصحو على حُلمٍ مفزعِ
يغمْغمُ فيه الصدى والأنينْ
ويهتفُ : ظلماً ، ثلاث سنينْ ..

* * *

ثلاثُ سنينْ ، ثلاث سنينْ
تصيحُ : تخطّرْ على مأتمي
وغرِّقْ أمانيك في أنجمي
وشُدَّ يديــــك إلى معصمي
وقرِّب بثغرك نحو فمي
فصدري رضيٌّ حنونْ

عريضٌ كليلِ السجونْ
يواسيك في ليلك المظلمِ
فكم شاعرٍ ثائرٍ ملهمٍ
وكم أرعنٍ حاقدٍ مجرم
تعشّق معنى الظلام الحزينْ
ونامَ بصدري ، ثلاثَ سنينْ

* * *

ويحمرُّ وجهُ السما بالخجلْ
وتصحو مع الفجر نارُ المقلْ
ويَنْهَدُّ طيفٌ بدرب الأملْ
يدمدمُ في دربنا ،
ويصرخُ في شعبنـــــا :
تململْ وحطِّمْ قيودَ الوجلْ
فللنور والحق تلك الشعل
فما السجن إلا احتضار الأجــــل
وما المجدُ إلا انتصار الفشلْ
وما النصرُ إلا عذاب السنينْ
تموج وتحيا بكبْرِ السجين ..

* * *

وتصحو بصدري بقايا الكفاحْ

وتغمرني بالندى والسماحْ

تبلسمُ بالنور حمرَ الجراحْ

وتنسجني في ضمير الرماح

كأني يمينُ القدَرْ

أموج بدنيا البشرْ

فلا تهدئي ، واعصفي يا رياحْ

فكلٌّ سجينٍ بألفِ جناح

سينشقٌّ عن قيده في الصباحْ

لينشر في الشعب حـــق الكفاح

ويخلد في موكب الخالدينْ

ويمحو مع الفجر ظلمَ السنينْ !!

اللعنة

الى لاجئة ..

عينـــاكِ خيمتانــِ ترويانِ
اسطورةَ الضياع في الزمانـــِ
وتعمقانــِ في دجى الحرمانِ
وتصلبانِ في ذرى المكانــِ
على اديم الهجر والنسيانـــِ ! !

عينـــاكِ خيمتانــ للعذابِ
تطـــلُّ منهما رؤى المصابِ
جريمة التاريـــخ والأحقابِ
وغفلة الاصحـــاب والاحبابِ
في موكب النزال والغـــلاب

عينـــاك خيمتانـــ للصراعِ
مغموستان في دم الجيـــاع

لحنٌ كئيبٌ موحش الايقاع
تعزفه قيثـــارة الاوجاع
تروي لنا اسطورة الضياع !

عيناك خيمتانِ للرياحِ
في عاصف مصفّـق الجنـــاح
تكوكبان في ذرا الكفـــاح
وتحلمانِ العمر بالبطـــاح
في رحلة عميقـــةِ الجراح

* * *

وانت يا صاحبة العيونِ ؟
في غمرة الاشجان إن تكوني ..
لاجئةً ظـــلي على يقيني
يا لعنـــةً سوداء في جبيـــني
ودمعةً للحقـــد في جفوني
الخيمتان بعض مـــا يشقيني
في وجهك المؤرّقِ الحزين
إذ تصرخان : للربى ارجعوني ،
للشاطىء المعذّب الطعينِ
لحُلُمٍ شاخَ على ظنوني ! !

التجربة الأولى

لم يكن يخاف السجن ، ولكنه في
مطلع نضاله الوطني كان يعتقد انه من
العار ان يرضى بدخوله على يد اعدائه
وخصومه ، وفي المرة الاولى قاوم
بشراسة ، فاعتدوا عليه .

قفـي قدمي عزّةً ، واصمدي
فلستُ اطيـقُ هوان غدي

قفي ، واحذري خطوةً ، انني
صمدْتُ ، فلا تجبني واصمدي

قفي فكلانا قويّ ، وهذي
قيودُ يدي حُطّـمت في يدي

تسمّـرتُ في الأرض ظلاً عنيداً
وثرتُ على قبضـة المعتدي

وسال دمي اسوداً حاقـــداً
وما هنتُ للحـــاقد الأسود

تعذبني قبضـــةٌ لا تعفُّ
وتقسو على جسدي المجهــدِ

فاكبو ، وانهضُ ، لا انثني
كفاحا ، ولا ينثني مقصدي

وأعرى ، فيسقطُ عني قميصٌ
وحيدٌ كعمري مشوقٌ صدي

تمزّقَ وانهـــار بين الجراح
جراحا، على الدرب لم تُضْمَدِ

فلا تعبري قدمـــي واصمدي
فلست اطيقُ هوان غدي ! !

* * *

أسجناً يريــــدون لي ، والسما مدى غايتي ، والفضا مرقدي
ومثلي له في النجوم انطـــلاق فمنْ فرقـــد لذرا فرقـــدِ
أسجناً يريدون لي ، فليمتْ هزارٌ على غصُنٍ أمـــلدِ
لتنتحرنَّ طيوف الجهاد على العار في ظلمة المعبد
لتفنَ الرؤى البيض عبرَ السما وتحيـــا على ظمأ المـــورد
فلن يطمعَ القيد في معصميَّ ولست معَ القيد في موعد !!

* * *

ومرَّتْ ثوانٍ بعمر الزمان ولاحَ خيالٌ رقيقٌ نـــدي
يهدهدني في أسى وحنـــان ويشهدُ في جذلٍ مـــولدي
يقود خُطَايَ ، فيزهو المكان كأن المكان به مـــذودي
ويهمسُ : إشربْ رحيق الهوان وعشْ للنضال بـه وافتـدي
فمثلك يخلُـدُ بين الجنـــان فمت في مجال العلى ، واخلُـدِ

١٩٥٧/٨/٢٧

عودة السجين

عاد الى السجن ، ولم يمض زمن قصير على مغادرته ، فرحب به صديقه مدير السجن ، وهو رجل له شهرة بين اوساط السجناء بسخريته .

أحقاً رجعتَ ، وعدتَ إليّ

لماذا وجمتَ ؟

لماذا غضبتَ ؟

تكلمْ ، وقل أيَّ شيْ ..

أحقاً رجعت إليّ

فاشرقَ فيك المكانْ

وهذي الجنانْ

وكلُّ جبين أَبيّ

أراك اعتراك الذهول ؟

أخوفاً وجبناً ؟

معاذ الأذى والفضول !

لجمتُ لساني الزريّ

ولكنني إذ لمحتُ الشحوبَ على وجنتيكْ
وشمتُ الخطوب على مقلتيك
تثاءبَ فيَّ وفائي القديمْ
فخفتُ عليك
وقد عدت شوقاً إليَّ

* * *

أهاج بصدرك جرحٌ دفينْ ؟
فاحجمتَ بين يديَّ
تشيحُ وتهربُ من ناظري
كأنيَ لستُ رفيق السنينْ
رفيق المكان
رفيق الزمان
تعالَ فكلُّ جدار يحنّ اليك
وكل الزوايا تحن اليك
وكلُّ ضميرٍ سجينْ !..
تطلعْ الى القيد بين يديكْ
يُهسْهسُ بين يديك
بشوق حزينْ
وينسابُ في أصغريك

رجعتَ ، فلا انةٌ لا انينْ
ولا طلعةٌ في السجونْ
وأنت الامين الوفيُّ الأبي
تركتَ سواي ، وعدتَ إليّ

* * *

أحقـاً رجعتَ ، إذن فلنسرْ
جديداً ، سويا بهذا المكانْ
تطلّعْ اليـه ملياً
فما زال دربا وفيّاً
يعدُّ ، ويحصي الثوانْ
وهذا مكانك ، فانظر اليه
سجينـاً شقيّاً
كروحك ظلَّ شقيا
تنادِمُـه ، عتمةٌ وهوانْ
وهذا فراشُك يقبعُ حزنا
تكوَّم ذلاً وجبنـا
يمدُّ اليك ، ذراعَ الحنانْ
وهذا كلامك فوق الجدارْ
لهيب ونارْ

أتذكرُ يومَ ملأتَ الجدارْ
بألف شعـــارْ
وألف قرارْ
فضجَّ المكانُ ، وُجنَّ وثار
فكان عقابك ، أن لا تنامَ بقرب الجدار
أتذكرُ ذاك الكلامَ الشجيّ
فمن وحيه العبقريّ
عرفت بانك بعـــد زمان قليل
تعود سجيناً إليّ

* * *

تعالَ تطلّعْ فهذي دماؤكَ
تنزو خلوداً بصدر الحُفَرْ
أراك ضحكتَ ؟!
أتضحكُ من سخريات القدر
أتذكرُ يوم جلدناك ظلما
فأُسقيتَ همّاً وغمّا
وذقتَ الأمرّ
تطّلعْ إلى الحفرة الداميهْ
لأعماقها الباليه

فمنها جراح باجفانيه

أتنسى ؟ حسبتك تقسو علي

وتمقتُ وجهي الشقيّ

ومـــاذا ؟ اتصفحُ عني

لتهزأ مني

ولكنني لن أبالي ، فانتَ وإن غبتَ عني

سترجع دوماً إليّ .

حقير

تجربة قاسية مرت بمناضل عربي
طاردته السلطة فاضطر الى الاختفاء
ولم يستسلم ، وفوجىء بهم ذات
يوم يطوقون عليه مكانا كان يزوره
فاضطر الى اختفاء سريع ، اوحى
للشاعر بهذه القصيدة .

ويفتشونَ ، ويسالونْ ؟
وانا هنا ، في مكمني ، في ملجئي
في مكمني العتمِ الصغيرْ
متكوّرٌ في ذلةٍ تحتَ السريرْ
وأحسُّهم قربي بحقدٍ يصرخونْ
اين الزعيمُ الماردُ ؟
اين العظيمُ الشارد ؟
السيف يطلبُه ، وتطلبهُ السجونْ
الارضُ تلعنُه ، وتلعنهُ السنون
وانا هنا ، في مكمني العتم الصغيرْ
متكورٌ في ذلةٍ تحت السريرْ

انفي الابيُّ على الرغامْ
ويكادُ يفضحني الرغامْ
قد هالَه ذليّ ، ومأساةُ الكرامْ
واحسُّ انفاس الكلاب تشمّني
وتصيح في مرح : جبان
هربَ الجبان
سخرتْ لتحميني ، وتمنحني الأمانْ
وتمدُّ لي من خلف بسْمَتها اللسانْ
وتصيح في مرح : جبان
اخرج لهم :
اخرج فقد خجل الخجلْ
والكبرُ اطرق وانفعل
وتهدَّلَتْ منك العيونْ
لكنهم ، لا يبصرون ، فيسخرون ويسرعونْ ...

* * *

ويفتشونَ .. ويرجعونَ ، ويسألونْ ؟
هل عاد صاحبنا البطل ؟ ويتمتمون
مات الأمل !
وانهارَ في صدر الوجلْ ، ويقهقهون !

وانا هنا ، ما زلت ملء وساوسي

ومخاوفي ، وهواجـي

وأنا وعاءْ ، قلبي دعاءْ

يا ربُّ أطفىءْ نورَهمْ

واغمض عليَّ عيونَهم ، فلعلَّهمْ لا يبصرونْ

ويضجُّ قلبي بالوجيبْ

سحقاً لذيَّاك الوجيب

هيهاتِ لو صمتَ الوجيب

حتى على ذكرى الحبيب

ويعربدون بغرفتي ، ويفتشون خزانتي

مالي ، واوراقي ، رؤى حريتي

ولجمتُ في صدري الاباء

وذبحتُ فيه الكبرياءْ

وقبعتُ اجترُّ الشقاء ، لعلّهمْ

لا يبصرون ، فيسأمون ، ويذهبون ..

* * *

ويفتشونَ ، ويسأمون ، فيذهبون !

وتعود احلامي اليّ

وتثور آلامي عليّ

وتعزُّ آمالي لديَّ ، فلا اطيقْ

وتصيح في الكبرياءْ
إذ عزّ في الوطن الفداءُ ، فأستفيقْ
وعلى خطاهم من بعيدْ
تنساب اغنيةُ العبيد
في مسمعي ، في اضلعي
وانا هنا ، في مكمني العتم الصغير
متكورٌ في ذلة تحت السريرْ
فإذا بصوتٍ للضميرْ
صوتٌ أذلُّ من المصيرْ
يغتالني ، ويصيح بي : نذلٌ حقيرْ

زعامات بلادي

الى الذين تخلفوا في الميدان، وانتهزوا
على حساب العقيدة ، فكانوا من
اسباب النكسة المباشرة في بعض
اجزاء الوطن العربي ، الى الذين
ما زالوا يكابرون فلا يخجلون بعد
فضائحهم من البقاء على المسرح السياسي

عندما اكتبُ تاريـخ بلادي
بدموعي ومدادي ،
سوفَ ابقي صفحةً للخزي ، تنزو بالسواد
صفحةً ارهقها الليل باسمال الحداد
صفحةً تفضح اسرار الفساد
وتعرّي الغدر في دنيا الجهاد
وسأرويها جهاراً
للملايين الحيارى ، في بلادي
عن زعامات بلادي
عندما أكتب تاريخ بلادي !

* * *

عندما أكتبُ تاريخ بلادي
بوفاء وأمانه
سوف أبقي صفحة سوداء تنزو بالخيانهْ
عن عبيد لمسوا الذلّ فذلوا للمهانه
ولصوص طعنوا الشعب وداسوا صولجانهْ
شربوا من دمه الحرّ ، وأسقوه هوانه
واستباحوه وراحوا يتحدّون كيانه
انها صفحة خزي تتنزّى من مدادي
صفحة تدمي فؤادي
وسائلوها جهارا
للملايين الحيارى ، في بلادي
عن زعامات بلادي
عندما أكتب تاريخ بلادي . !

* * *

عندما أكتب تاريخ بلادي
بشبابي ودمـــائي
فسابقي صفحة للشعب تنزو بالإباءِ
صفحة خالدة حمراء في سفر الفداءِ
تتلظّى بالبطولات وتهمي بالفدا والشهداءِ

صفحة بالنور تروى ، والهدى والكبرياء
بنضال الأبرياء
ونضال الشرفـــاء
صفحة تصمد في وجه العداء
عانقت في المجد أحلام السماء
وساتلوها جهارا
للملايين الحيارى ، في بلادي
عن زعامات بلادي
عندما أكتب تاريخ بلادي !

النكسة

وكان انتصار .. وكانت هزيمة .

رجعت أغنّي الأسى والحزَنْ
فخُذ يا فؤادي ، وخذ يا وطنّ

جراحي التي رفرفت بالأماني
تعودُ لتهمي بدنيا الشجن

فأغفو على همسات الخطوب
وأصحو على همسات المحن

كأنّ الأسى لعنة في عروقي
تمشّى ، وأسقيته في اللبنْ

فلا بسمة تستطيعُ الحياة
على شفتيّ ولا تُمتهن

ولو كان وقفاً على خافقي
صمتُّ وأخرستُه في البدن

ولكنه ماج في محنتي
فخذْ يا فؤادي وخذ يا وطنْ !

* * *

ويَسألني الليلُ عن عزمنا
وكيف تراخى ، وكيف وهنْ

وكيف تشرّد شمل الرفاق
وبات على قيده مرتهن

ومن قوّض الصرح في دربنا
ومن خذل الشعب منا.. ومن ؟

فرحتُ مع الليل أحيا رؤاه
أعاتب في مقلتيه الزمن

وأصغي إليه ، ويصغي إليَّ سميرَ شجون ، وخدن شجن

أقصُّ عليــه حديث الخيانةِ في أرضنا ، وحديث الفـتن

وأروي له خسة الحـاكمين عبيد العبيـد رعـاةْ الدمن

أنوفٌ لهم لا تمسُّ الــتراب فبعض التراب كريم حسن

ولكنها مرَّغت في الوحـول وعاشت على ذلهـا في العفن

عبيــدٌ ويبنون للغاصبين مواخـير في أرضنا للسكن

يبيعون أحلامنـا في الحياة « ودولارهم » نابض بالدرن

* * *

أخا الغدر إن دماء الشعوب لهـا في حساب الشعوب ثمنْ

تمهَّل فلن تستطيـع الصمود ولن تستطيع البقاء ، ولنْ

فهذي الملايـين من شعبنا وزحفُ الملايين علمٌ وفن !

غداً تنحرُ القيدَ في سجنها وتنفضُ عنهـا غبار الوسن

غداً تستفيق فـلا تجدنَّ جباناً ، ليعبدَ فيك الوثن !

رؤى واصداء

في هدأة حالمة ، انفرد فيها الشاعر
مرغماً. جاءه صوت الشبابة من بعيد
كأنها تخاطبه وتطارده .

شبّابةُ الراعي التي حملتْ	لحنَ الجمالِ البكرِ من بلدي
أنغامُها السكرى تطــاردني	وتعيشُ في سمعي وفي خَلَدي
وتصيحُ في أذني وتنقلــني	من عالمي المتجهِّم النكِــدِ
فأعيشُ في رؤيا تعذّبــني	وتسيل من جرحي ومن كبدي
ترتدُّ بي شوقاً الى وطــني	وتهـــيم بي للساحل الغردِ
فأرى به عمري يـــؤرّقني	أمسي على أشلائـــه وغدي

* * *

شبّابةُ الراعي التي خفقتْ	في مهجتي الثكلى وبين يَدي
راحت تمزّقـــني وتصرعني	وتهدُّ من عزمي ومن جَلَدي
وتقول لن تحيا سوى شبحٍ	متشرّدٍ ، وتموت من جهد
وتهيمُ في الدنيا تواكبهـــا	تنسابُ من بلد الى بـــلد

لعنتكَ أحلام العــلى أبداً وتظـلُّ تجني لعنةَ الأبد !

* * *

شبّابة الراعي الــتي زرعتْ تلك الرؤى السوداء في نفسي
همست مجنَّحةً تــذكّرني عمري ، وما ضيّعت من أمسي
والشيب إذ رقصت بشائره وتناءبت حزناً على رأسي
يمشي كفاحاً فــوق ناصيتي ويشدّني كــبراً الى رمسي
فاحنَّ للدار التي انتحرتْ في مهجـتي الظمأى وفي حسّـي
فغدوتُ لا قلبٌ ولا أملٌ كأسي تقارع في الأسى كــأسي
داري التي شيّـدْتها هرمــاً في ملعب التاريــخ والشمس
أأموت عنهــا كي يدنّسَها غيري ، ويعليها على رجس
داري التي خفقت مآذنهــا بالحبِّ والتكبـير والجرْس
أحنت على المجهول هامتهــا في اللد ، في يافا ، وفي القدس
وتجمّـدَتْ أحلامهــا هلعاً تشكو الأذى والضيم في همس

* * *

شبّابَةَ الراعي التي زرعتْ تلك الرؤى السوداء في نفسي
لا تنشديني ، واخرسي ، فأنا ألتــذُّ تجربتي على بؤسي
وتلوحُ لي عبر العذاب رؤى للشعب ، تصرعُ ظلمة اليأس !

الى امي

عندما اراد الذهاب الى المعركة حاولت كما تفعل كل ام ان تثنيه ، فتكلمت . .
واجابها .

ولا تطرقي . . !
فوجهك هذا الحزينْ
سأنساهُ في فرحةِ المعركةْ
وآلامَ تلك العيونْ
وآهاتِ تلك الغضونْ
سأنسى ، على خفقةِ المعركةْ
ولا تشفقي . . !
فلي ماربٌ في المنونْ
أضمُّ عليه العيونْ
فامشي الى مطلبي
بصبر نبي ، وعينِ نبي

لعلّـيَ أنْ ادركهْ
لدى فرحة المعركة

* * *

ولا تطرقي . !
فإنَّ جراح الحياة بصدري
تعذّبُ صدري
وإنَّ نداءَ القدرْ
يلوّنُ بالثار عمري
ويقذفني للخطرْ
ويحيا على خاطري في عذابْ
وينسجني في الركابْ
فامشي الى مصرعي
ويمشي إبائي معي
وتمشي بدربي جراحُ الشبابْ
فلا توصدي في عيوني الرغابْ
دموعك كفرٌ ، فلن ترجعيني
ولن تضعفيني
فحقّـي يريدُ الذهابْ

الى المعركةْ
الى المجد كي ادركهْ
صلبتُ مصيري هناك
هنالك بين الشعابْ
والمحهُ باسما هازجاً
يرفرف بين الحرابْ
مصيري .. مصيرُك بين الحرابْ
وهذا الذهابْ ! !

اليوم الباكي

كان مختفيا مشرداً وحيداً ففاجأته السماء

وأقبلَ الشتاءْ
وقهقهتْ حناجرُ الفضاءِ والسماء
تُعلنُ في شوق وفي سخاء
عن موسم الدموع في أجفانها
وموسمِ البكاء
ولم أزل مشردا ، يلفني العراءْ
والكبرُ والاباءْ
مشردٌ ، سميرهُ ايمانه
في رحلة البقاء والفناءْ !!
وأقبلَ الشتاء
وزمجرتْ في أفقي الرياحُ ، والهواءْ
تسالني الفداءْ
والبذل والعطاءْ

تعضّني مخالبٌ لها ، وحشيةُ المضاء
تزرعني في موكب الشقاءْ
لا لفحها يسترني ، ولا الرداءْ
وحدي على انينها ، يجترّني الرجاء
كأنني جريمةُ القضاء والسماء
ضريبةٌ ، ادفعها مشرّداً
في رحلة البقاء والفناء !

* * *

وأقبل الشتاء
ولم أزلْ مشرّداً ، يلفّني العراءْ
للجرح في دمي براعمٌ ، جريحةُ الرداء
مثلي أنا ، جريحةً ، تنتظر اللقاء
تنتظر الصباح حرقة ، وترقبُ المساء
وترقب الشعب على ملاعب الفداء
ووثبةَ الحياة في ذرا العطاءْ
انظرْ لها ..
انظرْ طلائع الثوار في العلاء
انظر ، كأنما الخلاصُ هاجها ، فجاءْ
يضمُّ في جناحه الخضيب ثورة المنى

وثورة القضاء ..
مواكبا تجري بها الدماء
تُعلم الصمود والاباءْ
وتفرض الحياة والبقاء
في موسم الدموع والبكاء
في موسم الشتاءْ !

اغنية جزائرية

أنا من هناك من الجزائرْ أحلامُ ثائرة وثائرْ
أنا ملء ثورتها لهيبٌ هادرٌ ، وجراحُ هادرْ
أنا حبّةٌ من رملها القُدُسيّ أحيا في الخواطر
شُدَّتْ الى صدري المنى وشُددتُ في درب المخاطر
قلبٌ عصامي وروحٌ صامدٌ ، وجموح شاعر
النارُ بين جوانحي دمـــعٌ حقودٌ في المحاجر
شبّـت فماج لهيبها بـــين البوادي والحواضرْ
مجنونةٌ تطـــأُ السلامَ فلا سلامَ ولا أواصرْ
سكرتْ بآلام الضحايا وانتشتْ عبرَ المجازر
ودماؤهـــا تنزو إباء بين اجفان الخناجر
سالتْ قرابيناً لدى أحلامها الحمرِ السواحر
شهداؤها في الافق حط رحالهم ، لا في المقابر
لا يصمتون : فكلُّهم لحنٌ دوى في كل خاطر :
أنا من هناكَ مناضلٌ أنا من هناك من الجزائرْ

* * *

أنا من هناك رؤى قيودي ظمآن يصرخ بي وجودي

سبعون عاماً لم ينم سيفي ولم يخمدْ وقودي

انّى تثاءب جاحدٌ ألقمتـــهُ سهمَ الجحود

ولمعتُ في جنبيه نصلاً حاقداً سهلَ الورود

سبعون عاماً والدم المسفوك ، يجري في حدودي

درب نما في صدره المعطاءِ ، مليون شهيد

إسأل فرنسا إنهـــا تنبيك عن معنى الصمود

عن خزيها لما استباحت مجدهــا عبر الخلود

وتعهّرت لا فكر لا تاريـــخَ في عين الوجود

فاذا علمت وحنّ صدرك للجهـــاد والمفاخر

فاهتف مع التاريخ اني من هناك ، من الجزائر !

* * *

أنا من هناك ومن هنـــا في كل عاصفة انا

وطني الكبيرُ يحدّه قلبي على هذي الدنـــا

وطني الكبير تحدّه لغتي ، وتشعـــله المنى

وطني الكبير يحدّه التاريـــخُ درباً مؤمنا

انا من هناك ولم أزل في بعث امتنا هنا ..!

علّقتُ بين نجومهـــا الشهباء احتملُ الضنى

ونحتُّ من صحرائها وسهولهـا ، لي موطنا
في مصر ، في بغداد ، في لبنان آمال لنـــا
لا ندّعيها انما احلامها تجري بنا

وانا على اغصانها في بعثهــا المأمولِ طائر
فانشد معي واهتف معي انا من هناك من الجزائر !

النسر الشيوعي

لقد مرت مرحلة من حياة هذه المنطقة
كان كل من يرفع صوته فيها بالحق يتهم
بالشيوعية ، نظمت القصدة بعد «صفقة
الاسلحة المعروفة» .

يا صديقَ العمر هل أنت شيوعي ؟
هل تعمّدتْ رفيقاً في القطيعِ ؟
لا تخفْ ، واسخرْ من الجرم الفظيعِ
فأنا قدّمتُ قربان خشوعي
وأنا اليوم – على رغمي – شيوعي

وساروي لك قصّهْ
قصة من عندنا
رويت عن شعبنا
من بلادي، من رحاب الشرق، من هذي الربوع
قصة الشعب الصريع

قصة الشعب الذي ثار أبيّا

وطنيّاً ، عربيّا

فتحدّوه جهارا ،

وتحدّوه سكارى

ومضوا في خفة الطفل الرضيع

يملأون الأرض عاراً ، وشنارا

ويقولون : هنا شعبٌ شيوعي !

* * *

وساروي الك قصه

قصة أخرى تهادت من بلادي

قصة قد عرفت باسم « الحيادِ »

هي نور في البطولهْ ،

وهي نورٌ في الرجولهْ

وهيَ نور في الجهادِ

يومَ أن ثرنا كفاحا ،

وتمنينا السلاحا

همُّنا في بيتنا نحمي حماه

لا غريبٌ لا دخيلٌ ، في ثراه ، وسماهُ

فتطلّعنا الى الغرب ، فولّى وأشاحا

وتطلّعنا الى الشرق ، فاعطى وأباحا

ما الذي يبغيه تجار الأعادي من بلادي
ما الذي يرجون من معنى الحياد ؟
غضبوا من وثبة الشعب على دنيا الربوعِ
وأفاقوا يملأون الأرض بالجرم الفظيعِ
هالهم أن َحطّمَ الشعبُ أساطير الخضوعِ
فمضوا يحدون في ذل وضيعِ :
ويقولون : هنا شعبٌ شيوعي !

* * *

وساروي لـــك قصّهْ
قصةً عاشت باحلام الأنامِ
قصةً تنبع من دنيا الخيامِ
حاكها الجوع ، ووشّتها عشيات الظـــلام
في بلادي ، وبلادي حفنةٌ من لاجئينْ
كل عشرينَ لهم رطل طحين
ووعود بالفرَجْ .. وهدايا وبقجْ
انها قصة آلام الجماعهْ
صمدوا عشر سنينٍ في مجاعهْ
ودموعٍ وأنينْ ..
وشقاء وحنين

إنها قصة شعب ضلّلوه ،
ورموهُ في متاهات السنينْ
فتحدّى وصمدْ
وتعرّى واتحدْ
ومضى يشعل ما بين الخيامْ
ثورة العودة في دنيا الظلامْ
قد أفاقت بعد ان طال المنام
تتململْ
كفرت بالحب في أرض السلام
وهيَ تأملْ
فإذا الحق نداءٌ في الضلوعِ
لهبٌ ماجَ على بؤسٍ وجوع
وإذا الخصمُ وقد أعياه اصرار القطيع
يملأ الأجواء احقاداً وسمّا
ويسمي الحق بهتانا واثما
صارخا : لا تطمعوه بالرجوعِ
انه شعبٌ انانيٌ شيوعي !!

* * *

وساروي قصصاً أخرى اليكا
قصصاً تضحكني ، عـــني وعنكا

قصصاً نسْجَ الحقيقهْ
قصصاً تجرح إحساس الحقيقـــهْ
في بلادي ، في بلاد الفقراءْ
في بلاد لم يزل فيها بقايا أثرياءْ
انها قصةُ ملاّك غني
سكن القصر ، وحلاّه بأغلى ثمنِ
هام بالاقطاع واستعدى البريّـه
همّهُ كأسٌ ، وسيجار نديّـــهْ
وصباباتٌ ، وحسناء شهيّـهْ
يمقتُ الشعبَ ويأبى أن يراهُ
فهو عبدٌ لهـــواهُ
حكّموه مرةً في أرضنـــا
وتبنّتهُ أيادٍ أجنبيّـهْ
ورموه مطلقاً في دربنا
فغدا في الحكم للحكم مطيّـهْ
قيل يوماً انه مال قليلاً للجموعِ
ورأى النور على ثغرِ صريـع ورضيـعِ
فتشكى ، وتظلّمْ
وتلوّى وتألّمْ
فتحدّوه جهارا ،

وتحدوه شنارا
وحكوا عنه حكاياتٍ طويلهْ
أذهلتهُ ، وغدتْ تفضح للناس ذهولهْ
فارتدى عن رغمه ثوب البطولهْ :
انه لصٌّ عصاميٌّ شيوعي
كلٌّ « اقطاع » هنا أيضاً .. شيوعي ..!

* * *

ومضى ليـــلٌ رهيبُ
وسرى في الشرق تيارٌ عجيبُ
ألهبته عاصفات المجد في دنيا العروبهْ
والجراحات الخضيبهْ
والكرامـــات السليبهْ
والتظت في دربنا الحر ، جموعٌ وشعوبُ
واستفاقت صبواتٌ وقلوبُ
وليالٍ وخطوبُ
وإذا بالفجر دفّاقُ الأماني في ربانا
يحمل النـــور الى الشعب ويعرى في ذرانا
وعلى جفنيه نسرٌ عربيْ
بين جنبيه جراحات نبي

حلمت فيه ربانا ،
وتمنته رؤانا
ثائرٌ يبحث عن معنى وجوده
ينفض الأوهام عن دنيا عبيده
أبصرته عينُ ذئب أجنبيْ
يتغنى بالأماني ، في بلاد العربِ
فأحاطته بارهاب عجيبِ
وتأذت من صدى النسر المريعِ
وخشوع الناس للمعنى البـــديع
والجمال الطلق في دنيا الربيع
فتحدّتـه ، وأدمته ، وقالت
إحذروه .. انه نسر شيوعي !

خيمة

مذعورةٌ ، على رحـــابِ المكان
مصلوبـةٌ ، منسيةٌ في الزمانْ

حيرى على أوهـامهـــا في المدى
لا حبٌ في سمائهـــا ، لا حنانْ

مشدودةٌ في الأرض معصوبةٌ
كأنمـــا شُدّت بأيدي الهوانْ

تنـــاثرتْ نجومهـــا خيبةً
في أرضها ، تفضحُـها للعيانْ

أكفانهـــا مشرعـــةٌ للردى
تطوي جراحاتِ الردى في امانْ

عيونهــــا شاخصــــةٌ للسما
كأنما في مقلتيهــا يدانْ

تعانقـــان اللهَ عبر الفضا
في غمرة الذل وتسترحمانْ

عزَّ عليهــــا النطقُ فاستنفرتْ
من دمعها ، بيانَها واللسان ! !

* * *

يا خيمةً اعرفها في الأسى
فاتَ عليهــا في الرجوع الاوان

واستمرأتْ آلامهــا وانثنت
تحيــا على المجهول عبر الجنان

النارُ في أرجائها أُخمدتْ
وفي زواياها تلاشى الدخانْ

يعوي بها فراغها طاويا
في مقلتيـــه الكبرَ ، والعنفوان

والهمُّ من ياسٍ بها مطرقٌ
يحصي عليها في العذاب الثوان

يجترُّ من تاريخهـــا راويا
مـا كان من مجدٍ لديهـــا . . وكان

* * *

يا خيمـــتي السوداء ظلي هنـــا
ذكرى على أشلاء حكم جبان ! !

يا شعبنا في العراق الابي

نظمت هذه القصيدة قبل ثورة ١٤ تموز
بسنين وكأنها تصلح له اليوم .

يا شعبنـــا شعب العراقِ الأبي إغضبْ ،فيصحو المجدُ إنْ تغضبِ
فموكب العُرب انتشى ثورةً وانت في تيهٍ عـــن الموكبِ
انت الذي بالأمس علمتنـــا كيف يثـــورُ الشعب للمطلب
فانحرْ رؤى الطغيان في مهدها واضربْ على أحلامها ، إضربِ
إن يدَ السفاح مشلولةً تكـــابرُ اليومَ على الملعبِ
مريضةً بالاثم ، مشدوهـــة بالحقد ، فاخلعهـــا ولا ترهبِ
سيسخرُ التاريـــخُ من أمةٍ تـــذلُّ للغلبِ ولم تغلبِ
تثاءبتْ واحتضنت مجرماً واستمرأته العمرَ في المنصب !!

* * *

يا شعبنـا شعب العراق الابي موعِدُنـا على الردى ، يعربي
لأنتَ من تاريخنا فلذةٌ عرباء لم تسلخ عن الكوكبِ
دماء اجدادي التي أهْرِقَتْ على ثراك السمح لم تُجدِبِ

فعُدْ إلينا غانما ، حاملاً هواكَ ، من فردوسك المخصبِ
فالشرقُ قد أمسى على ثورةٍ هوجاء ، من تاريخه الأرحبِ
وثورةُ الاحرار قربانها في كل شبرٍ من حمانا نبي ..!
في المغرب الجبّار اسطورةٌ للبذلِ ، روّاها دمُ المغربِ
والنيل لا يصحو على فجره إلا ليزهو بالثرى المخضَبِ
والاردنُ الثائر في صمته دنيا من الايمان لم تنضبِ
يطوي على أضلاعه عريَه منتقماً من أمسِه المرعبِ ! !

* * *

بغداد ، والمافون في دربها ما زال ملء الحكمِ ، لم يُصلبِ
لن تعقدي الغارَ على هامةٍ إن لم تجزّي هام ذاك الغبي
فالشرق لم يعرف له مجرماً في شكله ، منحرفَ المشربِ
يحكمُ بالذلّ على قومه في لذّة الظافر والمعجبِ
لو يستحي لمات في وكره منتحراً من خسّة المأربِ
لكنه الايمانُ في نفسه مات على ضميرهِ المذنبِ
بغداد ، لن تعلو لنا رايةٌ إن لم نحطّم جبهةَ الثعلبِ ! ؟

رسالة الشهيد

الى روح الشهيد الخالد عدنان المالكي ؛
ألقيت في حفلة تأبينه سنة ١٩٥٩

من سارَ في دربِ العُلى ..
لا بدّ أن يموتْ !
لا بدّ أن يموتَ كلَّ يومْ
في موكب الإباء والشممْ !
لأننا في موتنا نستلهم الحياهْ
نحقّق الحياه
ونخلق الحياة .. في العدم !!
ضريبة الوجود ، أن نُعمّرَ الوجودْ
وأن نُعمّدَ الوجـــود
بنشوة الألمْ
وللعلى مهرٌ .. يفرُضهُ العمرُ
يفرضهُ التاريخُ والقدرْ

في مقلةِ الخطرْ
من سار في طريقهِ .. لا بدَّ أن يموتْ
لتوهبَ الحياة لهْ
فللردى وقع على نضالنا .. الله ما أجمَلَهْ
نحمله على انتصار جرحنا .. لا بدّ أن نحملَهْ
نحملهُ في دربنا الوحيد ..
ودربنا على العلى وحيدْ
ما عابه في مهرجان السنى .. بأنه وحيدْ
فدونه في كل شبر ، ثائر شهيدْ
مناضلٌ شهيدْ !!

* * *

وكان يا زمانُ أن تلفّت الزمـــانْ !
واخضوضرتْ في دربنا الجنانْ
واستيقظ الشهيدُ في نضالنا الجديدْ
ليعبرَ الحياة في أمانْ
ليزرعَ الايمانَ في الوجدانْ
يردُّ للحياة ، للمعاني
حياتها الثكلى على الأماني
يُعيد للرؤى انطلاقها العجيبْ
في موكب الشعوبْ

ويلهمُ الدنى ، ويلهم القلوبْ
ويحملُ الجراحَ والذنوبْ ..
وكانَ دمٌ ..
واحْمَرّ أفقٌ وادْلَهمْ
واغرورق الوجود بالايمانْ !
وانتفض التاريخ بالحنانْ
واستيقظ الشهيدُ في نضالنا الوليدْ
يدكُّ من أسطورةِ الهوانْ ..
وكانَ أنْ تلفّتَ الزمانْ ..
وكنتَ يا عدنانْ ..

* * *

وكنتَ يا عدنانْ ..
ولمْ تزلْ تُطاولُ الزمانْ .
تختصرُ الحدودَ والمكانْ ..
في ثورةِ البقاءِ والزوالْ
وثورةِ الأجيالْ
في كلّ شبرٍ ملهمٍ بالمجدِ والنضالْ
بالكبرِ والنزالْ ..
لك الجناحُ الطلقُ والآمالْ ..

تختالُ في الجزائر .. وتلهبُ الجزائرْ ..
عدنان بعدُ لمْ يزلْ هناكَ في الجزائرْ
في كل جفنٍ ساهرْ .. وخاطرٍ وخاطرْ
عدنان في هوراسَ بعدُ لم يزلْ
مقاتلاً .. مغامرْ
يُعلّمُ الفداءَ للعلى .. وينسجُ المآثرْ
يموت ألف مرّةٍ .. ومرةٍ .. وينثني
يطلُّ من جفنِ الردى .. ومن ثرى المقابرْ
يصيحُ في دربِ المنى .. أنا هنا
أهدهدُ الخلودَ باسمِ شعبنا
ألملمُ الأواصرْ
وأشعلُ المجامرْ
عدنان حيٌّ في جميلهْ ..
في ابن بيلا يلهمُ السرائرْ
يشدُّ أمسَ المجدِ في انطلاقهِ
مؤزراً بالحـــاضرْ
تجسّدتْ آمالهُ عواصفاً ..
وماج فينا ثائراً فثائرْ
فكنتَ أنتَ يا أخي ..
وكان جيلنا المناضلُ المصابرْ

وكان عبد الناصرْ !!

* * *

وكنتَ يا عدنان ..

ولم تزلْ هنا ..

ولم تزلْ في دربنا هنا

تلوِّنُ الدُّنى بنا

تؤكِّدُ البقاءَ في وجودنا ..

وتزرعُ المنى

يا كبرنا .. عدنانُ يا كبرنا

في عُمرنا الجديد

تفتَّحتْ جراحنا على ثراك من جديدْ ..

يا كبرنا .. عدنان يا كبرنا ..

في بعثنا الأكيد ..

إنهض بنا .. وقم بنا ..

فالشعب من حولنا

مواكبٌ تململتْ في دربها الوحيدْ

وحطمتْ في سجنها القيودْ

ومزقت أسطورة العبيدْ

مواكبٌ تململتْ في دربها الوحيدْ

تودُّ لوْ تكونُ مشعلاً
في موْكب الشهيدْ
فاصدع بما تريدْ
ومزق الأكفان يا عدنانْ ..
وانهضْ بنا .. وقمْ بنا
وانظر لنا في كل عام .
نلملم الوفاءَ والأملْ ..
وننكأ الجراحَ في المقلْ .. ونحفظُ الذمامْ
ننهدُ كالاشواقِ في الاحلامْ
انذكرَ الشهيدْ .. ونبعث الشهيدَ
فانتَ بعدُ لم تزل هنا ..
عدنان بعد لم يزل هنا ..
يصيحُ ملء دربنا
يصيح ملء شعبنا
يصيح ملء حشدنا
رسالةُ الشهيد .. ان ينتصرَ الشهيدْ ! !

الانبياء الصغار

«قد لا اتفق معك في الرأي ولكني
مستعد لبذل دمي في سبيل ان تكون
حراً في ابداء رأيك . »

لا ...
لن يموتَ أنبياؤنا الصغارْ
ولن يذلّ أنبياؤنا الصغارْ
ولن يهونَ أنبياؤنا الصغارْ
فمقلَةُ الليل لها ، من كبرها نهارْ
تُطلُّ من أجفانه على الذرا
فَتُلهمُ الذرا
وتضرِمُ الأوارْ
كأنّما الحياةُ قد تململتْ ، وجدّدتْ أحلامها
ووشّحتْ في صَحْوِها أعلامَها
فاستيقظت على جراحها ، براعِمُ الشعارْ

* * *

لا ...

لن يمـــوتَ أنبياؤنا الصغارْ

وللذرا ملاعبٌ جريحةٌ وثارْ

فأنبياؤنا الصغارُ ثورةُ الذرا

في موسم البدارْ

تَمَلْمَلتْ عروقُها في دربنا

وانتفضت مناجلاً ، لتحصد البدارْ

وتقطفَ الثمارْ

وغرّقتْ جذورها في أرضنا

عواصفاً ، فحالَ كلُّ شبرٍ نارْ

عواصفاً يَعْرفُها الصغارُ والكبار !

تعرفُها الجراحُ في مواكب السنا

تعرفها المنى

يعرفُها الدمُ الذى تقحّمَ البحارْ

فزاحمَ الأنهـــارْ

ولوّنَ الوجودَ بالأحرارْ

يعرفُها الربيعُ في جنازةِ الربيعِ ،

والربى جريحةٌ ، تلهو بها سكّينةُ الجزّارْ

تعرفُها الرؤيا الـــتي تفجّرتْ ،

رسالةً ، وانطلقتْ بالوحي والأفكارْ
فابدعتْ مواكباً مؤمنةً ، وأطلعتْ
بواتراً ، وكلّلتْ هام العلى بالغارْ
يعرِفُها العطاءْ
يعرِفُها الفداءْ
يعرِفُها الجموحُ في أعنّة الثوارْ
يعرفها الصمود للأذى
على ملاعبِ الأذى
يعرِفُها في نفسِهِ الاصرار ..!!

* * *

وقيلَ يومَ أجدَبَ الضياءُ بيننا
وَجُرِّحتْ في روضها الأزهارْ
واقتحَمَ الحزنُ علينا بيتَنا
يؤكدُ الجحودَ والنفارْ
« غداً سينسى أنبياؤنا الصغارُ حُبَّهمْ
ويعصفون بالرؤى التي أنارت دربَهمْ
ويزرعون الأرضَ بالدمارْ
ويشحنونَ الأفقَ بالغبارْ »

وما دروْا بان أنبيـــاءَنا الصغارْ
فى حبّـهمْ ، كالحبِّ ، كالإعصارْ ،
أحنى على رؤى العلى من ظلـّها
أحنى عليها من يد الأقدارْ
وغضبةٍ عابرةٍ تثارْ !!

أنا الشعب

أنا الشعبُ فلتسمعي يا ذرا ... نشيدي ، يدوّي بسمع الفضاءْ
فرضتُ وجودي على كل أفقٍ ... وابدعتُ في صدره ما أشاء
أنا الشعبُ إمـا تلفّت كبرٌ ... على الدرب، أو ماج طيف الإباءْ
أمدُّ جناحيّ عبرَ الجراحِ ... فمن كبرياءٍ ، الى كبرياءْ
وأصمدُ في ملعب الظالمينَ ... واختال عبرَ انتصار الرجاءْ
وأمشي على غمـرات الردى ... واسرقُ من مقلتيـه الفناءْ

* * *

أنا الشعبُ يا حفنةَ المرجفين ... نداءُ الخلود ، وسرُّ البقاءْ
وُلِدتُ كبيراً على الضيم صدري ... يطاول في الكبر، صدرَ السماء
رقيبٌ على دجـلِ الحاكمين ... أطلُّ لهم من ضمير الخفـاء
اثور إذا مسّني ظالمٌ ... واخفق بـين جراح الفداء
على مقلتيّ مصيرُ الوجود ... وفي وجنتيّ مصيرُ القضاء
وكم مرةٍ ظنني جاحدٌ ... هُزِمْتُ ،ودبَّ بروحي الْعياء
وأخلدتُ في جنبات السكون ... وقد عزَّ في جنباتي العطاءْ
فطبعي غريبٌ على الجاحدين ... وما سمعوا في جراحي الغناء
إذا دمدمتْ في جموعي، افاقت ... دماءٌ ، وسالت بدربي دماء ..!

دمعة على صديق

الى روح صديقي الشيخ فهد السالم الصباح – الذي عرفته انساناً كبيراً في المدة التي قضيتها معه في الكويت .

لي دمعتان ، فيكَ يا صديقي شحيحتان في الشجى العميقِ
احداهمـــا ماتتْ على جفوني وغصّتِ الاخرى،اسىً بريقي
للحزن معنى غامضٌ بصدري غموض لذّاتي على عـــروقي
يحملني من عالمي السحيقِ لعالمٍ ، جَهْمِ الرؤى سحيقِ
اضيعُ في غمارهِ واصحو على شبابي الحائرِ الغريقِ
يصرعني والكاسُ في يميني تسيلُ بالحياةِ والشروقِ

* * *

اذاكرٌ انتَ ، وقــد نسجنا احلى المنى في أمسنا الوثيقِ
ظلاًّن ِ في عمر السنا أفاقــا على خيـــالٍ جامحٍ طليقِ
نمرُّ بالدنيا فلا نراها الا على منظارهـــا المشوق
تموج بالاحلام والاماني في موكبٍ ، مُنعّمٍ رشيق

اذاكرُ انتَ ؟ أفِقْ ، تجدْني ما بين هم فـــي الأسى وضيق
تجترني الذكرى على جناحٍ يحملُني في نعشِك الأنيقِ
أُذيبُ في أعماقِـــه فؤادي وانثني أحيا بلا خفوق ..!

* * *

أخا الوفا ، والودّ ، والأماني والنخوةِ السمحـــاءِ للرفيق
ضلّتْ على جراحِكَ المعاني وأجْبَلَتْ في وتري الدفيق
كدمعةٍ سفحتها فضاعَتْ في غمرةِ البكاء والشهيقِ !

غضبة فلسطين

لن نستريـــحْ !..
والشعبُ دامٍ جريحْ !
والقيدُ في المعصمِ
والحقدُ ملءَ الدمِ
ودربنا شاحبُ الأنجمِ
يضجُّ بالآثم المجرمِ
لن نستريحْ !
ونحن في مأتمِ
في حالكٍ مظلمِ
يجترُّنا حاقدٌ أعجمي
فيا نفوس اقحمي !
عذابنـــا ، واضرمي
ويا قلوبُ احلَـمي
وكبِّـري ، واقدمي
فاننا في دربك المعْـتِمِ

مواكبٌ ماجتْ على الموسمِ
لن نستريحْ ، والشعبُ دامٍ جريحْ .

* * *

لن نستريـــح ..!
وقبضة المعتـــدي
بظفرها الأسودِ
كأنها والغدرَ في موعدِ
تنهشُ من وجودنا المجهدِ
لن نستريحْ
والفجرُ في المذْوَدِ
يطلُّ رحبَ الغدِ
يومىءُ للبعث الجديد الندي
للشعبِ ، في الحلُمِ الأوحدِ
لن نستريحْ
فيا شعوبُ اصمدي
ويا خراف احقدي
ويا ذرا عربدي
وحطّمي ، واحصُدي
فكلُّنا في غمرةِ المقصدِ
مواكبٌ حاقدةٌ تعتدي

لن نستريح ، والشعبُ دامٍ جريحْ !

* * *

لن نستريحْ ..!
فيا بقايا الخيامْ
أما سئمتِ المقامْ
والذلَّ والتعهيرَ بين الأنامْ
والعارَ في دنيا الأذى واللئـــامْ
لن نستريحْ
فيا بقايا الخيامْ
يا وصمةً لا تنـــامْ
يا قبباً جريحةً بالطعامْ
يا قبباً شقيّـةً بالكرامْ
لا تؤمني بالسلامْ
لا تعمـــلي للسلامْ
لا تخشعي للسلامْ
فالمجد معنى ثائرٌ واقتحامْ
وغضبةٌ ، تحملنا للأمامْ
لن نستريحْ .. والشعبُ دامٍ جريح !!

المناضل

بُعثتَ للدنيا خضيبَ الجنـــاحْ
تسيلُ من جنبيك حمرُ الجراح
فاخلُـدْ على صدر العلى والرماح
واصمُدْ وعشْ للشعبِ عش للكفاحْ

* * *

أنتَ غريبُ الروحِ بين البشرْ
يشعّ من عينيك معنى الظفر
رضعتَ من صدر الذرا والخطرْ
تَهزّ أعطافَ القضا والقدرْ
ولم تهنْ في دربنا المستباحْ
فاصمد وعش للشعبِ عش للكفاحْ !

* * *

يا أيُّها الثائرُ في كل حـــينْ
لم يَغتصبْ قواكَ بطشُ السنينْ

صمدتَ كالايمان بين السجونْ
وكنت في أعماقها لا تلينْ
إيمانك الجبّار أشهى سلاح
فاصمدْ وعش للشعب ، عش للكفاحْ

* * *

لا تبتئس ما جئتَ هذا الوجودْ
إلا لتحيا في جنانِ الخلودْ
إن تلقَ بين الناس بعض الجحود
فاصفحْ ، فبعضُ الناس قلبٌ حقودْ
طبيعةُ الأبطال هذا السماحْ
فاصمد وعش للشعب عش للكفاح !

* * *

إنّ طريقَ المجـــد صعبٌ عميقْ
فشقّ للشعب سبيل الطريقْ
فبعضُهم من خوفه لا يُطيقْ
وبعضهم في الذلّ أمسى عريقْ
فانسجْ لهم من عاصفاتِ الرياحْ
روحاً ، وعش للشعبِ عشْ للكفاحْ

اذاكر بلدتنا القديمة

(الى روح الشهيد عبد الله نعواس
الذي استشهد بعيدا عن بيته وداره)

لو كنت استطيعْ
أن اسمِّرَ الربيعْ
في جوانحِ الحياهْ
في غفلةٍ عن الإلهْ
اعقدُه بمئزرِ الخلودْ
فيستوي الخلودُ للجميعْ
في موسمِ الربيعْ
ويصمدُ الربيعُ في ثراهْ
يلوِّنُ الدنا ،
بمرودِ السنا
فيحلُمُ الوجودُ في دناهْ
ويهرم البقاءُ في سماه
وتبسمُ الذئابُ للقطيعْ

يا حبذا لو كنت أستطيعْ !!

* * *

لو كنتُ استطيعْ
أن أصلبَ الزهورَ في الحقولْ
شهيةً لا تعرفُ الذبولْ
فاسكبُ العطور في جفونها
خالدةً تعبقُ بالذهولْ
والشوقَ والفضولْ
لو كنتُ أستطيعْ
لطابَ لي في عالمي الرجـــاء
وطابَ لي الهناءُ والبكاء
وطابتِ الدنيا على انحرافها
وطاب في ملعبها النعيمُ والجحيمْ
والشقاءْ .
لكنها ضريبةُ الربيعْ
ضريبةُ البقاء
تدفعها الحياةُ في سخاءْ
في موسم الشتاءْ
في رحلة البقاء والفناء !

* * *

لو كنت استطيعُ

دفعَ الموتِ عنك ، عن رؤاكْ

لو كنت استطيعُ

يا رفيقنَا ، سكبتُ من دمايَ في دماكْ

لو كنتُ أستطيعْ

أن ألمْلمَ النجومْ

من بيادرِ الغيومْ

انثرها في دربنا الشقيِّ بالوجومْ

وأن أمدَّ مخلبيّ للردى

أمزّقُ المجهولَ في دنيا الردى

أعيدُ للقلبِ الذي هوى وجيبَهُ ،

واستردُّ في الهوى له ، حبيبَهُ

المجدِ والنضالْ

لو كنتُ استطيعُ كلَّ ذاكْ

لهزَّني العطاءْ

واستيقظتْ في لوعتي طلائعُ الفداءْ

تصيح بالنعشِ الذي احتواكَ

غيلةً . .

أنا فداكْ

وكلُّنا وكلُّنا فداك ! !

* * *

لكنَّني لبّيكَ لا استطيعُ كلَّ ذاكْ
وفي فمي حجارةُ الحقيقهْ
تهشّم الفداء في جنانيْ
وتمسحُ العطاءَ عن كياني
وتهزمُ الرثاء في لساني
ما أبشعَ الحقيقهْ
وأجملَ الحقيقهْ
تعصفُ بالأماني
وتلهبُ الأماني
إني أراها اليومَ في وجداني
كسيحةً ، جريحةً ، غريقهْ
تهمُّ بالرفاقِ والخلاّنِ
تخطُّ في مصيرنا طريقهْ
مقابراً وحفراً عميقهْ
تضجُّ بالاوجاعِ والاحزانِ
ما أبشعَ الحقيقهْ
تهوي هباءً في فمِ الديدانِ

ماذا أقولُ للنجوم ِفي بيادر ِالغيومْ ؟
ودوننا في الأفق ِالفُ هوة ٍسحيقهْ
وما أقولُ للربيعْ ؟
وكيفَ أصلبُ الزهور في الحقول ِ؟
وفي فمي حجارةُ الحقيقهْ
تصرعني كأنما جدّفت بالخليقهْ
جريمتي جريمةُ الوفاء ..
للرفيق والرفيقهْ
جريمتي ، جريمة الفداء ..
للصديق ِ والصديقهْ
لكنني وقد عرفتُ كلّ ذاكْ
وغصت ِالأحلامُ في مشواكْ
وانهارت ِالآمالُ والأماني
واغرورقت في خاطري المعاني
أطرقتُ في صمت ٍلدى الحقيقهْ
محتضناً في حرقتي جثماني
يَلفُّني في ذُعُر ِايماني
تطلُّ من خلاله ِالقبورُ واللحودْ
وعبرةُ الوجودْ
وخِسةُ الثواني

فإذْ بنا نموجُ في مكانٍ
وانت يا رفيقُ في مكان ..!!

* * *

أذاكرٌ .. يا حبَّذا خيالي
يشيلُني في مقلةِ الآمالِ
على جناحٍ دمعتي ، ولوعتي وغربتي
على جناحٍ راعشِ الأوصالِ
ينثرني في القدس ، في رباها
أعفِّرُ الشقاءَ في ثراها
ينثرني في البلدة القديمهْ
أذاكرٌ بلدتنا القديمهْ
في القدس ، والشوارع المهدومهْ
والمهج الظامئة الكظيمهْ
تصمدُ كالإيمان كالعزيمهْ
توشّحُ الصمودَ بالجهادِ
وتلهمُ الحياةَ في الجمادِ
كأنها والبعثَ في ميعادِ
أذاكرٌ .. بلدتنا القديمه
أسوارُها العصيةُ المرادِ

أسوارُها التي انتخت لها
في صدرها الرجوله
وانتفضت في دربها البطوله
فاحتضنت مسرى النبيّ في العلا
واحتضنت كنيسةَ الميلادِ
أسوارُها ، تجسَّدَت عواصفاً
في مهجِ الابطال والروّادِ
في مهجِ الذين امس سطّروا
وجودَهم بالكبر والعنادِ
أسوارُها .. أبناؤها .. اشلاؤهم
في مقلةِ التاريخ في أجفانهِ
أكفانهم في ثورةِ الآبادِ
ما احضوضرت إلا على جفن الردى
واشرقت إلا على استشهادِ !
وانتَ يا رفيقُ ، كنتَ بينهم
كالوحي في الانشادِ
كالجمرِ في الرمادِ
كالكبرِ في الأصفادِ
تهدهدُ النضالَ في دنيا الفشل
وتزرعُ الذرى

زنابقاً حمراء ، تُسقى بالأملْ
ماجتْ تعانقُ الردى مظفراً
وتلثُمُ الأجلْ
تهتزُّ كالرماح في بلدتنا القديمه
أذاكرٌ .. بلدتنا القديمهْ
عيونك السوداءُ ، بعـــد لم تزلْ
عالقةً بكل دربٍ مشرقٍ ، يموجُ بالشعلْ
توزّع الصمود والرجا ، وتمنحُ القبلْ
للمؤمنين انتصروا على الأذى
على الردى .. على الوَنا
على الهوى .. على الأنا
على نفوسهمْ ، على أرواحهمْ ، على الأجلْ..!

* * *

لكنـــني ، وقد ذكرتُ كلَّ ذاك
وأجهشتْ ذكراكَ في خيالي
تطوف كالشذا الملحِّ عبرَ بالي
أعود يسري في فمي سؤالي
هل تعلمُ الأسحارُ والزهورْ
وتعلمُ الأطيارُ والعطـــورْ

وتعـــلمُ الأسوارُ والنسورْ
ما حلَّ بالقلبِ الكبيرِ الغالي
في رحلةِ الضياع والترحالِ
وأيُّ حالٍ في الأسى وحال
يغمرنا في الشوق والوصال
للبلدة الجريحة القديمهْ
لروحكَ الثائرة الرحيمهْ
للبلدة الصابرة الكريمهْ
تنفضُ عن أشلائها الهزيمهْ
تنفض عن أشلائنا الهزيمهْ
والحقد والصغارَ والنميمه
وخسّة التصوير للجريمهْ
فبعضهم قد ألهمَ الجريمهْ
وحاك منها سلّماً لمجده الصغيرْ
على جراح شعبِهِ ، وحلمه الكبيرْ
ومثل هؤلاءِ يعرفونْ
إذا هوى القناعُ واشرأَبَّت العيون
تطلُّ بالجريمهْ
وتفضح الجريـــمهْ
وتفضحُ الجبنَ الذي مزَّقهمْ

وتفضح الظنونْ
وهؤلاء مثلُـهُـمْ في شرقنا كثيرْ
تمرَّد الحياءُ في وجوههم ، وانتحر الضميرْ
واستشهدت في ذاتهمْ مواطنُ الشعور
قد عطَّلوا في دربنا المسيرْ
لكنما المصيرُ ، أن ينتصِرَ المصيرْ
رسالةُ النضال في الحياةِ والخلودْ
وثورةُ الوجودِ في مواكب الوجودْ
رسالة الأخلاقِ في الصراعْ
وثورة الأبطالِ في الإبداعْ

* * *

لكنني يا صاحبي ، وقد عرفتُ كلَّ ذاكْ
ما زلتُ ألمسُ الشعاعْ
وأستلذُّ فكرةَ الصراعْ
فشعبنا أقوى من الدجــــلْ
أقوى من الهزيمهْ
تمرُّ في سمائه جريمةٌ ، وتختفي جريمهْ
لا بدَّ أن تستيقظَ الحياةُ في عروقِـهِ
لا بدَّ أن تفيقْ

تُلَمْلِمُ الحطام من طريقنا ، وتفرشُ الطريقْ
فنحنُ بعدُ لم نزلْ في أوّل الطريقْ
في كل شبرٍ موكبٌ يموجُ بالأماني
للبعثِ فيه ، ثورة التاريخِ والايمانِ
والبعثُ للجميعِ ، كلُّنا فداهْ
نعيش في وجوده ، في مطلَع الحياهْ
لكلِّ حرٍّ مؤْمنٍ يعتنقُ الحياهْ
نقيَّةً ، خالدةً ، كالمجد في صباه
غداً نعودُ عبرَهُ ، لدارنا الجميلَهْ
فتضحك العطورُ والزهورْ
وتهزجُ الأسوارُ والنسورْ
وتضحك الخميلَهْ
وتنحني في دربنا البطولَهْ
غايتُنا أنْ نلهمَ التاريخ مستحيلَهْ
في الحبِّ ، والعطاءِ ، والإباءِ والرجولهْ !؟

* * *

غداً نعود يا رفيقُ .. دارُنا الجميلهْ
تنشقُّ في لقائنا خميلةً .. خميلهْ
غداً نعود في رؤانا أنتَ ،

في أحلامنا المغسوله
وفي شراع الخير من صمودنا
والمهج النبيله
وفي الأعاصير التي قد ألهمت
سيوفنا المسلوله
تختال في وجودنا وبيننا ،
كالحلم في الطفوله
ويدّعيك الناس في رحلتك المجهوله
وتسال الرياض عنك لوعةً
وتسال الزنابق المطلوله
وتسال السجون ، ما أحلكها في البلدة القديمه
وتسال الزنزانة السوداء
عن ضحكتك العذراء ، في أرجاها
ضحكتك العذراء في أعماقنا
تعيش في صداها
حاملةً معناها
يشتاقك « الحرّاس » في انطلاقهم
لظلّك الأنيس
وأنت من خلف الجدار هازئاً :
تصيح يا « تعيس »

لكمْ أحبّها الرفاق يا « تعيسْ »

واستمرأوا « جملتك المأثورةْ »

وعانقوا ضحكتك « المشهورة »

وكوكبوا من حولِ روحك الكبيرهْ

كما تكوكبُ الرؤى في دارنا المهجورهْ

فأنت حيٌ بالنضال ، والرفاق ، بالمنى الأصيلهْ

وأنتَ ملءُ من رآكْ

وأنت حيٌّ في ثراك

فاخلُدْ على أحلامنا الظليلهْ

وامرح على أجفاننا البليلَهْ

واخطرْ كما عودتنا ، كالنور في بلدِتك القديمهْ

فأنت بعد لم تزل هناك .. في بلدتك القديمهْ !!

١٦ تشرين الثاني ١٩٥٨

الشهيدة رجاء

صرعها الانكليز في معركة حلف بغداد

أمةٌ فيها رجاءٌ لن تزولْ
هكذا صلّى الرفاقُ
يوم ثاروا واستفاقوا
يحملون النعشَ ، نعشَ الثائرهْ
والدمُ الحرّ مراقُ
والجراحات انطـــلاقُ
والأماني مثخناتٌ حائرهْ
تذرعُ الوهمَ بصمتٍ وذهولْ
أرقَ الحزنُ عليه والفراقُ
فانحنت ثكلى على النعش تقولْ :
أمةٌ فيها رجاءٌ .. لن تزولْ !

* * *

هذه السمراءُ من أيّ البطاح

غمغم الناسُ ذهولا

وبكوا فيها القتيلا

وانبرى رأسٌ إلى رأسٍ يميلُ

واشرأبتْ مقلة حيرى تجولْ

وبهـــا ألفُ سؤالٍ وسؤالْ

ودموعٌ وظلالْ

فانتخى من نعشها سيفٌ صقيلُ

تخطرُ اللهفة فيه والفضولُ

هذه السمراء من دنيا الكفاحِ

من ربى الشرق وأرجاء السماحِ

خفقتْ بين الجراحِ

وانتفاضات الرماحِ

فانبرى ثارٌ الى ثار يقولْ

امة فيها رجاء .. لن تزولْ ..

* * *

امةٌ فيها رجاء لن تذلاّ

فهي بالاحقاد حبلى

بملايين عنيفهْ

وانتفاضات مخيفهْ

كل حرٍّ في ثراها ، وسماها

وعلى درب شقاها واساها
صار في الوثبة يستجدي رغيفهْ
وعلى الذلّة يستعدي طيوفه
فهو نورٌ وشررْ
ومصير وقدر
كلما مال به اليأس تمادى وصبرْ
وتحدّى الموت ، فالموت انتحر
في رباه وتولّى
حاصداً للمجد قتلى
صارخاً في الظلم مهلا
امةٌ فيها رجاءٌ .. لن تذلاّ

* * *

امةٌ فيها رجاءٌ لن تبالي
فالشقيقات الغوالي
كلهنَّ ، كلهنَّ ، في رؤى المجد رجاء !
وولاء ووفاء
« دمعةٌ من جفنهنّ »
« خفقة من صدرهنّ »
في سماء المعركة.. في أتون المعركهْ
تشعلُ الأمة عزماً ومضاء

وتعرّي الفكر في دنيا القتالِ
وتعرّي البذل في درب النوالِ
كلهنّ ، كلهنّ في رؤى المجد رجاء
نسج المجد عليهن تعاويذَ النضالِ
فتهادين اباءً ، وجراحاً
وتسمّرن صموداً ، وكفاحا
وعلى الوجه جراحات الجمالِ
مُزجتْ كبراً بأحلام المعالي
يتخطّرن باحلام الرجالِ
صارخات في صمودٍ وجلالِ ..
أمة فيها رجاءٌ .. لن تبالي ..

* * *

في ثرى « الاردنّ » يسمو اليوم قبر
هو قبرٌ لرجاءْ
يتنزّى بالاباءْ
كلّـهُ نورٌ وسحرٌ ، ومصابيحُ وفكرُ
نسجته في العلا ايدي الخفاء
وحنينُ الرفقاء
والرفيقات اللواتي ، بتنَ ينسجنَ الفداءْ

للغدِ المأمول يوم الضعفاءْ

للغدِ المأمول يوم الشرفاءْ

للغد المأمول يوم الابرياء

ونضال لم يهن يوماً باحلام النساء

وصراعٍ ابدي للبقاء

انه يوم رجاءْ

لم يزل منه حنينٌ للدماء

وحنينٌ لكفاح الدخلاء

ايقظته اليوم أرواح الضحايا الشهداءْ

انه يوم رجاءْ

عيسى بن مريم

اعتدت اسرائيل الغاشمة على القدس ،
وقصفت كنيسة القيامة في ليلة الميلاد .

يا ليلةَ الميـــلادِ هذا شاعرٌ — يشكو الأذى في ليـلة الميلادِ
أحلامُه ذبلت ،وعاجلها الردى — فذوتْ على غصنِ الصبا الميّادِ
يا أين ؟أين فمي الذى أوقفتهُ — لحناً على التسبيـح والانشاد ؟
ما لي ، تمزقتِ المعاني حسرةً — وتحطمتْ في خاطرِ الأعوادِ
ما للرؤى العمياء تجرحُ مقلتي — تنتابني في صحوتي ورقادي
تجري دماً ،في مهجتي وتعيش في — روحي، وتسري عنوة لفؤادي
فتموتُ أغنيةُ المسيحِ على فمي — ألماً ، ويخرسُ كلُّ طيرٍ شادي
وتلوحُ لي هذي الدنى أسطورة — للبؤس تهزم غمرة الأعيـــادِ
فارى بها شعبي الجريح مشرّداً — فوق الشعابِ يلج في الأصفاد!

* * *

يا ليلةَ الميلاد إنْ خلعَ الدجى — حلَّـلَ الظلامِ على ثرى الأجداد
لا تعجبي ، فالليل كل حياتنـا — ينسابُ بين ربى ، وبين وهاد

في كل شبرٍ للمجاعة مــأتمٌ وبكل سفحٍ لاح ثوبُ حدادِ

* * *

يا ليلةَ الميـــلاد قولي للذي أنزلْتِيــه ، للوعظِ والارشادِ

هذي دماؤك لم تزل مسفوحةً فوقَ الصليب تصيحُ بالجلاّد

أكليلكَ الفخمُ الجميل تناثرتْ أشواكهُ في أمتي وبلادي

فحنا عليهِ المؤمنونَ وقبّلتْ آمالهُ ، آمـــالُ بيت الضاد

وسعى إليه الغاصبون فشيّدوا صرحاً على الآلام والأكباد

والأنكليزُ بنوكَ ، ذلّتْ أمةٌ قامت على الطغيان والأحقاد

والانكليز بنوك ، كل ذميمةٍ منهمْ ، وكلُّ أذىً ، وكلّ فساد

فاسمعْ جراح المهدِ تهتفُ نقمةً واضيعة الأولاد والاحفاد !

* * *

عيسى بنَ مريم قد عرفتك هادئاً فاغضبْ ولو في ليلة الميـــلاد

واشهد مآسي الغرب، كلُّ جريمةٍ قامت هنا باسم المسيح الفادي

إن كنتَ منهم يا ابن مريمَ فلتعدْ لربوعهم ، لا كنتَ فينا الهادي

أما المحبةُ فلتحـــوّلْ غضبةً هوجاءَ ، تذكي الحقد في الأغماد

أما الحنانُ فسوف نمشي باسمه ثاراً ، لتعلو رايةُ الأمجــــاد

يا صائد الأسماكِ قد أودتْ بنا بين الأنامِ شريعةُ الصيّاد !!

* * *

عيسى بنَ مريمَ رحمةً قد هاجَ بي ... ألمي، وضلَّ على العذاب رشادي
أنا لا أرى غيرَ الدموع تسيل من ... كبدي، فتغرقُ مضجعي ووسادي
هيّا معي، فالليلُ مدَّ جناحَه ... حزناً على أجفان هـــذا الوادي
انظر هناك، ترَ العذاب مجسَّداً ... في خيمةٍ مقرورةِ الأوتـــاد
خجلَ الشتاءُ من الجريمة فانثنى ... عن مرقـــدِ الأطفال والأولاد
والسادةُ العظماءُ لمّا يخجلوا ... فمتى تزيلُ جريمةَ الأسياد ؟!

* * *

دنيا السَّنا والنور لا تتألمي ... صدرُ العرين يعـــجُّ بالروّاد
وغداً سيمشي الشعبُ معركةً له ... فالحقُّ لا يعلو بغير جهـــاد
قسماً «ببابر»[1] رملِها وهوائِها ... وسياسةِ التشريد والإبعـــاد
سيعيشُ هذا الشعب مهما أبطأت ... أحلامُـــه في غفلةِ الآباد
فأصوغُ شعر البعث قرباناً له ... وأصومُ عنهُ ليلةَ الميلادِ

---

(١) بابر : منفى صحراوي في الأردن .

المغرد السجين

كان الشاعر مختفياً ، وكان يبعث بمقالاته وقصائده الى الصحف العربية والمحلية باسم مستعار وكانت الاديبة الشاعرة المبدعة فدوى طوقان صديقة الشاعر تقرأ ما يكتب في الصحف ، ولا تدري عنه شيئاً ، حتى فطنت الى اسلوب الشاعر وطريقته فكتبت اليه هذه القصيدة وفاء واخلاصاً ونحن نثبت هذه القصيدة في الديوان احتراماً وتقديراً للصديقة الغالية ، كما نثبت الى جانبها القصيدة التي بعث بها الشاعر اليها في حينه .

شدوكَ ياتينا حبيبَ الصدى
محلقاً رغمَ انغلاق الرحابْ
يا طائري السجين فاصدحْ لنا
من خلفِ جدران الدجى والعذابْ
غنِّ فقضبانُ الحديد التي
تسدُّ ، في وجهك رحبَ الفضاءْ
لن تحجب الغناءَ عن سمعنا
يا طائري ، غنِّ فدرب الرجاء

ما زال يمتدّ مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

* * *

ارجعني شدوك يا طائري
الى زمان قد طواه الزمانْ
إذ انت طلق الخطو طلق الجناحْ
ايام كانت ظلة الياسمين
تحضنُنَا ، وانت تشدو لنا
شعرَ المنى والزهوِ والعنفوانْ
فتقربُ النجوم من أرضنا
تصغي الى الشدو ونصغي ، وكانْ
ملء اغانيكَ اخضرار المروجْ
ونضرة السفحِ وبوح الأريجْ
وملؤها كان هدير الرياحْ
وكان فيها من شموخ الجبالْ
في وطني ؛ وعزة لا تنالْ
الاّ مع النصر وفوز الكفاحْ

* * *

يا طائري السجين إصدح لنا

رغم هوان القيد ، رغم الظلامْ
فالافق ما زال غنيَّ المنى
ينتظر الشمسَ وراء القتام
المجد للنور فلا تبتئسْ
والنصر للحرية الرائعهْ
وغدنا موطنُ أحلامنا
فلا تقلْ أحلامنا ضائعه

* * *

يا طائري ، هناك درب الرجاء
هناك يمتد .. مشع الضياء
رغم انطباق الليل من حولنا

من الاعماق

« الى صاحبة المفرد السجين »

لئن جاء شدوي حبيبَ الصدى ... يوافيكِ رغمَ انغلاق الرِّحابْ
فذاك لأني نشرتُ جناحي ... يعانقُ في جـانحيكِ العذابْ
ويجمعني فيـكِ سوءُ المصير ... وما ضمّنا في الأذى والمصابْ
كما تحتويـني بك الذكرياتُ ... وطيبُ الأماني ، وبيض الرغاب

* * *

أنا مثلما شئتني أن أكونَ ... وشاءتْ لي الحادثاتُ الصِّعاب
كبرتُ على الذلّ لا أرتضيه ... ولي موطىءٌ خالدٌ في السحاب
أعانقُ من ربوتيـهِ النجوم ... وأختال بين الذرى والقباب
أُطلُّ على الكون آحيا النضال ... وأبقى به العمرَ غضّ الاهاب
ومن أرضعتهُ النجومُ الدراري ... سرى في سماء العلى كالشِّهاب
سفحتُ دمي فاستفاقت جراحي ... تلوّن صدرَ الذرى بالخضاب
وأحببتُ داري ، فلذّ لقلبي ... بلوغُ المنى ، واقتحامُ العباب
أتوبُ معاذَ العـلى أي يومٍ ... مضى شاعرٌ للمعـالي ، وتاب

* * *

أتاني كتابُكِ يا أختَ روحي فصافحتُ روحَكِ بين الكتاب
وهشّتْ جراحي له واستفاقت خيالاتُ أمسي تخط الجواب
بلى انني ذاكرٌ ذاكرٌ عشايا الإخاء ولهوَ الصحاب
تظلّلنا ظلّة الياسمينِ جناحانِ ، من لذةٍ واكتئاب
ونسمرُ حتى يجنُّ الحديثُ على حُلُمٍ هاجعٍ في السراب
فنأسى ونضحكُ من أمرنا وبين المآقي دموع الدُّعاب
بلى إنني ذاكرٌ ذاكرٌ وقد أمرعَ الزهو فينا وطاب
وشعرُكِ أحلى من المستحيل يطاولُ في الكبر شمَّ الهضاب
طليقٌ كأنتِ على كلِّ ثغر تدلّينَ بالفنِّ بين الكعاب
وشعْرُكِ وقعُ السّنا في بلادي يهدهدها بالمنى والرّغاب
فتصحو على دمدمات الكفاح وتخفقُ بين القنا والحراب

* * *

أنا مثلما شئتني أن أكونَ تقبّلُني الشمسُ رغمَ الضباب
ويحملني النورُ في كل دربٍ فاطوي المغاني ، واطوي الشِعاب
وحيداً تواكبني غايتي وتصلبُني شهوتي للغِلابْ
وأظما والكاسُ في راحتيّ تراقصُ فيها الهوى والشراب
وأعرى وملءُ شبابي الحياة تمورُ ، وملءُ إهابي الشباب
أريدُ الحياة لشعبي الجريح لتكبرَ فيه الأماني والعذاب
فمن حقّهِ أن يعيش الوجودَ ويبْنيهِ حراً عزيزَ الرحاب

وليسَ لغيرِ الإله عليـــهِ ادّعاءٌ ، ليُنزل فيه العقابْ .

* * *

وأنتِ ، إذا مـــا أتاكِ كتابي وصافحتِـتِني في ثنايا الكتاب
ولامستِ بين السطور دموعاً تناثرْ بـــين القوافي الغضاب
بربّـك لا تجزعي فالأمــاني لها دمعـــةٌ في العلا والطلاب
وإنْ تعتبي ، فالقلوبُ الكبارُ يلذُّ لهــا في الحنين العتاب
غداً ينجلي الليلُ عن روضنا مهيضَ الجناحِ ،حسيرَ الحجابْ
غـداً ينفضُ الشعبُ أوهامَه وللشعب ظفرٌ رهيبٌ ونابْ
ملايينُـهُ أقسمتْ لا تنـــام وفي دربها موطىء للذئاب
تحنُّ الى الثأر عبرَ العذاب وتحصي الثواني ليومِ الحساب

* * *

لئن جاء شدوي حبيبَ الصدى يوافيكِ رغمَ انغلاق الرحاب
فلا بدّ من عودتي للحيـــاةِ ولا بدّ لي في العلى من إياب
إذا هتف الشعبُ يوماً بروحي أطلّت له من حنايا التراب ..!

- ٥ -

أغنية النهاية

وحشية العينين

فتشت يا وحشية العينين ..

فتشت كل عمري ..

فتشت عن عينين حلوتين ..

أغريهما بشعري .

أجمع في جفنيهما الضدين

عربدتي وطهري

فاهزم المثال في بيتين

وأصلب الجمال في عينين

وانتهي .. وينتهي الصراع عبر جسدي

ما بين صحوتي وبين سكري

وفي حنايا قـــدمي وخمري

فلا أرى الوجود بين بين ..

كأنني عليه بت غـــيري ..

كأنني أعيش في قلبين ..

مبعثر الجناح واليدين

أدري بأشواقي ولست أدري

أحبك مثلما أنت .. فـــلا تتغيري أبدا
رأيتك فاستشاط الوجد في جنبيّ واتقدا
وجنت عبر آفاقي رؤاي ، ومزقت بددا
أحبك مثلما أنت فـــلا تتغيري أبدا
أخـــاف إذا تغيرت سلاني الحب وابتعدا

* * *

فتشت يا وحشية العينين
في علني وسرّي ...
فتشت عن عينين حلوتين ..
تعمقان أسري
وتحملان العمر في بحرين
من صـــدف ودرّ
فلا أرى غيرهما جفنين
ولا أرى غيرهما هدبين

ربّاه !

ربّاه هلاّ ترى ... مهــازلاً للورى
تحــاك فوق الثرى
الوهن فينا جرى والذلُّ فينا سرى
ربّاه .. هلاّ ترى

أنت الذي ابدعت هذي الدنى أوجدت فيها السفح والمنحنى
أنت الذي رميتنا ههنــا أسعدتنا حينا ، واشقيتنا ..
فانت من صوّرا وانت من نوّرا
وانت من عطرا وجودنا الاخضرا
ربّاه .. هلا ترى

إن كنت ترضى أن يبيد البشر فابدل قلوب الناس خيراً بشر
فالاثم ثــارت نفسه وانتشر والحق يا ربي استحى وانتحر
وهــام بين الذرى يطوي بنا الاعصرا
معذباً خــيراً محطمــاً أصفرا
رباه هــلا ترى ؟

أنت الذي ابدعت هذا الوجود مكبلاً ، مصفداً بالقيـــود
لو كنت ترضى للوجود الخلود ما قام عيسى في سماء اليهود
صليبه ما انبرى مخضبـــاً احمرا
والغرب قد اسفرا يسومه المنكرا
الست حقـاً ترى ؟؟

ألست ترعانا بعين السماء ترمقنا في لذة واشتهاء
فنحن من جنبك ضلع البقاء ولم نزل في الارض: طين وماء
ولم يزل يجني علينا الشقاء.. ما كلنا يا ربنا .. انبياء
لا عدلكم اثمـــرا حباً ، ولا ازهرا
ما خطبكم في الذرى وأي شيء عـــرا
ألست حقـاً ترى ؟؟

هذي بلادي مزقتها المحن جبارة هانت بكفن الزمن
وكل حرّ دونها لم يهن معلقٌ في صدرها مرتهن
في مقلتيه دمعة من شجن تسري لهيباً في سماء الوطن
فانظر الينا ترى اعراضنــــا تشترى
ومجـــدنا ادبرا وعزنـــا أغـبرا
هانت.. ملوك الشرى...

انطلاق

اغني لماذا .. تراني أغني ؟
لماذا اعذب قلبي بلحني !
وألهبُ جرح الحياة بظني ؟
ترى هل تعود
فيا شهوة الشك لن تطمئني
وفيك طيوف الرجا والتمني
تداعبصدري، وتسخر مني
بهذا الوجود ...
ويا نزوات الرجا والتمني !
سألتك أن تجمدي فوق عيني
لأطبق جفني ، وافتح جفني
بحلم جديد
يحطم بعض وفائي لسجني
فاني تحطمت كبرا بسجني

وعاقرت كاس شقائي وحزني ..
حتى الخلود ...
أريد حياتي تلوّن غصني
فيخضرُ عودي ، ويضحك سني
وتسمر روحي ، بيني وبيني
فأنسى الجحود
وأنسى جريمة قلبي وعيني
وما كان مني ، ومـا قيل عني
وذلي بدنيا غرامي .. وجبني
وهذي القيود ...
أريد انطلاقـا لروحي وفني
على ملعب شاعر مطمئن
لأفرغ دني وأملأ دني
بخمر الخلود .
فيمرعُ معنى الحياة بذهني
ويحيا وجودي جديداً بعيني
وتزهو الورود

طفلها الكبير

وفي غدٍ
وعندما في الصمت تجلسين ،
وحيدة ، وعتمة السنين
تنساب فوق وجهك الحزين
« لطالما أحببت وجهك الحزين »
والذكريات الحلوة – المريرة الشجون
تجيش في عينيك بالصراع والسكون
لا بُدَّ تذكرين .. لا بد تذكرين ..
وتسألين عنه الفارس الذي مضى .. وربما قضى
وتسألين .. تسألين
تراه أين الفارس الذي أحبني ؟
وضمني وشمّني .. وتصرخين .. تصرخين
لشدّ ما أحبني .. لشدّ ما أحبني
ألمحه يدقُّ بابي الآن ، حاملا جراحه
وكبره الطعين ..

ألمحه يأتي ، كما أتى اليّ كل حين
في كل لحظةٍ ، وكل ساعةٍ
يحملني يشمّني يضمُّني يعبدني
كأنني لعبته التي صلى لها
وكان في محرابها الأمين ..
ألمحه مقطّب الجبين
ألمحه منفرد الجبين

يهش لي ، يغرق في وجهي
يلومني إن غِبت عن عينيه ،
عن أوهامه التي تتبعني أنَّى أكون
يغار من طفلي ، يريد أن يكونه
يغرقني بالسحر والفتون
لشدّ ما أحبني ، لشدّ ما أحبني
إني أراه الآن عَبْر الوهم قرب مقعدي
ويده على يدي
يشربني – يأكلني
يغرقني بالحب، باللذات، بالتودد
أوّاه من ترددي
طفلي الكبير كم تمنّى أن يكون ولدي ، ووالداً لولدي
أبعدتهُ عن كبدي ، أطعمته من جسدي

وضعت منه في الهوى ، غرقت في تعددي
أواه من ترددي ومن تعددي
تراه أين الفارس الذي أحبني
تراه أين الفارس الذي أحبني ؟
أحسه الآن معي ، يشدني من أضلعي
ينشدني ألحانه في الحب والتوجع
يسالني هل أنت تسمعين ؟
هل أنت تفهمين
يقول لي أشياء لا أعرفها
في الحب لا أفهمها
يشدني يضمني
يحب بي رائحتي ، يعشقني يعشقها
وقدمي ، يحبها ، وطالما قبلها
قبلها .. قبلها
أواه كم أحس رعشة الحنان إذ قبلها
وقال لي أشياء عن تاريخه ، وحبه لأرضه وعرضه
واختلطت بروحه الاشياء في جنون
لطالما أحببت ذلك الجنون
أحبني كما أحب وطنه
وضمني وضمه ، وشده وشدني

وغاب عني اليوم خلسة ..ولم يزل
يحبّه ، ولم يزل يحبّني
تراه أين الفارس الذي أحبني ..
لعلّه لو عاد عبر الزمن
أعود عبر الزمن
أحبه كما أحبني
أحب فيه وطني
وفي غدٍ ... وعندما في الصمت تجلسين
تذّكرين كل شيء ، كل شيء .. وتسالين .. تسألين
لربما أعود من دنياي من عواصم المنون
حتى أراك تضحكين
فكم أحب أن أراك تضحكينْ ، وتعبثينْ ، وترقصين
كما أحب وجهك الحزين
وربما أعود من دوّامة العدم
لأمسح العذاب عن جبينك المضيء بالندم
فلست، أرضى أن أراك تندمين
في عتمة السنين
وعندما في الصمت تجلسين
لأنكِ عرفتني فيما مضى ، وتعرفين
بانني في ذيل ثوبك الثمين

لو رحت تبحثين ، وجدتني في ذيل ثوبك الثمين
أمدُّ أنفي باحثاً عن عطرك الذي أحبّه
عن صدرك الشهيّ بالمجون
وعن لهاثك المسعور بالجنون
وعن عيونك التي تغار من فتنتها العيون
عن الأصابع التي تجرفني بالنار والأتون
فأنت تعرفين – لو رحت تبحثين ، تسألين
تراه أين الفارس الذى أحبنى ؟
وشمّنى وضمّنى
فأنت تعرفين .. تعرفين !!

الصنم ...

انا الذي تجهلين ! ولا تعرفين ، ولا تفهمين .. !
غريب عليك
سابقى بعيدا
شريداً وحيدا
فمثلك لا يستطيع سمواً ، لأنك لا ترتقين إليا
لأنك لا تعشقين القويا .. لأنك لا تشعرين .. !

* * *

أحبُّ ، لماذا احبكُ
هل ظلَّ لي ..
حنان ، بقلبك يا قاسيه !
لقد فات ، ركب الهوى وارتمت
أمانيه ، ثكلى على الرابيه .. !
فهل تسمعين نداء الحياه

تصيح ، وتصرخ ، عبر السنين !

تحرر .. !

فمثلك يأبى القيود

ويمحو الحدود

ويمشي ، على خطرات الخلود

فتزهو الليالي به ، والليالي تجود

تحرر .. !

فللنسر هذا الفضاء

يضم على مخلبيه الضياء

قويٌ عجيب .

تود السماءُ له أن يظلّ

ليزهو الصباح به والمساء ..

فمن كبرياء .. إلى كبرياء ...

ولكنك ، لا تبصرين ، ولا تعرفين ، ولا تلمسين ..

ومثلكِ .. لا يستطيع ... لأنك لا تدركين .. !

* * *

شبابي ..

وكل شبابي جراح ..

تئنُّ ، وتعوي عذابا شديدا

ولكنني ، إذ سئمت الكفاح
واضرمت في القلب ، حباً جديدا
سموت ، امزق بين البطاح
قيوداً ، وانحتُ منك القيودا
سانساك ..
لا ...
انني قد نسيتُ ، وكبراً
سلختك عن اضلعي
فلا تطمعي ..
بربك ، لا تطمعي ..
فمن مقلتيّ نزحت الدماء
وكانت..
تخضب لي مضجعي ..
وتجرحني في نعيم الشقاء
وتجري معي ..
سانساك ..
لا
انني قد وجدت الحياه
حبيباً على وتر طيع
فياطيب ما ادعي ..

ويا كلَّ ما أدعي ...
حبيباً على وترِ طيِّـع
يغني بدربي ويفنى معي
شهيا ، طروبا
على مخدعي ...
فيشفي الفتون وتدمى العيون
ويظماُ في مقلتيك الجنون
فأختال في مصرعي
وتحملني في الخيال السنون
فاهفو إلى صدرك الممرع ..
فهل تذكرين ..؟
محال .. فانك لا تذكرين
ومثلك لا يستطيع .. لأنك لا ترعشين ..!
أعود ؟ محال .. ليبقَ المحالْ
لتنشقَّ روحي ، ويهوِ الخيال
سانحت ألف غرام جديد
جريح المودة .. صعب المنال ..
لأرضي النضال بنفسي ، ونفسي
على الحبِّ .. تهوى النضال

ومن متع الحب هذا العذاب ، الشديد

وهذي الدواهي الثقال

ولو كان فيه بقايا وصال

سجين قديم

قذفتُ بوجهك هذا الوصال ...

بلى ..

انني قد لمست جراحَ الجمال

لدنيا الصدود ، على لفظةٍ

مرغت بالدلال ..

عرفت جوابك قبل السؤال !

أما كان فيه المحال

وكان صدودك ، شيءٌ عجيبٌ

وكان لدى الفنِّ .. هذا الخيال

واصبحت ، سقط هوى وابتذال

وأصبح قلبك سهلَ المنال

رجال تدبّ عليه ، وتمشي اليه

صغار الرجال ...

وكنت على كل صدر امين

شهيّ حنين ، ومعنى ثمين

ولكنك لا تأبهين ، ولا تشعرين ، ولا تعلمين

فقلبك أضحى مريضاً رخيصاً بدين
ومثلك لا يستطيع .. لأنك لا تعشقين ...

* * *

سانساك في موجة الذكريات ..
وأخنق في الصدر كل نداء ،
وكل حياه ..
سانسى باني حملتك طفلا
جميلاً شهيا
وأنت من العمر .. في العاشره
سانسى احمرار الحياء الصبي
على الوجنة العذبة الناضره
سانسى ، وأنسى
صراخك عند مجيئي
إلى دارك الحلوة العامره
وأنسى يديك على راحتيّ
وغمزَ أناملك الطاهره
سأنسى ..
وكل نداء بجسمي سينسى
صدى ليلة عابره

خفضت جناحيّ فيها ، فطرت
عن الحب ، في لحظة كافره
سأنسى بأن لكل ملاك
فتاة تدنسه فاجره
تهيمُ إذا ما استبيح هواها
على لذة عاهره
يلذّ لها البطش في قسوة
ترقُ لها الأنفس الشاعره
فهل تذكرين ،
معاذ الهوى الرخص لو تذكرين
ولي في خيالك الف جنين
كأنك لا تذكرين إبائي ،
وطهر شقائي
وما نقشته بقايا دمائي
بدرب الاسى والانين ..
عففتُ ليبقى عليك اشتهائي
ولعنة جسمي الذي تشتهين

* * *

فيا صنما انضجته يدي

تكلم

أما سال منك الألم ..؟

نحتك من أدمعي ودمي

فجئت جموحاً كسيحاً

وروحك فيها صممْ ..

خلقتك من خاطر المستحيل

وكنت طريحاً جريحا

على دربه ، من عدم

تحطم .. تحطم ، فلن تستطيع

إلى عالمي الحر ، أن تقتحم

تحطم ، تحطم .. وإن كنت مني

سأنجو ، ليسحق هذا الصنم

تحطم .. تحطم .. فاني سئمت

وفي أذني ، طال وقع النغم

جراحي استفيقي ، فان جرح النسر

ظلّ جريحاً ، بأعلى القمم

وإن غاله الموت ، مات على أفقه

ومنقاره راعش بالشمم ...

فهل تسمعين نداء النسور

محال .. فانك لا تسمعين ...

وهل تلمسين عذاب النسور

محال . فانك لا تلمسين

لانك ، لا تشعرين ، ولا تدركين ، ولا تبصرين ...

ومثلك ، لا يستطيع ، لانك لا . ترتقين ...

اغلقت شباكي

وعندما ادركني المساء والعياء
سكنت في حَجَرْ
أقمت فيه عارياً ، لا خوف لا خطر
وصرت كلما مللت ، واستهلكني الضجر
أغوص في أعماقه
استحضر الكونَ الذي هجرته
وأذكر العيشَ الذي غبر
فلتعصف الرياح في غدٍ ولينزل المطر

* * *

اوصدت كهفي بيدي يا ظلمة الأبواب ..
اغلقت شباكي ، حشوت في جراحه التراب
أدميت اشواكي
نحرت آلامي على الطرق
فانتحر العـــذاب

واقلع القرصان بالسباب
سكنت في حجــــر
اقمت فيه عاريا ، لا خوف لا خطر
وصرت كلما مللت واستهلكني الضجر
أستحضر الكون الذي هجرته .. واذكر البشر
فلتعصف الرياح في غدٍ ولينزل المطر

انتظار

ووقفت انتظر القطار ..
عمري انتظـار
باريس من حولي تجاذبني الحوار
وتهيب بي ، والليل جن بصدرها العاري وثار
اشرب على ألم الدنى ، واخلع بغربتك العذار
باريس أقبية وبار
نور ونار
باريس حبك بالمجانين الصغار وبالكبار
هذا القطيـع الحالم المجنون
يلهمه الجنون فلا يطيق الانتظار
باريس تابى الانتظـار
عين على الدنيا تراودها ، وثانية
لها في الافق تستبق الدمار ..
باريس كالايام تنتظر الدمار
ورجعت عبر ترددي

ومضى القطار
مضى القطار ..

* * *

وبقيت أنتظر القطار
الذكريات تشدني وتهينني ..
وتحط بي عبر الديار ..
والاحتقار
يجتر احلامي ووجداني فاشعر بالدوار
الخوف ..
والغثيان ..
والروح البوار
والاثم
والقلق المريض .. وشهوتي للانتصار
مستنقعي كبرت طحالبه بأروقة الشنار
وترعرعت في غابتي وحلا .. وعار
مالي وهذي الذكريات ، تشدني وتهينني
وتحط بي فوق المطار
طيارتي صلبت على صدر المطار
لا ..

لا أريد أعود يصرعني الونى
لتموت في صدري المنى
فاموت في وضح النهار
باريس لا تدري بأني هنا
اجتر تاريخي ،واستجدي الفرار
دوامتي اتسعت وعمّقها الاسى والاجترار
دوامتي التهمت وجودي .. كيف أقتحم الجدار
عمري اجترار وانتظار
لا .. لن أعود ..
تسمري يا أرجلي .. وتشبثي ..
مر القطـار
مر القطار ..

* * *

الموكب العشرون ضل ، وتاه في افق المدار
وانا انتظار
الموكب العشرون .. أدركه الخوار
ومواسم الأمل الذبيح
تطل من صدري الجريح
تصيح بي ..
مر القطار .. مر القطار

وحدي

كأحلام الرصيف هناك .. تنبض بالغبار

مثـــلي أنا ..

سأمان . ملّ الانتظار

والموت في وضح النهار

تاريخه المشدود للتاريخ موصوم الازار

وطأته أقدام الزمان ، فما تحرّك واستجار

* * *

مثلي أنا

عبر الدنى

يستمرىء الدنيـــا

ويأبى الانفجـــار

ماتت بعينيه الحياة

وجفّ ..

وانطفأ الأوار ..

وتهالكت آماله في الأفق ، فانقطع الحوار

لم يبق للدنيا وقار

لم يبق للدنيا وقار

* * *

المجد

والتاريخ

والأحلام

عصفور .. وطار ..

والقهقهات تجددت والشعب ثار .. الشعب ثار

وترددت عبر الصدى ... الشعب ثار ، الشعب ثار

باريس ..

والباستيل ، قد نسيا ..

بأن الشعب ثار

باريس حبلى

بالمجانين الصغار

وبالكبار ..

فمضيت في جنباتها

بالوهم أفتعل الحوار ..

لأقابل الدنيا بوجه مستعار

لا شيء يربطني بأعماق الوجود المستعار

ومضى القطار ..

مضى القطار ..

البهلوان الاعظم

رآه الشاعر يرقص ويدحرج الطابات في
باريس فكانت هذه القصيدة ..

دحرجها ، رقّصْها بيديك
وادخلها حلقات ، واخرجها
حلقات سكرى من فخذيك
حَرِّك عطفيك .. ولا تحفل
حرك عطفيك ..
باريس تحبّك فنانا
قديساً أو شيطانا
لا تبصر فيك الانسانا
فامنحها الآن النسيانا
فاللذة أن تحيا الآنا
لا باس عليك
ارقص وتمتع بالدنيا
فلعلك تعرف دنيانا

فأنا لا أعرف دنيانا

ألنا جـــاءت أم لسوانا

وارسم باللعب شكاواها ، وشكاوانا

قد تكمن أسرار الدنيا،بأمانيها ومآسيها

في جنبيك..

وبين يديك ..

وفي قدميك ..

كرة تنقضّ على كرة

فتلاعبها

وتداعبها

وتجاذبها

وتخاطبها

وعلى الزلاّت ، تحاسبها وتحاسبها

فكأن مصيرك في كفّيــــك

ومصير الشمس على قرنيك

حرّيتها أمست قـــدرا

تتشدّق فيها

تنسجها كلمات

تنثرها عبرا

لا تؤمن فيها

تصلبها

تبعثها حينا ،

وتخاتلها

وتضللها

وتقتّلها حيناً ، تنزلها حفرا

وتهون لديك .. تهون لديك ..

شعوذة نحن عرفناها

وبأرض الشرق خلقناها

وزرعناها

وبوجه الشمس نشرناها

صدقناها .. كذبناها

حللناها .. حرمناها ..

وخلقنا في الخوف إلها

وقتلنا في الخوف إلهـــا

نستجدي المجهول .. ونجهله

لا يعرفنا ، أو نعرفه

لا باس عليك

سنسميه في الدجل الله

لكن من أنت ؟

لعلك .. لا أدري

تتجسد فيه ..

لا أدري ..

من أنت ..؟

لعلكَ إنسانُ ..

صرعته فينا الأحزانُ

سامان ، سلاه الإيمان

حب سحقته الأوطان

فرقصت بدنياه أَلَما

ولحت برؤياه العدما

من أنت ..؟

رأيت وجودي في عينيـــك

وزوالي يبكي في شفتيك

والناس اليك

تنشدّ إليك

الشك بسحرك يشقيها ، ويعرّيها

والكفر بسحرك يشقيها

ويعرّيها

فتضيع هواناً في وجهك ..

فارقص ، وتمتع بالدنيا

قد تكمن أسرار الدنيا ، وأمانيها

ومآسيها ..

في وجهيك .. وفي عينيك .. وبين يديك ..

تلك الطابات المسحوره

والمنشوره ..

بين يديك ..

وفي زنديـــك

تحيا في قلق

مذعوره

في الأسر

وليست ماسوره ..

في الهجر ..

وليست مهجوره ..

أو تدري من أنت ..؟

وهل تسمع ..؟

أشباح الماضي تتوّجع

تبكي أوزاراً في أذنيك ..

ودم التاريخ ..

دم الانسان ..

يستجدي أسرار الطوفان

ويشيح باعماق السجان

ويعود إليك ..

ويسيل عليك

لكن ..

لا تحفل ..

لا تسال ..

فوجودك يعني .. أن نجهل ..

تلك الطابات المسحوره

نلك الطابات المغروره

ستظل تدور على زنديك ..

والناس بدنيا المعموره

أصنام ترقص من حوليك ..

فارقص .. وابصق في عينيّ ..

فلست أراك .. لست أراك ..

راخطر أوجاعاً في جنبيّ ..

فلست سواك .. لست سواك ..

نحن الطـــابات المهجوره ..

نحن الحشرات ..

لا نعرف شيْ .. لا ندري شيْ ..

تتراقص فينا الآلام ،

والأوهام

وتمرّ علينا الأيام .. نحن الحشرات

لا نعرف شي ..

نأتي للدنيا أصفارا

ونعود فنرجع أصفارا ..

عبدانا أم أحرارا

تجاراً أم ثوارا ..

لا نعرف شي ..

لا نعرف شي ..

فارقص وتمتع بالدنيا ..

لا باس عليك ..

تلك الأنقاض ومن فيها

بملاهيها ، ومآسيها

من صنع يديك .. من صنع يديك ..

وغداً قد ياتي الزلزال

وتطلّ علينا الأهوال ..

وتدق الساعة معلنة بعث الأموات ..

«سئم التاريخ ملابسه ، وطنافسه ، وخنافسه

فاعتلّ ومات .. »

وتلاشت من صدر الدنيا كل الحشرات

فالعالم لا بد ستأكله احدى الساعات

ويقول الناس .. لقد سقطت ..

من صاحبنا . إحدى الطابات ..

في المستنقع الكبير

من أنت في المستنقع الكبيرْ ؟
لا حول .. لا وجود ، لا قوه !
معذب مطارد أسير
من هوة .. تمضي إلى هوه ..
يَشدُّك الوفاء للمصير
كأنه انشودة حلوه
فلا تخف .. غداً له تطير!
من نزوة تمشي إلى نزوه ..!
تمتص من جراحه العبير
في مأتم يموج بالشهوه

الكهف بالنيران مُحتدمُ ووقوده الاشجان والندمُ
جفت منابعه فما نبضت بجراحها، وأصابها العقم
لما تهاوى الحب وانتحرت أصداؤه، مادت به القمم
فتمرغت عبر الوجود رؤى وتشردت في دربه قيم
كهف من الأحلام منهدم يبكي على أطلاله علم

المتحف الكبير

كتبت هذه القصيدة تحت تمثال « القبلة » للفنان الشهير « رودان » .

أنامل الفنانْ

والقبلة التي خلدها على المدى رودان

تظللان قبلتي

وترعيان نشوتي ، في معبد الحنان

النشوة التي ضممت فيها العمر والاوان

واجتزت عبر نبضها المجهول في الزمان والمكان

ولم يزل رودان

يمنحها الخلود والبقاء والعيان

أنفاسه تنساب في عروقها الحمراء بالطوفان

ازميله المجنون عند ثغرها الملهوف عاشق ولهان

ازميله كأنما له عينان

تستنفران أضلع الرخام شهوة وتبدعان

وتبكيان ، تشهقان

في فرح الأطفال والغلمان
وغمرة الأضواء والألوان
وتشهدان
معجزة الألحان في الرخام .. ومولد الرخام في الالحان

* * *

ازميله كأنما له يدان
تعربدان في صخوره السخية الدنان
وتشربان .. تسكران ..
وتأكلان في مأدبة الجنان
وتحلمان بالجحيم تارة ، وترقصان في النعيم تارة ، وتهربان ..
وتتعبان .. تساءمان
وتصمتان .. تحكيان
فيلتقي على صراعها الضدان
الكفر .. والايمان ..
الحب والعدوان
مشاعر تبكي الدنى في خاطر الصوان
تموج بالحياة والرؤى ، معقودة اللسان
تود أن تبوح لو يرخى لها العنان
تود لو تمشي فتعبر الجدران
لكنها مصلوبة على الثرى ، يشدها المكان
تدفع من وجودها ، ضريبة الصلبان

ما أكثر الصلبانْ .. ما أكثر الصلبان ..
ضريبة يعرفها في سجنه السجين والسجان
ضريبة العطاء والحرمان
في كل تمثال يطل الله والانسان
يستغفران في دوامة الانا .. جريمة الدنى
جريمة الاله .. والانسان ..

* * *

وفي غد ..
أعود يا حبيبتي .. فالذل والهوان ..
يعربدان بي .. ويهتفان بي .. ويصرخان .. يصرخان ..
وفي غدٍ أعود مثلما أتيت مثقل الجنان
في زورق مهشم ، مبعثر ، حيران ..
مستنقعي يشتاقني في الموت والاحزان ..
مستنقعي الذي هجرته ، لما يزل طمآن
يريد أن يشربني في موكب الندمان
أعطيته كلي ، قداستي ، فما ارعوى وصان
شوهني .. مزقني .. حطمني ..
وهنت في ملعبه .. وهان ..
واغتال لي براءتي . فلم اعد انسان .. لم أعد انسان ..

* * *

وفي غد أعود يا حبيبتي .. تحملني الاشجان
والمتحف الكبير بعد لم يزل يعج بالاوثان
الحب في محرابه يستمرىء الطغيان
المتحف الكبير صولة .. وصولجان ..
المتحف الكبير خطبة ومهرجان ..
دبابة وديدبان ..
اسطورة لفقها الدعاة خدعة .. وحاكها الكهان
وزيّفوا في كل ركن غامض جثمان
ودفنوا جثمان

* * *

وفي غـــد أعود
أرتدي المسوح في هيكله المطليّ بالبهتان
وفي غد أعود أحمل القربان
وربما تبعثني النيران يا حبيبتي ، وربما تأكلني النيران ..
وقد أموت خلسة لا صحب لا خلان
وقد يقال انني معقد جبان
أبيت ان ازيف المصير عبر المتحف الكبير
فانسج الاطهار والاكفان
وقد يقال انني ساومت .. وانحرفت .. واستبحت حرمة الاوثان
وقد يقال بينما اسير في الخرائب التي ضلت بها القطعان
هل تعرفون من يكون ذلك الغريب .. انه فلان ..

اسم على جريمة العـــلى
اسم بلا عنـــوان

* * *

ولست اخشى يا حبيبتي العذاب والطغيـــان
ولست اخشى وطأة السجون والسجان ..
أدمنت جرحي لم أعد أحسه ، يسيل في الوجدان
ألفته ، كما ألفت لعنتي في الحب والحرمان ..
لكنني أخاف أن ينكرني الأحباب والخلان
أولاد حارتي البنات والصبيان
من كنت في طفولتي بهم أعيش كل آن
أستعذب الساعات والثوان
وأمتطي حمارتي الشقراء في دارتهم ، أسابق الفرسان
فهؤلاء كل ما قد ظل لي في وطن الأوطان
وذكريات مرة .. أمنحها الغفران
ولذة الضياع عبر المتحف الكبير .. لذة النسيان ..
وقطة جريحة ، عرفتها في سالف الأزمان
سوداء كالوهم الذي أطلقني .. وخان
فهؤلاء كل ما قد ظل لي ، في وطن الأوطان ..
أطعمهم حبي .. وأستجدي العزاء والسلوان ..

* * *

وأنت .. ؟

ماذا أنت .. ؟

هل غيَّرك الزمان .. ؟

واغتال غيري صدرك الريان ..

واغتالك الهجران

إن كان هذا فاذكري أصابع الفنان ..

والقبلة التي خلدها في صدره الحنان

والقبلة التي ضمّدَ فيها العمر والأوان ..

فربما اليك عاد ما مضى .. وكان

فلم يزل في الوهم مني الظل والزمان .. والمكان ..

ولم تزل في خاطري أصابع الفنان ..

ولم يزل يظللنا رودان

النبي العاجز

وكنت أدري عندما رأيت ، فاستيقظت.. فانطلقتُ

انني وحيـــد

لا معولي صلد .. ولا يداي من حديد

وكنت أدري ان ذاتي هشة تلجمها القيـود

وان روحي في اسارها الحتمي لن تجود

لكنني أردت أن أكون .. أردت أن أكون ..

أردت أن أنشق عن عجزي ، فاعبر الأتون

أردت أن أعيد مولدي بالموت من جديد

وأن أعانق الوجود لذة في مـــآتم الوجود

فتمّحي السدود والحدود

وأقحم الذرى .. والليل والسرى .. والمنتهى الكؤود

في ملعب المحال والمجهول والخلود

وكنت أدري انني وحيد

لا معولي صلد ولا يداي من حديد

فاخترت أن أمزق الجليد في معاقل الجليد

واخترت أن أطاول الصعود
وأن أهدّم الجدران في مدينتي ، أضرمها ،أحرقها
وأشعل النيران والوقود
مدينتي .. مدينـــة الضلال والجحود
والموت والسجود ..
أهدمها ، أحرقها .. أذبحها من الوريد للوريد
أصب نيراني على عفتها ، وطهرها المزيف النهود
أصبها في كبرها الموءود
حتى تضج في عروقها الحياة من جديد
لعلني أسير في حطامها .. حرّاً كما أريد
وكنت أدري عندما بعثت خاثرا
بانني وحيد ..
لا معولي صلد .. ولا يداي من حديد ،
دربي ، كأعماقي جريح غامض .. بعيد
زادي على مسيرتي شبّـابة وعود
وقبضة من الحنان ، عفة ، ونغمة شرود
أنشرها على جراح الوهم والوعود
لكنني أردت أن أكون .. أردت أن أكون ..
أردت أن أغير الدنى لتنبض النجوم في مواكب السنا
ينهشني الفضول والأنا

وخسة الصراع في المنى ..
أردت أن أروّض الفناء والبقاء والقدر
في مهجتي الظمأى ، وأن أضاجع الخطر
أردت أن أحول العجز المريض في دمي إلى شرر
وأرتدي النجوم حلّة .. وأحمل القمر
ملّت سمائي طهرها المنفي في سقر
وعربد اللحن الذي سجنته على وتر
فلتحمليني يا جراحي عنوة إلى الظفر
فالزورق الذي ركبته قد مال وانحدر
وموكبي في العبث الكبير زلّ وانتحر
إلى السماء يا نبي العجز . يا نفاية الحفر
لك الرياح الهوج أوقفها .. وأسقطِ المطر
لك المساء والصباح والدجى ، لك السحر
لك الوجود كله ، فانسج له العبر
وارسم على جبينه الفضي أبدع الصور
وازرع على أعماقه الشوهاء أجمل الفكر
إلى السماء يا نبي العجز أنقذ البشر
تريد أن تكون فلتكن .. وأنقذ البشر .. أنقذ البشر
وجئت المدينة الجحود أطرق الأبواب والجدران
فلم أجد أحد

وسرت في الخرائب الثكلى على قارعة الزمان
لا يبصرني أحد ..
زرائب يرعى بها الضباب والدخان
تناثرت من حولها الذئاب والقطعان
فاعتنق الضدان
وعشعشت في صدرها الديدان والغربان
والتحمت كأنها جسد
تقلصت تجمعت .. وسميت « أوطان »
وأخمدت في ظلها النيران
وكنت أدري عندما صرخت لن يسمعني أحد
فقد تسمر الاباء في سطوحها الشمطاء وانعقد
وانتحر التاريخ في محرابها الثوري وارتعد
تهشمت عقارب الزمان والمكان
واغرورقت على الضياع مقلة الجلد
ففاتني أن أطلب الغفران للانسان في مدينتي
وفاتني أن أشعل النيران
وأن أصون عالمي الموبوء بالأدران
فامنع الطوفان أن يعانق الطوفان
في مستنقع الأبـــد
وصرت أدري عندما أتيت لا يسترني الرداء في مدينتي

لأضرم الحياة في البركان

بانني سانثني أعود لا يقبلني أحد

وعدت من مدينتي مدينة الضلال والجحود

قلبي على أشلائها ، وكبرها الموءود

لأسمع بالرؤى في داخلي تفلسف الزوال والوجود

ماذا أردت أن تكون ..؟ ماذا أردت أن تكون . ؟

فردد الصدى في داخلي .. أردت أن أكون .. أردت أن أكون

ماذا أردت أن تكون ؟

تريد أن تمزق الجليد .. تريد أن تحيا كما تريد

وعدت أسمع الصدى في داخلي يصيح في جنون

هل أنت ما تريد ؟ هل كنت ما تريد ؟

وكنت لا أدري بانني لها أعود .. إلى مدينتي أعود ..

١٣ / ١٠ / ١٩٦٥

الضوء الاخضر

وسرت في مدينة الأموات..
أدوس فوق ظلي
أسائل الخرائب القتيلة الحياة
عن وطني وأهلي
فهالني السكوت والسبات
وهالني الشحوب مدّ ظله، كأنه الرفات..
يضمني
يلفني.. إذا مشيت في مدينة الأموات

* * *

لا
لم أجيء لأمنح الحياة،
مدينتي، ولم أجيء لأجمع الشتات
الجولة الكبرى هوت
في ملعب الفوات

وقد أقام الخزي في مأتمها الصلاة
مائدة الصراع عهّرت ..
عهّرها الدعـاة ..
والرعـــاة
وانتصبت هزيلة تطل بالفتات
لن يشبع الفتات
لن يشبع الفتات

* * *

وعندما مشيت في مدينة الأموات ..
أدوس فوق ظلي
وأسال الخرائب القتيلة الحياة ،
عن وطني وأهلي ..
وجدت كل شيء . مات

* * *

وبينما أسير في مدينة الأموات ..
يقتلني الضنا
تجرحني الـ « أنا »
وكبرياء العجز ، فاته في موكبي النجاة
لمحت طيفاً يهتك الفنا ..

يدب كالسنا على الدنى
ألفيت نفسي أعبر الفلاة ..
أمشي خلفه ..
ألفيت نفسي أعبر الحياة
أسير كالايمان ، في مدينة الأموات ..
أجيش بالوجود والمنى
لمحت طفلاً عمره سنة .

١٩٦٥/١٠/١٥

سيدتي

سيدتي !

في الباب شاعرٌ جميل

يقول إنه رآك مرةً على خياله

فجنّ واشتعل

قد جاء يحمل الزهور في يديه : باقة من الغزل

أتسألينني ؟ ما شكله ؟ وكيف يبدو ؟

فارسٌ منعمٌ طويل

وشعره على جبينه الفضيّ كالاكليل

وفي عيونه غمامة مجنونة من الخجل

يصرُّ أن يراك ـ لو للحظة ـ يدفعه الأمل ..

سيـــدتي

أراك قد وجمت واشرأب جيدك النبيل

وعربدت على جفونك الشعل

أترغبين أن أصدّه ، وأن أرده ..

قولي تكلمي ..

سيدتي : الشاعر الجميل بيتنا دخل
سيدتي ؟ تكلمي
أراه يدنو حاملاً جنونه بلا وجل
أراه يدنو نحو ثغرك البخيل
أراه يسرق القبل
ذراعه تلتفُّ حول خصرك النحيل
وشعرك الطويل يا سيدتي ، على يديه شعرك الطويل ،
سيدتي تكلمي   أقتله إذا أردت لم أزلْ
أنا لديك عبدك الذليل
تجاوز الحدود يا سيدتي ، فماج وانتقل
يقطف النجوم من قوامك الأصيل
أواه   يا سيدتي ويشرب العسل
أجل .. أجل ..
أدرت ظهري للجدار رهبة   أجل
سكبت في أذْنيّ نفحة من الخبل
ورحت أستجدي رجولتي . أواه يا سيدتي لو انني رجل
تكلمي   ما زلت عبدك الذليلْ
قومي والمي الغرام من مخدعك الأثيل
عن بصري الكليل ، والمي القبل
فالشاعر الجميل يا سيدتي
الشاعر الجميل - غاب .. وارتحل

١١ / ١١ / ١٩٦٥

موناليزا

عيناك تتبعانني وتعدوانِ خلفي
تطاردانني ، وتلحقان بي ،
تؤرقانني ، وتصرمان خوفي
وتسرقان النوم من جفوني ،
وتهجعان في جفوني ،
وتحرقان لي جبيني
تستجديان عطفي
كأنما تستجديان حتفي !
موناليزا موناليزا
عيناك من أنت ؟ ومن تكونين ؟
تكلمي .. أخبريني
أكاد في شكي وفي ظنوني
أغار من يقيني

* * *

أحسُ موت الناس والزمان في حياتي

تعانقت عقارب الثواني

وشـــدّني

كما نما له من وجده يداه

تكلمي تكلمي وأخبريني

هل جئت في أواني

هل أنت في عينيك تتبعانني وتلحقان بي

وتعدوان خلفي

تستجديان حتفي

وتحرقان في ولهٍ جبيني

تكلمي وأخبريني

موناليزا أتيت حاملاً شجوني

على شراع من رؤى جنوني

محملاً بالطيب بالأشواق بالحنين

فاحتويني

* * *

بحيرتان تسبحان في دوامة الخلود والعدم

بحيرتان كالسماء ، اخضوضرت بها النعم

تستقبلان كل يوم شاعراً ، وتشهقان بالألم

يطل منهما الحرمان لهفـة ويصرخ السأم ..

موناليزا .. موناليزا

أنا رجعت فاخرُجي من الإطار
تمردي على متحفك الغريق
لانت أشهى أن يضمها لصدره جدار
فحطمي الجدار نشوة إليّ واعبري الجدار
أمـا سئمت الانتظار ؟
موناليزا .. موناليزا
أنا طويت خلفك القفار والبحار
عيناك تتبعانني ، وتعدوان خلفي
وتلهبان حرْفي
عيناك أول النهار
تمزقت في دمي الاسار
وتكبحان في أعنتي الفرار
عيناك تضرمان في حقيقتي السوداء غايتي
عيناك تدعوانني رجعت ، فاحرقي جبيني
أتيت حاملاً شجوني
على شراع من رؤى جنوني
محملاً بالغيب والأشواق والحنين ..
أتيت .. فاحتويني

* * *

٩ / ١٢ / ١٩٦٥

رسالة من «دوفيل»

حبيبتي ... أكتب من دوفيل
لم أدر كيف جئتها ؟
وكيف جئت الشاطىء الجميل
لكنني أسير خلف لعنتي ، أسير خلف ظلي
يحملني الضياع عنوة
وشهوتي للسير للزوال للرحيل .. !

* * *

حبيبتي
أكتب من دوفيل ..
أنا بها ، ولست فيها ، إنني
بالرغم عني عابر دخيل
لا لغتي تسعفني ، لا غربتي ،
تمنحني في وحشتي الدليل
الناس كالنجوم في الغيوم تختفي ، وتنجلي

تمضي ولا تمضي إلى سبيل

تسير كالأرقام في دوامة الزحام لا هم

تحسبها كأنما تسير للمجهول

لكنها سعيدة الخطى في دربها الطويل

لا عريها يجرحها ولا تاريخها المستوحش الذليل

تستوعب الحياة لذة في عمرها القليل

وتحبس الشكوى لدى أعماقها

وتحبس العذاب ، والبكاء والعويل

تضيع في دوفيل

تستمرىء الممات مثلما .. تستمرىء الحياة في دوفيل!

* * *

حبيبتي

ما زلت أسرق الشعاع من مواقع الأسى

أكتب من دوفيل

أحاول الحياة ، لو تسعفني الحياة

لو يرضى وجودها البخيل !

لشد ما تضحكني الحياة - يا حبيبتي -

لشد ما يحزنني بريقها النبيل ..

ترى ؟ تعرت في دمي وافتضحت

وأصبحت ، في جسدي المحموم تستحيل ؟؛
لا شيء مستحيل ـ يا حبيبتي ـ لا شيء مستحيل!
فقد رأيت البحر هذا اليوم عاريا
وشاقني بانه جميل ..
وقد فرحت كالأطفال عندما ضممته ، فضمني
ولم يخفني موجه الثقيل
رأيت في أعماقه الأسماك لا تبكي وترقب السبيل
ولا الكبير من حيتانه يهم بالتحيل
ولم أر الشباك في عروقها ،
تمتصها في لذة ، ودمها يسيل
ولم أر المساء كالصباح شاحبا
أعلم انني انتهيت
ولم يعد يصحبني
المارد الايمان لم يعد يصحبني
واللعنة التي أدركتها تخيفني ترهبني ..
وانني أقسمت وانقسمت والتويت
وأقلع الصباح في بحيرة الجراح .. يمتصني .. يعبني
وأمست الرياح لا تناوىء الرياح
وانطفىء المصباح
لم يبق فيه زيت لم يبق فيه زيت

ماذا أنا جنيت ؟

رباه ما جنيت ؟

مستنقعي يغرق بي .. يشربني.. وقبضتي تضربني

أود لو أكون مثلما أتيت   كما أتيت

لكنني وقد رأيت

تحسبها كائما تسير للمجهول

من لا مكان في الدنى

من الدنى ..
من لا مكان في الدنى
إليك أكتب ..
في عتمة المصير والضياع والونى
أسائل الوجود في جنبي من أنا ؟
ومن رماني قسوة هنا ..
وأعجب ..
لكنني ،
إليك أكتب..
أظلّ أكتب ..
عن حيرتي في موكب الزمن
وغربتي في الأهل والوطن
عن كل ما أحسه من الشجن

فطالما إليك كنت أهرب .. ما زلت أهرب

* * *

من لا مكان في الدنى
في قمتي الجريحة الوجدان والجنان
أريد أن أظل أكتب
أريد أن أمدّ حرفاً بيننا من المنى
أعبره إليك في حنان
مستلهماً من سرّه الصمود والايمان
لعلني إليك أقرب

* * *

أريد أن أعيد مولدي ..
أريد أن أعيده في الأبد .. فانجب
أريد أن أنشقّ عن أمسي
وعن تعدُّدي ..
وعن غدي ..
أريد لو أرقّ كالغمام في الرؤى وأعذب
أريد لو أبوح بالذي يموج بي ويصخب
مواسمي تعفنت ..

تآكلت ..
أحسها بي تنضب
أريد لو اسقي الذرى من سرها واشرب
أريد لو تعبرني الحياة ثائراً فاصلب
فقد مضى الشتاء بالربيع عنوة
وقد بدأت اتعب
وحدي على المدى ، من لا مكان في الدنى
اليك أكتب
أشد أوجاعي الى وساوسي ..
وأكتب ..
وأكتب

* * *

وانحني بمبضعي على الورق
أشق في ركامه المبعثر البليد
خواطري ، وكل ما أريد
فمبضعي في سجنه اختنق
يود أن يبرعم الجديد في الجديد
يود لو يستبق الرؤى في مقلة الارق
يود لو يختصر الوجود في نشيد
لعلني في الحرف .. استعيد

حريتي
وصبوتي ..
وما احترق ،
من جسدي الأسير في القيود
في عالم مبعثر الأنفاس ، عاقر .. ولود
ترى . ؟
تجسد الوجود في تناقض الوجود ..؟
وافتعل الصراع نشوة السكون والقلق .؟
وعانق العطـــاء موكب الجحود ..؟
وولد الصباح كالمساء في دوامة الأفق ..؟
والحبّ كالبغضاء في دوامة الوعود ..؟
ترى ..؟
ترى .. تلاشت الأبعاد والحدود ..؟
وانتفض الطوفان يمنع الغرق ..؟
وانتحرت في البعث ومضة الخلود ..
أنا على لهيبه ، مشرد معذّب
يلفني ..
يحملني ..
يجيء بي ،
ويذهب

أقتله في وجعي ، فلا ينِي يصطخب
كأنه حرّيتي .. أخافها وأرغب
أضمها من لا مكان في الدنى
على جراح الوعي والصراع والمنى ..
وأكتب ..
ما زلت أكتب

* * *

وفي الظلام .. عندما يغمرني اللاشيء والمللْ
وعندما يلفني المجهول
في الأزل
ألملم الحب الذي هدهدني ..
وأكتبُ :
أماه ..
أشواقي التي لا تعرف الكلل
وليس تتعب
وحفنة سخية مشوقة من القبل
أبعثها تنساب .. تهرب
من درب إحساسي المهيض بالفشل ..
تنساب ، تهـــرب
على شراع مبحر بالحبّ ، بالغزل ..

مبعثر الأحلام والمنى ، في التيه يضرب ،
مثلي أنا
في التيه يضرب
أصارع الحياة في حطامه الأسير بالأجل
تشدّني في المستحيل رعشة الأمل
لعالم بنيته في خاطري ..
شيّدته بأحرفي ..
خلقته بالوهم عبر لذتي في الصحو
والثمل ..
هيهات أهرب
هيهات منه أهرب
فانني وقد مضى الشتاء بالربيع لم أزل
من لا مكان في الدنى ..
إليك أكتب .

المظلة الضائعة

يا من رأى مظلتي تضيعْ .
تنسلّ مني خلسة ،
كأنهـــا الربيـع ..
ينسلّ من صدري ،
وليس أستطيـع ..
أن أعبر الدنى بغيره ..
وليس أستطيـع ..

* * *

يا من رأى مظلتي تضيـعْ
تهجرني في موسم البكاء والدموع
تهجرني ،
ومقلة السماء لم تزل
تجتاحني ،
تغمرني ،

بالماء .. والصقيع
تهجرني ،
كأنني وحدي المعذّب الصريع
كأنما وحدي عرفت خدعة الفناء والبقاء
ولعنة الصراع والوجيع
أنا الذي حملتها الزمان في الضلوع
أنشرها على جراح الشعر كلما أجوع
أحملها عبر المقاهي الحمر ، في باريس .. أوقد الشموع
وليس أستطيع ..
ليس أستطيع ..

* * *

أستلهم الزحام فكرة مجنونة
تطردني من حاضري
تخطفني ..
تسرقني من القطيع
ترتدّ بي ، الى الوراء خلسة ..
تمسخني
الى مراهق رضيع ،
يستمرىء الوهم الذي أحبه ،

يستمرئ القطيـــع ..
لقد كفرت بالقطيع ..
لقد كفرت بالقطيع ..

* * *

مظلتي تدري بها باريسُ
والرفاق
والذين فتشوا عنها معي ،
يدري بها الجميـع ..
يعرفها الحسّ الوجودي الذي ..
لوّنت فيه حاضري الفجيـع
في كل مقهى لي رؤى ..
خصيبة ..
تطلّ بالنجيـع ..
وفوق كل مقعد لي مـــدود
مجنّـــح رفيـع ..
أجترُّ أحلامي على تاريخه ..
يشدّني الخشوع
بودلير .. أم فولتير .. أم فرلين ..
ناجاه ، وغنّى لحنه البـــديـع ..

* * *

مظلتي

كانت معي هناك ..

هـــل تمرّدت ..؟

ترى .. عذبتها ..؟

ترى .. ظلمتها ..؟

لعلها ضاقت بسجنها المنيـع

فلملمت حطامها ،

ومزّقت قيودهـــا ..

وأقلعت تضيـع ..

مظلتي ضاعت .. فليتني أضيـع ..

أضيـــع مثلها ..

يا ليتني أضيـع ..

النهاية

أعلم انني انتهيت ..
لم يبق من أحبه ..
ومن يحبني ..
اللذة التي مارستها ،
في موكب العطاء والفداء ..
لم تعد تلهبني

* * *

وانني انزلقت
وانثنيت ..
في لحظة زائلة ،
تشبهني ..
لشد ما تشبهني ..
ماذا اذا شكوت أو بكيت ..؟
هل تضحك الحياة لي ..؟
وهل يموج الحب في جداولي ؟
وتورق الرؤى على خمائلي ...
وهل تعود قدرتي ،
على العطاء والفداء ..؟
ويستفيق الكبر في معاقلي ..؟
ماذا أنا إذا شكوت أو بكيت ..؟

ما يظل لي ..؟
فلست أطلب المنى ..
ولا المنى تطلبني ..
فانني ..
لم يبق من أحبه ..
ومن يحبني ..

* * *

أعلم انني انتهيت ..
ولم يعد يصحبني ..
المارد الايمان ..
لم يعد يصحبني ..
واللعنه التي ادركتها ،
تخيفني
ترهبني

* * *

وانني انقسمت
وانقسمت
والتويت
وأقلع الصباح في بحيرة الجراح ،
يمتصني
يعبني
وأمست الرياح لا تناوىء الرياح
وانطفأ المصباح

لم يبق فيه زيت

لم يبق فيه زيت

* * *

ماذا أنا جنيت

يا حب

ما جنيت

مستنقعي يغرق بي

يشدني

يشربني

وقبضتي مريضة ، تضربني

تضربني

تود لو أكون مثلما أتيت

كما أتيت

لكنني لا أستطيع ان أكون مثلما أتيت

لانني رأيت

رأيت كل شارع وبيت

ورحت أدمي كل شارع وبيت

فانتهيت

فلم أعد أحبه ،

مستنقعي

ولم يعد يحبني

ولم أعد ألهبه

ولم يعد يلهبني

وانتصبت جريمتي

تصلبني

فهرست

- ٢ -

خيمة في وجه الأعاصير

- ٣ -

أنشودة الحقد

– ٤ –

جراح تغني

- ٥ -

أغنية النهاية

